عقد الدرر واللآلي

في فضائل الشهور والأيام والليالي

تأليف

أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن الرسام الحنبلي

توفي ٨٤٤ هـ

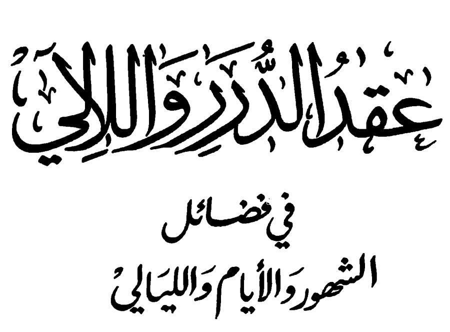
تحقيق

سمير محمد إسماعيل محمد

الجزء الثاني



بينونة للنشر والتوزيع


عقد الدرر واللآلي
في فضائل
الشهور والأيام والليالي

رقم الإيداع بجمهورية مصر العربية

٩٥٤٨ / ٢٠١٣م

الطّبعَة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م



مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع

دولة الإمارات العربية المتحدة

ص. ب: ٥٠٤٠٣ - فاكس ٠٠٩٧١٢٨٨٤٤٠٧٧

* * * * *

ركن بينونة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

شارع جرير - حي الملز

www.baynouna.com

[أسباب المغفرة في شهر رمضان]

اعلموا أن شهر رمضان يكثر فيه الغفران، فمنها صيامه وقيامه ليلة القدر كما سبق. ومنها: تفطير الصوام والتخفيف عن المملوك وهما مذكوران في حديث سلمان المرفوع.

ومنها: الاستغفار وهو طلب المغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في صيامه وعند فطره.

وقد تقدم عن ابن عمر أنه كان يقول إذا أفطر: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي ذنوبي. وفي حديث أبي هريرة المرفوع في فضل شهر رمضان: «**ويغفر فيه إلا لمن أبى، قالوا: يا أبا هريرة ومن يأبى؟ قال: يأبى أن يستغفر الله تعالى**»[1] .

ومنها: استغفار الملائكة (للصائمين حين يفطروا، وقد تقدم كرامات الصائمين)[2] وما لهم من الأجر عند رب العالمين.

(قال)[3]: ولما كثرت أسباب المغفرة في رمضان كان الذي تفوته المغفرة محروما، كما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه صعد المنبر فقال: «آمين، آمين، آمين» قال: «**إن جبريل أتاني فقال: من أدرك رمضان فلم يغفر له فدخل النار؛ فأبعده الله قل آمين، فقلت: آمين، ومن**

---

(١) جزء من حديث رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢١٨/ ٢٨٣٨).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) تتكرر في (ق): كثيرًا والقائل هو ابن رجب الحنبلي.

أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله، قل آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يُصل عليك؛ فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين، فقلت: آمين» رواه ابن الجوزي في كتاب «النور» بسنده، وذكره القاضي عياض في «الشفاء»، وذكره صاحب كتاب (الفجر المنير)[1]، وغيره من العلماء[2]. وفي حديث آخر: **«إذا لم يغفر له في رمضان فمتى يُغفر له»**[3].

(إخواني)[4] من لا يغفر له في هذا الشهر متى يُقْبل؟ من رُدَّ ليلة القدر متى يُصلح؟ من لا يصلح في رمضان متى يُصلح؟ كل من لا تظهر عليه علامات القبول؛ يخشى عليه أن يكون مطرودًا غير مقبول، كل ما لا يثمر من الأشجار في زمن الثمار فإنه يقطع ثم يُوقد في النار؛ شهر رمضان شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.

وفي الترمذي وغيره[5]: **«إن لله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»** ولكن الأغلب على أوله الرحمة وهي للمحسنين المتقين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) في (ق): «الجزاء المبين».

(٢) من حديث أنس رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٦٢٧). قال الهيثمي (٤٧٨٨): فيه الفضل بن عيسى الرقاشي؛ ضعيف.

(٣) من حديث أنس رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٦٢٧) قال الهيثمي (٤٧٨٨): فيه الفضل بن عيسى الرقاشي؛ ضعيف

(٤) في (ق): «موعظة».

(٥) من حديث أبي هريرة رواه الترمذي (٦٨٢) وابن ماجة (١٦٤٢) وصححه الحاكم (١٥٣٢).

رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال: «ورحمتي سبقت غضبي»[(١)]، ﴿(وَرَحْمَتِى)[(٢)] وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال: فيفاض على المتقين في أول الشهر خِلَعُ الرحمة والرضوان، (ويُقابل)[(٣)] أهل الإحسان بالفضل والامتنان.

وأما أوسط الشهر فالأغلب عليه المغفرة (قال)[(٤)]: فيغفر فيه للصائمين، وإن ارتكبوا بعض الذنوب الصغائر، ولا يمنعهم ذلك من المغفرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

وأما آخر الشهر فيعتق فيه من النار من أوبقته الأوزار، واستوجب النار بالذنوب الكبار، كما في حديث ابن عباس المرفوع: **«لله في كل ليلة في شهر رمضان عند الإفطار أَلْفُ أَلْفِ عتيق من النار فإذا كان يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أعتق في كل ساعة أَلْفَ أَلْفَ عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخر ليلة من رمضان أعتق في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره»** خرَّجه سلمة بن شبيب وغيره[(٥)].

ولما كانت المغفرة والعتق من النار كل منهما مرتبًا على صيام رمضان

(١) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٦٩٨٦).

(٢) غير موجودة في (ق، ك) والسياق يقتضيها.

(٣) في (ق): «ويُعامل».

(٤) تتكرر في (ق).

(٥) تقدم تخريجه قريبا.

وقيامه؛ أمر الله سبحانه عند إكمال العدة منه بتكبيره وشكره فقال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام، وإعانتهم عليه ومغفرته لهم وعتقهم به من النار؛ أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته. فيا أرباب الذنوب العظيمة، الغنيمةَ الغنيمةَ في هذه الأيام الكريمة، فما منها عِوض ولا لها قيمة فكم يعتق فيها من النار من ذي جريرة أو جريمة إن كانت الرحمة للمحسنين فالمسيء لا ييأس منها وإن تكن المغفرة مكتوبة للمتقين فالظالم لنفسه غير محجوب عنها:

(إن كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ
فمن يجود على العاصين بالكرم)[1]

إن كان لا يرجوك إلا محسن
فمن الذي يرجو ويدعو المذنب .

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية، وكان جعفر الصادق رضي الله عنه يدعو في آخر رمضان: اللهم رب رمضان منزل القرآن، هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وقد تصرم أي رب فأعوذ بوجهك الكريم أن يطلع الفجر من ليلتي هذه أو يخرج رمضان ولك عندي ذنب تريد أن تعذبني به يوم لقاك.

فيا أيها العاصي وكلنا ذلك، لا تقنطن من رحمة الله لسوء أعمالك،

---

(١) مثبت من (ق).

فكم يعتق من النار في هذه الأيام من أمثالك، فأحسن الظن بمولاك وتب إليه فإنه لا يهلك على الله إلا هالك.

شعر:

إذا (ما أوجعتك)[١] الذنوب فداوها
برفع يدٍ في الليل والليل مظلمُ
ولا تقنطن من رحمة الله إنما
قنوطك منها من ذنوبك أعظمُ
فرحمته للمحسنين كرامة
ورحمته للمذنبين تكرمُ

فينبغي لمن يرجو العتق في شهر رمضان من النار أن يأتي بأسباب توجب العتق من النار، وهي مُيَسَّرة في هذا الشهر، وقد روى عن أبي قلابة أنه كان يعتق في آخر شهر رمضان جارية حسنة مزينة يرجو بعتقها العتق من النار.

(ويروى عن حماد بن أبي حنيفة أو غيره أنه كان يمتنع من الاختلاط بالناس، والحكم بينهم في العشر الأخير من شهر رمضان حتى أتاه شخص فادَّعى على شخص بحق أظنه عشرة دنانير فأنكره فحلفه وقال: والله الذي لا إله إلا هو إن له عندي، وإني معسر عنها فقضاها عنه من عِنْدَه قال: وقد حكيت هذه الحكاية عنه أيضًا)[٢] .

---

(١) في (ك): «كثرت منك».
(٢) مثبت من (ق).

وذكرها ابن الجوزي في كتاب «لقط الجمان» قال: كان حماد بن أبي حنيفة الحاكم لا يحكم في العشر الأخير من رمضان، ولا يخرج من المسجد إلا لحاجة، وإنه خرج يومًا فوجد رجلين قد أمسك أحدهما الآخر فتقدما إليه، وقال له أحدهما: احكم بيني وبينه، قال: قد علمتما شَرطي، قال: فما حجتك عند الله غدًا إذا سألك عني، هذا خصمي لي مدةَ أطلبه وها أنا كما وجدته؛ فإذا لم تقض بيننا ضاع حقي، فقال: تكلم، فقال: أصلحك الله أطلب من خصمي هذا ثلاث مائة دينار عينًا فقال للمطلوب: ما تقول، قال: كلا ليس عندي حق، قال الطالب: فيحلف، فقال له القاضي: تحلف، قال: نعم، وتقدم وقال: والله الذي لا إله إلا هو اليمين إلى آخره، وعند قوله ما يستحق علي حقًا قال: إنه يستحق عليَّ الحق، وإني عاجز عن قضائه وكفى بالله شهيدًا؛ فدخل القاضي إلى منزله وأخرجه ثلاث مائة دينار، وقال للطالب: خذها عوضًا عما لك عند هذا الرجل، فقال: والله ما آخذها لو علمت الحال لما طلبته. فقال القاضي: والله لا ترجع إليَّ خذها أيها المطلوب ولا أجد لها أحق من هذا الذي حلف في العشر الأخير من رمضان، وأخذها الرجل وانصرف.

وفي حديث سلمان المرفوع: **«من فطر صائمًا كان له عتقًا من النار، ومن خفف عن مملوكه كان له عتقًا من النار**، وفيه أيضًا: **فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم، وخصلتان لا غنى لكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم؛ فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار، وأما التي لا غنى بكم عنهما: تسألون الله الجنة،**

وتتعوذون به من النار»[١].

هذه الخصال الأربعة المذكورة في هذا الحديث كل منها سبب للعتق والمغفرة.

فأما كلمة التوحيد فإنها تهدم الذنوب، وتمحوها محوًا ولا تبقي ذنبًا ولا يسبقها عمل، وهي تعدل عتق الرقاب الذي يوجب العتق من النار، ومن أتى بها أربع مرار حين يصبح، وحين يمسي أعتقه الله من النار، ومن قالها خالصًا من قلبه حرمه الله على النار.

وأما كلمة الاستغفار؛ فمن أعظم أسباب المغفرة فإن الاستغفار دعاء بالمغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره.

وقال لقمان لابنه: يا بني عود لسانك الاستغفار؛ فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلًا، وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]. وفي بعض الآثار: **«أن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار»**[٢].

فالاستغفار خاتم الأعمال الصالحة كلها تختم به الأعمال الصالحات كلها؛ الصلاة والحج وقيام الليل، وتختم به «المجالس»، فإن كانت ذكرًا كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوًا كان كفارة لها.

---

(١) تقدم تخريجه قريبا

(٢) رواه أبو يعلى (١٣٦). قال الهيثمي (١٧٥٧٤): فيه عثمان بن مطر؛ ضعيف.

فكذلك ينبغي أن يختم به شهر رمضان، وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في كتابه قولوا كما قال أبوكم آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وقولوا: كما قال نوح عليه السلام ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وقولوا كما قال ذو النون: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وروي عن أبي هريرة قال: الغيبة تخرق الصيام والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل.

وأنفع الاستغفار ما قارنته توبة، وهي تَحلُّ عقد الإصرار فمن استغفر بلسانه، وقلبه على المعصية معقود وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ويعود؛ فصومه عليه مردود وباب القبول عنه مسدود.

(وروي عن كعب الأحبار أنه قال: من صام رمضان، وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر عصى ربه؛ فصيامه عليه مردود)[1] ويكون مثال من عمل صالحًا في شهر رمضان، وعاد بعده إلى الفسوق والعصيان؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]؛ أي: من بعد إبرامه وإحكامه. قال الكلبي ومقاتل: هي امرأة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها: رَيْطَةُ بنت عمرو بن سعد بن كعب

---

(١) مثبت من (ق).

ابن زبيد بن مناة بن تميم وتلقب بجُعْر، وكانت بها وسوسة كانت اتخذت مغزلا بقدر ذراع، وصنارة مثل الأصبع وفلكة عظيمة على قدرها، وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر، وتأمر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار؛ فإذا انتصف النهار أمرتهن أن ينقضن ما غزلن كان ذلك دأبها؛ فضرب الله ذلك مثلا لنقض العهد. فكذلك يخشى على من كان في رمضان متشبهًا بالصالحين بعمله ثم يعود بعده إلى قبح المعصية بجهله وأشد الظلمة ما يتقدمها نور.

وقال الله تعالى فيما ضربه من الأمثال لمن أفسد صالح الأعمال: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦] وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول: عمله في حسنه كحسن الجنة يعني البستان، ثم يصيبها إعصار فيه نار فاحترقت أحوج ما يكون إليها.

وقال عبيد بن عمير: قال عمر يعني ابن الخطاب رضي الله عنه يومًا لأصحاب النبي ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ﴾؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: ابن أخي قل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل قال

عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل.[قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس][(١)]: لرجل غني يعمل بطاعة الله؛ بعث الله له الشيطان فعمل المعاصي حتى أغرق أعماله. كذلك يخاف على هذا المسكين المتشبه بالصالحين في رمضان إذا ترك ذلك، وعاد بعده إلى المعاصي والخذلان فنسأل الله الأمان من زوال الإيمان من ملك الأمان، وأن يجيرنا من النيران وينقذنا من الخذلان.

وينبغي للصائم أن يدعو في ختام شهره بل في جميع دهره بأهم الأمور، وأهمها الفوز بالجنة ونعيمها، والنجاة من النار وجحيمها كما قال النبي ﷺ للأعرابي الذي قال له: إني أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، إني لا أعرف دندنتك ولا دندنة معاذ قال: «**حولهما ندندن**»[(٢)]، ومعناه إني لا أعرف ما تقول أنت ومعاذ يعني من الأذكار و«الدعوات» المطولة، ولكني (أختصر)[(٣)] على هذا المقدار فأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال النبي ﷺ: «**حولهما ندندن**»، معناه أن القصد بهذا الذكر الطويل الفوز بهذا الحظ الوافر الجزيل.

وقال أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ ما عرضت لي دعوة إلا صرفتها إلى الاستعاذة من النار، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ

---

(١) سقط من النسختين، والمثبت من «صحيح البخاري» (٤٢٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٩٢) عن بعض أصحاب النبي ﷺ وابن ماجة (٩١٠) عن أبي هريرة وابن خزيمة (٧٢٥). قال الأعظمي: إسناده صحيح. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) كذا في (ق، ك) ولعل الصواب «اقتصر»

ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠] فأثار القبول تلوح عليهم، ويشار بالثناء الصالح عليهم وإليهم.

و(بهذه)[١] العلامة يُعرف أهل الجنة في الدنيا فنوّه بذكرهم بالمدح والثناء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] فلا مطمع لغيرهم في ذلك؛ بل هذه خصيصة لهم هنالك. كما قال بعض (العارفين)[٢]: رأيت رب العزة ﷻ في المنام فقال لي: قل لبشر بن الحارث يعني الحافي؛ لو سجدت لي على الجمر ما قمتَ بأداء شكر ما نوهت باسمك بين الناس ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فمن خُلعت عليه في هذا الشهر خِلع القبول؛ لازم الوقوف على الباب وثابر على الطاعات؛ فلا يحول عنها ولا يزول، ومن طرد عن الخدمة والعبادة فهو مخذول، وعمله مردود عليه غير مقبول، (إن لم يراجع التوبة)[٣] فيرجى له المأمول.

وفي الحديث: «**تعرضوا لنفحات ربكم؛ فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده؛ فمن أصابته سَعِدَ سعادة لا يشقى بعدها أبدًا**»[٤] ومن أعظم نفحاته؛ مصادفة ساعة إجابة يسأل العبد فيها الجنة،

---

(١) في النسختين «هذه»، والمثبت يقتضيه السياق.

(٢) في (ق): «الصالحين».

(٣) مثبت من (ق).

(٤) من حديث أنس بن مالك رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ٢٥٠). قال الهيثمي (١٧٧١٤): رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير وهو ثقة.

والنجاة من النار؛ فيجاب سؤاله فيفوز بسعادة الأبد، قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

وأنشدوا:

لـيـس الـسـعـيـدُ الـذي دنـيـاه تُـسـعـدُه
إن الـسـعـيـد الـذي يـنـجـو مـن الـنـار

فصل

ومن المتعلق بالصيام إخراج زكاة الفطر وقد فرضها نبينا ﷺ كما قال في «الصحيحين» و«جامع الترمذي»[(١)] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: **«أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان صاعًا من بر أو صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير أو صاعًا من زبيب أو صاعًا من ذرة أو صاعًا من أقط على كل حر وعبد ذكر أو أنثى من المسلمين»** . وفي لفظ: **«أن أتؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة»** لقوله ﷺ: **«أغنوهم -يعني الفقراء- عن السؤال هذا اليوم»**[(٢)] فكذلك يُستحب إخراجها يوم العيد قبل صلاة العيد، ولا يجوز تأخيرها عن يوم العيد فإن (أخرها قضى)[(٣)] وفاته فضل السبق.

---

(١) البخاري (١٤٣٣)، ومسلم (٩٨٤)، والترمذي (٦٧٦)، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي (٧٥٢٨) وقال: أبو معشر هذا هو نجيح السندي المديني غيره أوثق منه، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٥٥) في ترجمة نجيح السندي، ونقل تضعيف ابن معين له، وقال ابن عدي: مع ضعفه يكتب حديثه.

(٣) في (ك): «أخروها».

واتفق الأئمة الأربعة ﷺ على أنه يجوز تعجيل زكاة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فقال أبو حنيفة: يجوز تقديمها على رمضان. وقال الشافعي: يجوز تقديمها من أول الشهر. وقال مالك وأحمد: لا يجوز، واتفقوا على وجوب زكاة الفطر على الأحرار المسلمين، ثم اختلفوا في صفة من تجب عليهم منهم، فقال مالك والشافعي وأحمد: هو من يكون عنده فضل عن قوت يوم العيد وليلته لنفسه وعياله الذين تلزمه مؤنتهم بمقدار زكاة الفطر فإذا كان كذلك وعنده لزمته)[١] .

وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على مَنْ ملك نصابًا، وهو مائتا درهم؛ فاضلًا عن مسكنه وأثاثه، وفرسه وسلاحه وعبده، واتفقوا على أنه يجزئ إخراجها من خمسة أصناف؛ البر والشعير والتمر، والزبيب والأقط إذا كان قوتًا إلا في أحد قولي الشافعي، والمشهور من مذهبه جوازه.

قال القاضي شمس الدين بن مفلح في «الفروع»[٢]: ومذهب مالك يعتبر الإخراج من جل قوت البلد، ويجزئ دقيق الشعير والبر وسويقهما. نص عليه أحمد واحتج عليه بزيادة انفرد بها ابن عيينة من

---

(١) أمامها في (ق): حاشية نصها: (ولا يعتبر في زكاة الفطر أن يكون مالك النصاب وهو مائتا درهم عند مالك والشافعي؛ لأن الفطرة طعام ولا يجوز إخراجها . . .فيعتبر أن يكون فاضلًا عن قوته وقوت مَنْ تلزمه نفقتهم يوم العيد وليلته . . .زكاة الفطر. . .).

(٢) في «الفروع» (٤/ ٢٣٣).

حديث أبي سعيد: «أو صاعًا من دقيق» . قيل لابن عيينة: إن أحدًا لا يذكره فيه قال: بل هو فيه. رواه الدارقطني[١].

قال في المحرر: لأنه (كفي)[٢] مؤنته؛ كتمر نزع حبه، ويجزئ أقط. نقله الجماعة وهو الأصح للشافعية، وعنه يجزئ لمن يقتاته اختاره الخِرَقي وفاقًا لمالك والشافعي، وعنه لا يجزئ اختاره أبو بكر، والأقط هو المصنوع من اللبن جامدًا، ويسمى قراقرود عند بعض الناس فعلى الأولى في اللبن غير المخيض والجبن (وجه)[٣] ثالثها: يجزئ اللبن لا الجبن. ويروى عن الحسن؛ صاع لبن لأن الأقط ربما ضاق. والرابع: يجزئ ذلك عند عدم الأقط ويحتمل أنه يجزئ الجبن لا اللبن، ولا يجزئ غير الأصناف المذكورة مع قدرته على تحصيلها كالدبس[٤] وفاقًا.

والمصل[٥] وهو بالميم يصنع من اللبن كالقريش وفاقًا وكذا الجبن نص عليه وفاقًا، وقال: أكرهه وعند ابن عقيل يجزئ، وقالت الشافعية: إن جاز الأقط. وقيل: يجزئ كل مكيل مطعوم قال بعضهم (وقد أومأ إليه بقوله ﷺ: «صاع من طعام[٦]» وقال شيخنا -يعني ابن تيمية-: يجزئ

---

(١) (٢/ ١٦٤).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق) ولعل الصواب أوجه.

(٤) هو عصير الرطب والتمر. العين للخليل (٧/ ٢٣١)

(٥) هو ماء الأقط حين يطبخ ثم يعصر. تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (١٢/ ١٤١).

(٦) مثبت من (ق) والحديث رواه البخاري (١٤٣٥)، ومسلم (١٦١٦) من حديث أبي سعيد.

قوت بلده مثل الأرز وغيره محتجًا بقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، وجزم به ابن رزين، وقاله مالك والشافعي في كل حب يجب فيه العشر، ويخرج من عُدِم الأصناف صاع حب أو تمر يُقتات عند الخِرَقي، وعند ابن حامد يخرج ما يقتاته كلحم ولبن، وقيل: لا يعدل عنها بحال، والأصح للشافعية يتعين غالب قوت بلده إلا أن ينتقل إلى أغلى منه، وفروع هذه المسألة تطول، ولكن في هذا التنبيه كفاية. انتهى.

واختلفوا في قدر الواجب من كلٍّ؛ فاتفقوا على أنه صاع من كل جنس من الأجناس الخمسة إلا أبا حنيفة فإنه قال: يجزئ من البر خاصة نصف صاع، واتفقوا على أنه لا يجوز إخراج القيمة في زكاة الفطر إلا أبا حنيفة فإنه قال: يجوز، واختلفوا في الأفضل من الأجناس فقال مالك وأحمد: التمر أفضل من الزبيب.

وقال الشافعي: البر أفضل، وقال أبو حنيفة: أفضل ذلك أكثره ثمنًا.

وقال أحمد ومن وافقه: ويجوز أن يعطى الواحد يعني من الفقراء ما يلزم الجماعة، والجماعة ما يلزم الواحد، وروى ابن الجوزي في «التبصرة» و«النور»[1] بسنده عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الديلمي (٩٠١)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٦٥٣) وعزاه لابن شاهين في فضائل رمضان ونقل قوله: حديث غريب جيد الإسناد، وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٢٤): فيه محمد بن عبيد مجهول. وقال ابن حجر في «لسان الميزان» (٩٤٨): لا يتابع عليه.

«رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر» وقال في «النور»: «إن شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر»، قال الحافظ أبو الفضل ابن ناصر: هذا الحديث حسن عالٍ غريب عن معتمر بن سليمان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم عن جرير. . . فذكره.

ورُوي عنه أنه ﷺ قال: «زكاة الفطر؛ طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين؛ فمن أداها قبل الصلاة فهي صدقة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» رواه أبو داود[١] عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

فصل

فبادروا عباد الله رحمكم الله ساعات شهركم الباقية فإنه مُغْتَنَمٌ، واستدركوا ما مضى منه بالحسرة والندم واختموه بتوبة من سالف الزلل وأوبة إلى صالح العمل واسهروا ليلة عيدكم فإنها مكرَّمةٌ واجتهدوا فيها فإنها مُعظَّمة.

وقد روى ابن الجوزي[٢] بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحيا ليلتي العيدين وليلة النصف من شعبان؛ لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

وقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب «الزهد» بإسناده عن

---

(١) أبو داود (١٦٠٩) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (١٤٢٠).

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٧٨٢) عن أبي أمامة. قال البوصيري في «الزوائد»: إسناده ضعيف؛ لتدليس بقية.

زبيد أن عبد الرحمن بن الأسود كان يحيي ليلة الفطر ويقول: هي ليلة غفلة.

كم من أناس صلوا في هذا الشهر صلاة التراويح، وأوقدوا في المساجد -طلبًا للأجر- المصابيح، وملئوا بالعبادات المكان الفسيح ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح؛ اقتنصهم والله في آخره الصائد فقُهروا وأسرتهم (المصائب)[١] فأُسروا، (وغمسهم)[٢] التلف في بحاره فمُقلوا، ولم ينفعهم المال والآمال لما نقلوا. رحلوا والله عنها قدمًا قدما، ونقضوا ما بنوه من الدنيا هدمًا؛ أدارت عليهم المنون رحاها، وحلت وجوههم في الثرى فمحاها.

أعدمتهم والله صومًا وفطرًا، وجعلت قبورهم لمهب الرياح سطرًا، وزودتهم من الحنوط عطرًا، وأصبح كل منهم في اللحد شطرًا، وهذا حالك عن قريب فتيقظ، وهذا مآلك بعد قليل فاجتهد وتحفظ يا قليل الاعتبار؛ وكم قد سمع ورأى يا طويل الأمل؛ قد نأى، يا مشغولًا باللهو مفتونًا بالمنى، يا متعلقًا بما يوقن أن عقباه الفنا، أما تَعُد بتوبتك فقل لي متى؟ أما الشيب رسولًا من المنون قد أتى؟ أما أكثر العمر في التسويف قد مضى؟ أما أنت غرض لسهم القدر والقضا؟ يا من راح إلى المغاصي كثيرًا، وغدا الأمر مجموع وسينفصل غدًا، يا قليل الزاد وحادي رحيله قد حدا، تأهب للتلف وتهيأ للردى. ذهب عنك شهر

---

(١) في (ك): «الحصائد».

(٢) في (ك) «وأعمهم».

رمضان وودعك، وسارت فيه قوافل الصالحين وجهلك منعك، والتوبيخ متوفر وما أزعجك ولا أوجعك، وأنت تؤمل منازل العاملين بأفعال الغافلين فما أطمعك.

فصل

يا من أصبح ساعيًا إلى ما يضره متقدمًا وأضحى بناء أمله بكف أجله متهدمًا، ستعلم من يأتي غدًا حزينًا متندمًا، ويبكي بعد الدموع من الحسرات الدما، أأعددت عدة حازم لقبرك؟ أحصَّلت عملًا ينجيك في حشرك؟ أحفظت حدود صومك في شهرك أم هتكت حرمة الحمى؟ متى حضر قلبك في صلاتك؟ متى خرجت عن العادة في عباداتك؟ لقد تسلط الشيطان عليك بغفلاتك ولو تيقظت لما.

وكم صوم فسد فلم (يثقله)[1] به الفرض؟ وكم من صائم يفضحه الحساب والعرض؟ وكم من عاصٍ في هذا الشهر تستغيث منه الأرض وتشكو من أعماله السما؟ يا ليت شعري من المقبول ومن المردود، ومن المقرب ومن المطرود، ومن الشقي ومن المسعود؟

لقد عاد الأمر مبهمًا؛ لقد سعد في هذا بحراسة أيامه من كف جوارحه عن كسب آثامه، ولقد خاب من لم يتعلق فيه من صيامه إلا بالجوع والظما، لله در أقوام حرسوا بالتقى أيام شهرهم، وتدرعوا دروع المراقبة في صبرهم، وجمعوا بين الصدق والإخلاص في ذكرهم؛ فظهرت آثار الفوز منهما.

---

(١) كذا في النسختين، ولعل الصواب «يثقل».

صبروا باليقين على ظمأ الهواجر، ونصبوا أقدامهم على بساط الدياجر، وعملوا ليوم فيه القلوب لدى الحناجر؛ اعتقدوا أوقات النَّصَبِ مغنمًا قصدوا مولاهم ووقفوا بين يديه، ورفعوا حوائجهم في دياجي الليل إليه، وبسطوا ألسن الرجاء فتمنوا عليه؛ فأعطاهم مولاهم كلَّ ما تمنوا. لقد أصابوا الطريق وما أصبت، ولقد أجابوا داعيهم وما أجبت، يا عجبًا أيخرج رمضان وما انبْتَّ؛ هذا والله هو العمى؛ فاجتهد في لحاق القوم فقد جدوا، ولا ترض لنفسك دون ما أعدوا، وتنصَّت لحادي الرحيل فها هو يحدو؛ فإن اجتهدت أدركتهم وإن لم فما، وتيقظ لملك الموت فكأن قد هجم، وودع شهر رمضان فقد ذهب وانصرم، وتحقق أنه يشهد يوم الحسرة والندم لك وعليك أيها الغافل بما.

شعر في وداع رمضان:

دع البكاء على الأطلال (والدار)[1]

واذكر لمن بان من خِلٍّ ومن جاري

وأذر الدموع نحيبًا وابك من أسفٍ

على فراق ليالٍ ذات أنواري

على ليال لشهر الصوم ما جعلت

إلا لتمحيص آثامٍ وأوزاري

يا لائمي في البكا زدني به كَلَفًا

واسمع غريبِ أحاديثي وأخباري

---

(١) في (ق): «الداري».

ما كان أحسننا والشملُ مجتمع
منا المصلي ومنا القانتُ القاري
وفي التراويح للراحات جامعة
فيه المصابيح تزهو مثل أزهاري
شهر به ليلة القدرِ التي شرَفت
حقًّا على كل شهرٍ ذات أسراري
[تنزل الروح والأملاك قاطبة
بإذن ربٍ غفورٍ خالقٍ باري
شهر به يعتق الله العصاة وقد
أشفوا على(شرف من حصة)[١] الناري
فابكوا على ما مضى في الشهر واغتنموا
ما قد بقي فهو حقًّا عنكم جاري][٢]

عباد الله إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل، ولم يبق منه إلا القليل؛ فمن كان منكم أحسن فيه؛ فعليه التمام، ومن كان فرط فيه فليختمه بالحسنى؛ فالعمل بالختام، (فاغتنموا)[٣] فيه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام.

---

(١) الذي في المطبوع من المصادركتاب مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (٥٩/٢) (جُرُفٍ مِنْ خُطَّةِ).
(٢) سقط من (ق).
(٣) في (ق): «فاستمتعوا».

شعر:

سلام من الرحمن كل أوان
على خير شهر قد مضى وزمانِ

سلام على شهر الصيام فإنه
أمان من الرحمن أيُّ أمانِ

لئن فنيت أيامك الغر بغتة
فما الحزن من قلبي عليك بفانِ

يا شهر الصيام؛ ترفق دموع المحبين تدفق؛ قلوبهم من ألم الفراق تشقق. عسى وقفة للوداع تطفئ من نار الشوق ما أحرق، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق، عسى من استوجب النار يُعتق، وقال شعر:

عسى وعسى من قبل يوم التفرق
إلى كل ما نرجوا من (الخيرات)[1] نرتقي

فيقبلُ مردود، ويقبل تائب
ويُجبر مكسور، ويَسعد من شقي

فاستيقظ من رقدتك وغفلتك، وخذ لك زادًا لنقلتك، وشيع بقية شهرك بالتوبة والإنابة؛ لعلك أن يحصل لك قبول الإجابة، وتنالك الرأفة والرحمة، وتلحق بأهل المعرفة، وودعها بإرسال العبرات؛ لعلك تقال العثرات فكم من صائم لا يصوم غيره أبدًا، وكم من قائم لا يعود بعده أبدًا، العامل يعطى أجره عند فراغه من عمله، وقد فرغنا من العمل

(١) في (ق): «الخير».

فليت شعري من المقبول منا فنهنيه، ومن المردود منا فنعزيه، وقد قال ﷺ: «**رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**»[1]. [وقال في المعنى][2]:

السلام عليك يا شهر الصيام، السلام عليك يا شهر القيام، السلام عليك يا شهر الإيمان، السلام عليك يا شهر القرآن، السلام عليك يا شهر الأنوار، السلام عليك يا شهر العفو والغفران، السلام عليك يا شهر الدرجات، السلام عليك يا منجي من الدركات، السلام عليك يا شهر التائبين العابدين، السلام عليك يا شهر العارفين، السلام عليك يا شهر المجتهدين، السلام عليك يا شهر الأمان.

السلام عليك يا شهر القناديل والمصابيح الزاهرة، السلام عليك يا شهر العيون الساهرة والدموع الهاطلة والمحاريب المتعطرة، والعبرات المنسكبة المتقطرة، والأنفاس الصاعدة، من القلوب المحترقة، كنت للعاصين حبسًا، وللمتقين أنسًا، اللهم اجعلنا ممن قَبِلْتَ صيامه مع صلاته، وبدلت سيئاته بحسناته، وأدخلته برحمتك جناتك، ورفعت درجاته.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، واختم شهرنا بغفرانك، وجد علينا بألطاف إحسانك، وتغمدنا برحمتك ورضوانك واجعل مآلنا إلى جناتك، اللهم اجعل شهر رمضان شاهدًا لنا بأداء

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٨٧ .

(٢) مثبت من (ق).

فرضك، ولا تخزنا بقبائح أعمالنا يوم عرضك، ولا تجعلنا ممن تعب واجتهد فلم يرضك، اللهم ألهمنا الشكر على الصيام في الأيام الماضية، وأعد شهر رمضان علينا أعوامًا متوالية، وارزقنا «الزهد» في الدنيا الفانية، وارفع منازلنا في جنة عالية، قطوفها دانية، واجعلنا ممن يُنادى غدًا في الدار الباقية ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين، آمين.

المجلس الثامن عشر

في يوم عيد الفطر ومتعلقاته، ومواعظه وفقهياته

الحمد لله موفِّر الثواب للأحباب ومكمل الأجر، وباعث ظلام الليل يَنسخه نور الفجر، المحيط علمًا بخائنة الأعين وخافية الصدر، ومعلم الإنسان ما لم يعلم ولم يدر، المتعالي عن إدراك خواطر النفس، وهواجس الفكر، الموالي برزقه فلم ينس النمل في الرمل، والفرخ في الوكر، جل عن أن تناله أيدي الحوادث على مرور الدهر، وتقدس أن يخفى عنه باطن النفس وظاهر الجهر، مِنَّتُه تيجان الرءوس وقلائد النحر، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢]، أحصى عدد الرمل في الفيافي، والنمل في القفر، وشاء فأجرى كما شاء تقدير الإيمان والكفر.

أغنى وأفقر فبإرادته وقوع الغنى والفقر، وأصمَّ وأسمع فبمشيئته أدراك السمع ومنع الوقر، أبصر فلم يخف عليه دبيب الذر في البر، وسمع فلم يعزب عن سمعه دعاء المضطر في السر، وقدَّر فلم يحتج إلى معين يمده بالإعانة والنصر، وأجرى الأقدار كما شاء في ساعات العصر، قسم بين (عباده)[1] كما شاء أسباب العسر واليسر، وسيَّر الرزق في بحار الحكم، ولو يشاء لم يسر، هدانا إليه ودلنا عليه بتقديم البيان وسليم السبر، وخصنا من بين سائر الأمم بشهر الصيام والصبر، وغسَّل به

---

(١) في (ق): «الخلق».

ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطر، فله الحمد إذ رزقنا إتمامه، وأرانا عيد الفطر، أحمده حمدًا لا منتهى لعدده، وأشكره شكرًا لا يحصى موصول مدده، وأتوكل عليه توكل عبدٍ على سيده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة مخلص في معتقده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي نبع الماء من بين أصابع يده؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وتابعي مقصده؛ صلاة تدوم إلى يوم فرار الأب من ولده، وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم إنا نحمدك على كمال صومنا، ونشكرك على إدراك يومنا، ونرغب إليك في الخلاص غدًا من توبيخنا ولومنا، اللهم عُد علينا عيدنا أعوامًا كثيرة، واغفر لنا في يومنا هذا كل صغيرة وكبيرة، وخلص نفوسنا فهي في حبس هواها أسيرة، وسيِّرنا في طاعتك على أقوم سِيرة، وانفعني والحاضرين بأقوالي وأجْرِ الإخلاص في جميع أحوالي برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] قال المعافى في «تفسيره»: وفي من تزكى خمسة أقوال:

قيل: من تطهر من الشرك. وقيل: من أعطى صدقة الفطر ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾، أي صلاة العيد. وقيل: من كان عمله زاكيًا. وقيل: زكاة الأموال كلها. وقيل: تكثَّر بتقوى الله تعالى.

والزاكي: النامي الكثير قاله الزجاج.

فهذه خمسة أقوال، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾: يكبر في خروجه إلى العيد

حكاه القشيري. وقال الشيخ عبد القادر في «الغنية»: الفلاح على وجهين:

أحدهما: الفوز والنجاة من النيران في العقبى، ومن الآفات والبلايا في الأخرى.

والثاني: اليمن والسعادة بالتوفيق للطاعة في الدنيا، والخلود في الجنان في الأخرى. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]؛ يعني سعدوا، ونظيره ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] قال ابن عباس: يعني من تطهر من الشرك بالإيمان. وقال الحسن: من تزكى يعني من كان صالحًا، وعمله زاكيًا ناميًا. وقال أبو الأحوص: عني به ﷺ زكوات الأموال كلها.

وقال قتادة وعطاء: أراد به زكاة الفطر لا غير. ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾؛ معناه وحد الله تعالى وصلى الصلوات الخمس. وقال أبو سعيد الخدري: ذكر اسم ربه بالتكبير. فصلى؛ يعني خرج إلى العيد فصلى. وقال وكيع بن الجراح: زكاة الفطر لرمضان؛ كسجدتي السهو للصلاة.

وإنما سمي العيد عيدًا لأن الله تعالى يعيد إلى عباده الفرح والسرور في يوم عيدهم. وقيل: إنما سمي عيدًا؛ لأنه فيه عوائد الإحسان من الله وفوائد الامتنان. وقيل: لأنه يعود العبد فيه إلى التضرع والبكاء، ويعود الرب فيه إلى الهبة والعطاء. وقيل: لأنهم عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من الطهارة. وقيل: معناه عادوا من طاعة الله إلى طاعة الرسول، ومن

الفريضة إلى السنة، ومن صوم رمضان إلى صوم ستة أيام من شوال.

وقيل: سمي عيدًا لأنه يقال للمؤمنين: عودوا إلى منازلكم مغفورًا لكم. وقيل: إنما سمي العيد عيدًا؛ لأن فيه ذكر الوعد والوعيد، ويوم الجزاء والمزيد، ويوم عتق الإماء والعبيد، ووجود الإنابة والأوبة من العبد الضعيف إلى الغفور الودود. وقال وهب بن منبه: خلق الله الجنة يوم الفطر، وغرس شجرة طوبى يوم الفطر، واصطفى جبريل للوحي يوم الفطر، والسحرة وجدوا المغفرة يوم الفطر.

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا كان يوم الفطر، وخروج الناس إلى الجبانة؛ اطَّلع الله عليهم فيقول: عبادي لي صمتم، ولي صليتم؛ انصرفوا مغفورًا لكم**»(١) وذكر حديث أنس المتقدم عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالى إذا خرجوا يوم العيد للمصلى: ارجعوا مغفورًا لكم**».

فصل

قال الشيخ عبد القادر رحمه الله: وأربعة أعياد لأربعة أقوام؛ **أحدها**: عيد قوم إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بدليل قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩]، وذلك أن قومه خرجوا إلى عيدٍ لهم؛ فتخلف إبراهيم عليه السلام عنهم واعتلَّ بعلة ولم يخرج معهم؛ لأنه لم يكن على دينهم؛ فلما خرجوا أخذ فأسًا فكسَّر أصنامهم، وجاء بالفأس فوضعه على عنق الصنم الكبير، فلما رجعوا قالوا: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ

(١) تقدم تخريجه صـ ٤٨٥ .

﴿هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩] الآيات إلى قوله: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢] القصة إلى آخرها؛ فغار خليل الرحمن لربه ﷺ؛ فأتعب يده بكسر الأصنام، وخاطر بنفسه في ولاية رب الأنام؛ فأكرمه ربه بالخُلَّةِ، وأحيا على يديه الطيور الميتة، وأخرج من ظهره أهل الرسالة والنبوة، وجعله أبا المصطفى محمد ﷺ خير البرية.

وأما العيد الثاني: فهو عيد قوم موسى كليم الرحمن عليه السلام، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه: ٥٩]؛ لأنه زَيَّنَ موسى وقومه بإهلاك عدوهم فرعون وقومه؛ فخرج مع فرعون وقومه اثنان وسبعون ساحرًا، وقيل: ثلاثة وسبعون ومعهم ست مائة ألف عصا وحبل، وجعلوا في وسط العصي الزئبق، والخلائق قيام على الرمضاء، واشتد حر الشمس فسال الزئبق؛ فسعت العصا بالحبال فيُخيل للناس أنها حيات تسعى، وهي لا تتحرك فأوجس في نفسه خيفة موسى على قومه، وبما يتوهمون أن الذي فعلوه (حقًا)[1] فينقض إيمانهم ويرتدون، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧]، فألقى موسى عصاه؛ فإذا هي حية كأعظم جبل يكون، ولها عينان تتقدان نارًا، ودمدمة[2] وهيبة؛ فأقبلت على ما صنعوا من السحر والحبال والعصي؛ فتلقفتها يعني ابتلعتها بأسرها ولم تتغير؛ بانتفاخ بَطْنٍ ونقصان حركة، ولا زاد في طولها وعرضها؛ فأُلقي السحرة

---

(١) في (ق): «حق».

(٢) الدَّمْدَمَةُ: الغضب. انظر القاموس المحيط (١/ ١٤٣٢).

ساجدين لله ﷻ، وكان أكبرهم اسمه (شمعون)[1] فقالوا: آمنا برب هارون وموسى أي صدقناه، ثم أقبلت الحية على عسكر فرعون وقومه فانهزموا، وقيل: أنه مات منهم خمسون (ألفا)[2] . . . القصة بطولها.

وأما العيد الثالث: عيد عيسى عليه السلام وقومه وإليه الإشارة بقوله ﷻ: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، وذلك أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء إن سألته أن يعطيك؟ قال لهم عيسى: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، فإنها إن (تك)[3] ثم كذبتم بها عوقبتم، قالوا: نريد أن نأكل منها فقد جعنا، وتطمئن قلوبنا -يعني تسكن قلوبنا- إلى ما تدعونا إليه من الإيمان والتصديق، ونعلم أن قد صدقتنا بأنك رسول، ونكون عليها -يعني على المائدة- من الشاهدين عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

والحواريون؛ هم الذين أجابوا عيسى عليه السلام حين مرَّ بهم وهم ببيت المقدس يقصرون الثياب وهم اثنا عشر رجلًا لما قال لهم عيسى: مَنْ أنصاري إلى الله، قال الحواريون: نحن أنصار الله، فتركوا معيشتهم واتبعوا عيسى عليه السلام يسيحون معه أينما توجه من الأرض فيرون العجائب

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك): «نفسًا».

(٣) في (ق): «أنزلت».

والمعجزات حتى خرج معه خمسة آلاف بِطْرِيق[1] من بني إسرائيل، وسألوه المائدة مع الحواريين، فقال عيسى: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ يقول: تكون لمن كان في زماننا عند نزول المائدة، وتكون عيدًا لمن بعدنا، وتكون المائدة آية منك، وارزقنا -يعني المائدة- وأنت خير الرازقين من غيرك.

قال الله: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ -يعني المائدة- ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ -أي بعد نزول المائدة- ﴿مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فأنزلها الله عليهم يوم الأحد من السماء سمكًا طريًا، وخبزًا رقاقًا وتمرًا، وقيل: كانت سفرة فيها سمكة مشوية عند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وفيها خمسة أرغفة؛ على كل رغيف زيتونة، وخمس رمانات، وتمرات قد نُضِّدَ حولها من البقول ما خلا الكراث.

قال محمد بن البراء: أنزل الله مكتلًا فيه ثلاث سمكات، وثلاث أرغفة تطير بها الملائكة حتى وضعوها بين أيديهم، وهم ينظرون إليهم في الهواء، فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله وكلمته، أمن طعام الدنيا هو، أم من طعام الآخرة؟ -يعنون من الجنة- فقال عيسى: إنها نزلت من السماء فليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكن شيء قال الله له: كن فكان. قال الحواريون: لو أحييت

---

(١) هو القائد من قواد الروم يكون تحت قيادته عشرة آلاف. انظر «القاموس المحيط» (١/ ١١٢١).

لنا هذا السمك حتى يكون لنا آية؛ فدعا ربه فأحياه لهم فاضطربت السمكة بينهم، ثم عاد السمك على هيئته مشويًا، فقالوا: (كل)[١] أنت أول من يأكل منها وفرقوا؛ فدعا المساكين، والزمنى، والمرضى، فقال: كلوا واذكروا اسم الله فاستغنى كل فقير أكل منها يومئذ، وبرأ كل من كان به داء وعاهة.

قال: فأُنزلت عليهم [أربعين][٢] صباحًا؛ فكانت موضوعة، فإذا كان المساء رفعت إلى السماء وهم ينظرون إليها؛ فارتاب ناس فمسخ منهم خمسة آلاف وخمسمائة خنازير.

وذكر ابن كرامة البيهقي السمرقندي ﷺ في «تفسيره» عن سلمان الفارسي ﷺ قال: إن عيسى لبس جبة من صوف شعر وقام، ووضع يمينه على شماله، وطأطأ رأسه خاشعًا حتى سالت الدموع على لحيته وصدره، وهو يدعو ويتضرع، فنزلت مائدة فوقها منديل، والناس ينظرون وعيسى ينظر ويبكي ويقول: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة حتى استقرت المائدة بين يدي عيسى، والناس حوله، فقال عيسى: بسم الله فكشف المنديل فإذا هي سمكة مشوية لا شوك فيها، والودك يسيل منها، والخل عند رأسها، والملح عند ذَنَبها، وعليها أربعة أرغفة وعليها ألوان البقول إلا الكراث.

وعن عطية قال: كانت سمكة فيها طعم كل شيء، فقال: كلوا من

---

(١) كذا في (ق، ك) ولعل صوابها «كن».

(٢) مثبت من (ق).

رزق ربكم؛ فأكل منه ألف رجل، ويقال: خمسة آلاف.

هاهنا إشارة لطيفة، وهي أن هذه المائدة وضع عليها طعام محدود؛ صدر عنها الجم الغفير والجمع الكثير، وهي بحالها فكيف بمائدة الرضا وبساط الرحمة الذي لا حد له ولا نهاية؟

وأما العيد الرابع: فعيد أمة محمد ﷺ، وهو عيد الفطر وعيد الأضحى،وهما عيدا أهل الإسلام، وأهل دار السلام.

فصل في التكبير في العيدين

يستحب إظهار التكبير ليلتي العيدين في مساجدهم ومنازلهم وطرقهم؛ مسافرين كانوا أو مقيمين لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وفي الأضحى من صلاة الفجر يوم عرفة إلى العصر من أيام التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد العيد، وهذا مذهب الإمام أحمد ومن وافقه في ابتدائه وانتهائه، وأحد أقوال الشافعي ومذهب أبي يوسف ومحمد، وللشافعي قول ثانٍ: أن ابتداء التكبير من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق. وله قول ثالث: أن ابتداءه من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق كما سيأتي، وهو في الفطر آكد للآية.

قال القاضي شمس الدين ابن مفلح[1]: يسن التكبير ليلة الفطر خلافًا لأبي حنيفة ومالك، وإظهاره نصَّ عليه، وعند الخروج إلى صلاة العيد

---

(١) «الفروع» (٣/ ٢١١).

وفاقًا إلى فراغ الخطبة. وعن أحمد إلى خروج الإمام، وهو قول الشافعي، وعنه إلى وصوله المصلى. ولا يكبر عقيب المكتوبة في الأَشهر قاله في «الفروع»، وليس التكبير واجبًا، وقال داود: هو واجب في الفطر للآية.

ويستحب أن يغتسل يوم الفطر والأضحى، ووقت الغُسل بعد طلوع الفجر، قال القاضي الآمدي: إن اغتسل قبل الفجر لم يُصِبْ سنة الاغتسال. وقال ابن عقيل: المنصوص عن أحمد أنه قبل الفجر وبعده. ويستحب أن يتنظف، ويلبس أحسن ثيابه، ويتطيب ويتسوك لما روى الترمذي[1] أن النبي ﷺ قال: «**إن هذا يوم جعله الله عيدًا للمسلمين؛ فاغتسلوا، ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه، وعليكم بالسواك**» .

والسنة؛ أن يأكل في الفطر قبل الصلاة، ولا يأكل في الأضحى حتى يصلي، وإن كان له أضحية فليفطر على شيء منها. وقد روى البخاري في صحيحه[2] عن أنس قال: كان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، وفي رواية استشهد بها: ويأكلهن وترًا، وروى الترمذي والأثرم[3] عن بريدة قال: كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يفطر، ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي.

---

(١) الشافعي (٢٦٨) عن ابن السباق، ومن طريق الشافعي أخرجه البيهقي (٥٧٥٢) وقال: هذا هو الصحيح مرسل، وقد روي موصولا، ولا يصح وصله.

(٢) البخاري (٩١٠).

(٣) الترمذي (٥٤٢) وقال: حديث غريب.

والسنة؛ الفطر على التمر وترًا إن وجد تمرًا أو غيره، أو الماء.

[حكم صلاة العيد]

وصلاة العيد فرض على الكفاية في ظاهر مذهب أحمد؛ إذا قام بها من يكفي سقطت عن الباقين، وإن اتفق أهل بلد على تركها؛ قاتلهم الإمام وبه قال أصحاب الشافعي. وقال أبو حنيفة: هي واجبة على الأعيان وليست فرضًا؛ لأنها صلاة شرعت لها الخطبة فكانت واجبة على الأعيان كالجمعة.

وقال ابن أبي موسى: وقيل إنها سنة مؤكدة غير واجبة، وبه قال مالك وأكثر أصحاب الشافعي؛ لقول النبي ﷺ للأعرابي حين ذكر خمس صلوات قال: هل علي غيرهن قال: «**لا إلا أن تطوع**»[1]، وقوله: «**خمس صلوات كتبهن الله على العبد في اليوم والليلة...**» الحديث[2]، وأجاب القائلون بوجوبها في الجملة عن حديث الأعرابي: أن الأعراب لا تلزمهم الجمعة لعدم الاستيطان، فالعيد أولى.

وصفة التكبير شفعًا، وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وإمامنا أحمد ابن حنبل، وبه قال الثوري، وأبو حنيفة، وإسحاق: الله أكبر، الله أكبر،

---

(١) البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

(٢) من حديث عبادة بن الصامت أخرجه أحمد (٢٢٧٤٥)، وأبو داود (١٤٢٠)، والنسائي (٤٦١)، وابن ماجة (١٤٠١) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير المخدجي.

لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، كالأذان.

وقال الشافعي ومالك: يقول الله أكبر الله أكبر ثلاثًا، وعن ابن المبارك كالأول إلا أنه زاد؛ على ما هدانا لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(ولنا)[١] ما روى جابر عن النبي ﷺ التكبير كذلك، وهو قول الخليفتين وقول ابن مسعود كما تقدم.

والسنة؛ أن يصلي العيد في المصلى؛ أمر بذلك علي، واستحسنه الأوزاعي وأصحاب الرأي، وهو قول ابن المنذر وكان النبي ﷺ يخرج إلى المصلى، ويَدَعُ مسجده الشريف مع فضله، وكذلك فعل الخلفاء بعده رضي الله عنهم ولما تقدم: «**أن الملائكة تنادي يا عباد الله؛ اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل، ويغفر الذنب العظيم...**» الحديث، وحكي عن الشافعي إن كان مسجد البلد واسعًا؛ فالصلاة فيه (أفضل)[٢]؛ لأنه خير البقاع وأطهرها، وكذلك يصلي أهل مكة في المسجد الحرام؛ فإن كان عذر من مطر أو خوف وغيره صلوا في «الجامع».

والسنة أن يذهب في طريق، ويرجع في أخرى، وبه قال أبو هريرة: «**كان رسول الله ﷺ إذا خرج يوم العيد؛ ذهب في طريق، ورجع في أخرى**»، قال الترمذي[٣]: هذا حديث حسن.

---

(١) في النسختين «وأما»، والمثبت هو الصواب الموافق لما في المغني (٢/ ٢٧٠).

(٢) في (ق): «أولى».

(٣) الترمذي (٥٤١) وقال: حسن غريب.

وقال بعض أهل العلم: إنما فعل هذا ﷺ قصدًا لسلوك الأبعد في الذهاب؛ ليكثر ثوابه وخطواته إلى الصلاة، ويعود في الأخرى؛ لأنه أسهل وهو راجع إلى منزله. وقيل: كان يحب أن تشهد له الطريقان، وقيل: كان يحب المساواة بين الطريقين في التبرك بمروره بهم، وسرورهم برؤيته وينتفعون بمسألته، وقيل: لتحصل الصدقة من أصحابه الذين معه على أهل الطريقين من الفقراء. وقيل: ليتبرك الطريقان بوطئه عليها. وفي الجملة الاقتداء به سنة؛ لاحتمال بقاء المعنى الذي فعله من أجله، ويحتمل أن ذلك لكيد المنافقين به، ويحتمل غير ذلك.

ولا بأس أن يخرج النساء يوم العيد إلى المصلى، وقال ابن حامد: يستحب ذلك لما روي عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا: حق على كل ذات نطاق أن تخرج إلى العيدين. وكان ابن عمر يخرج من استطاع من أهله في العيدين. وروت أم عطية قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى؛ العواتق وذوات الخُدور فأما الحُيَّض؛ فيعتزلن المصلى، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال: «**لتلبسها أختها من جلبابها**»[1] متفق

---

(١) في نسخة (ق): . حاشية نصها: «قوله ﷺ: من جلبابها» قال النضر بن شميل: هو ثوب أقصر وأعرض من الخمار، وهي المقنعة تغطي به المرأة رأسها. وقيل: هو ثوب واسع دون الرداء تغطى به صدرها وظهرها. وقيل: هو كالملاءة والملحفة. وقيل: هو الازار. وقيل: الخمار قوله ﷺ لتلبسها أختها من جلبابها الصحيح =

عليه[١]، وهذا لرجاء بركة العيد وطهرته.

ورخص أهل الرأي للمرأة الكبيرة، وكرهوه للشابة لما في خروجهن من الفتنة. فينبغي للنساء إذا خرجن للعيد أو غيره؛ التستر والحياء والالتحاف والأدب، وأن لا تمس طيبًا ولا بخورًا؛ لئلا يشم الأجانب ذلك منها فإن فعلت ذلك فقد فعلت فعل الزانيات، وقد (جاءت سنة)[٢] رسول الله ﷺ بخروجهن إلى العيدين فإن خرجن فلا يتبرجن، ولا يبدين زينتهن للأجانب منهن، وليتقين الله تعالى، ويعلمن أنه يراهن ﷻ فيستحيين من نظره إليهن، والرجال بهذا الحال في المراقبة أولى.

مسألة: ولا يتنفل قبل صلاة العيد، ولا بعدها، سواء في ذلك الإمام والمأموم؛ هذا مذهب أحمد، وهو مذهب ابن عباس، وابن عمر، وروي ذلك عن علي، وابن مسعود، (وحذيفة)[٣]، وبريدة، وسلمة ابن الأكوع، وجابر، وابن أبي أوفى، وبه قال شريح، وعبد الله ابن معقل، والشعبي، ومالك، والضحاك، والقاسم، ومعمر، وابن جريج، ومسروق.

وقال الزهري: لم أسمع أحدًا من علمائنا يذكر أن أحدًا من سلف هذه الأمة كان يصلي قبل تلك الصلاة ولا بعدها؛ يعني صلاة العيد.

= أن معناه لتلبسها جلبابا لا يحتاج إلى عارية وفيه الحث على حضور العيد لكل أحد وعلى المواساة والتعاون على البر والتقوى.

(١) البخاري (٣١٨)، ومسلم (٨٩٠).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

وقال الشافعي: يكره التطوع للإمام دون المأموم لأن الإمام لا يستحب له التشاغل عن الصلاة (ولم يُكره للمأموم لأنه وقت لم يُنه)[١] عن الصلاة فيه؛ أشبه ما بعد الزوال.

ودليل الإمام أحمد ومالك، ومن وافقهما على ذلك ما في «الصحيحين»[٢] عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر فصلى ركعتين؛ لم يصل قبلها ولا بعدها. وروى ابن عمر نحوه، والصحابة رووا الحديث، وعملوا به وذلك تفسير له، وذلك يمنع الاستدلال بكونه إمامًا. وحكى ابن عقيل أن النبي ﷺ كان يكبر في صلاة العيد سبعًا وخمسًا ويقول: لا صلاة قبلها ولا بعدها رواه ابن بطة بإسناده، وإنما يكره التنفل في موضع الصلاة، وذلك والله أعلم؛ لئلا يعتقد الجهال فرضه فأما في غيره فلا بأس به.

مسألة: إذا لم يعلم بالعيد إلا بعد الزوال خرج من الغد فصلى بهم العيد، وهذا قول الأوزاعي والثوري وإسحاق وابن المنذر وصوَّبه الخطابي، وحكي عن أبي حنيفة أنها لا تقضى. وقال الشافعي: إن علم بعد غروب الشمس تقضى، وإن علم بعد الزوال لم تُصل؛ لأنها صلاة يشرع لها الاجتماع والخطبة فلا تقضى بعد فوات وقتها كصلاة الجمعة.

قال في «المغني»[٣]: ولنا ما روى أبو عمير بن أنس عن عَمومةٍ له من

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) البخاري (٩٢١)، ومسلم (٨٨٤)، والترمذي (٥٣٧) وقال: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح.

(٣) «المغنى» (٢/ ٢٤٤).

أصحاب النبي ﷺ أن ركبًا (جاءوا)[١] إلى النبي ﷺ؛ فشهدوا أنهم رأوا الهلال بالأمس؛ فأمرهم أن يفطروا فإذا أصبحوا أن يغدوا إلى مصلاهم رواه أبو داود[٢] . قال الخطابي: سنة النبي ﷺ أولى، وحديث أبي عمير صحيح؛ فالمصير إليه واجب.

مسألة: قال في المغني[٣]: وإن اتفق عيد في يوم جمعة؛ سقط (حضور الجمعة عن من صلى العيد إلا الإمام؛ فإنها لا تسقط عنه)[٤] إلا أن لا يجتمع له من يصلي بهم الجمعة، قيل: في وجوبها على الإمام روايتان، وممن قال بسقوطها عنه؛ الشعبي والنخعي والأوزاعي، وقيل: هذا مذهب عمر وعثمان وعلي، وسعيد وابن عمر وابن عباس وابن الزبير، وقال أكثر الفقهاء: تجب الجمعة لعموم الآية والأخبار الدالة على وجوبها، ولأنهما صلاتان واجبتان فلم تسقط إحداهما بالأخرى، كالظهر مع العيد.

لنا[٥] ما روى أنس بن أبي رملة قال: شهدت معاوية رضي الله عنه يسأل زيد ابن أرقم هل شهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتمعا في يوم؟ قال: نعم، قال: فكيف صنع؟ قال صلى العيد ثم رخص في الجمعة وقال:

---

(١) في نسخة (ق): كتب فوقها: «ت» للدلالة على ورود الروايتين: «جاءوا، جاءت».

(٢) أبو داود (١١٥٧).

(٣) «المغني» (٢/ ٢١٢).

(٤) مثبت من (ق).

(٥) «المغني» (٢/ ٢١٢).

«من شاء أن يصلي؛ فليفعل» رواه أبو داود ورواه الإمام أحمد[١] ولفظه: **«من شاء أن يجمع؛ فليجمع»** . وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«اجتمع في يومكم هذا عيدان؛ فمن شاء أجزأه من الجمعة، وإنا مجمعون»** رواهما ابن ماجة[٢].

وهذه مسائل يحتاج إليها المسلم المتدين، وينتفع بها ولا يستغنى عنها المتفقه في دينه، وقد لا يكون عنده كتب أصول هذه المسائل، وليقتصر على هذا القدر في هذا المكان والله المستعان.

فصل في المواعظ المتعلقة بيوم العيد والحكايات المتعلقة بمعناه

عباد الله أن يومكم هذا يوم العيد، قد مُيز فيه الشقي من السعيد، والخلق فيه بين قريب وبعيد، وبين مُرِيْدٍ ومَرِيْدٍ، وبين مقرب وطريد، ما أحسن حال من خلعت عليه خُلع القبول لأدبه، وبلغ غاية مقصوده ونهاية طلبه، وما أشقى من رد عليه ماضي صومه وسالف تعبه، ولم يحظ في سلفه إلا بشدة نصبه.

إنما السرور غرور، إلا بيقين الأجور، فيا عجبًا كيف يفرح بالعيد

---

(١) أحمد (١٩٣٣٧)، وأبو داود (١٠٧٠) وقال: شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة إياس بن أبي رملة الشامي؛ ذكره الذهبي في الميزان وأشار إلى هذا الحديث. قال الشيخ الألباني: صحيح

(٢) ابن ماجة (١٣١١). قال البوصيري: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

مطرودٌ مهجور، واعلموا أن يومكم مُكرَّم، وهو عند الله مُشرَفٌ مُعَظَّم، نرجو من الله فيه الثبات على التوحيد إلى الممات، وإثبات الحسنات وتكفير السيئات، فشتان بين عيد المسلمين وعيد الكافرين، فالمؤمن عيده لرضا الرحمن، والكافر عيده لرضا الشيطان.

المؤمن يذهب إلى عيده وعلى رأسه تاج الهداية، وعلى عينيه علامة العبرة، وعلى أذنيه استماع الحق وعلى لسانه الشهادة بالتوحيد، وفي قلبه المعرفة واليقين، وعلى عنقه رداء الإسلام، وفي وسطه منطقة العبودية، ومعدنه المحاريب والمساجد، ومعبوده رب العباد والبرية، ثم التضرع منه والسؤال، ويقابله الرب ﷻ بالإجابة والنوال، ثم تحلة دار الكرامة والجنان.

والكافر يذهب إلى عيده، وعلى رأسه تاج الخسران والضلال، وعلى أذنه ختم الغفلة والحجاب، وعلى عينيه علامة السهو والشهوات، وعلى لسانه ختم الشقاوة والإبعاد، وعلى قلبه ظلمات النكرة والجحود، وعلى وسطه زنار الفرقة والشقاق، وموضعه البيعة والكنائس أو بيت النار، ومعبوده الوثن والأصنام، ومصيره أخيرًا إلى جهنم والنيران.

واعلم أنه ليس العيد بلبس الناعمات وأكل الطيبات، ومعانقة المستحسنات، والتمتع باللذات والشهوات، لكن العيد بظهور علامة القبول للطاعات، وتكفير الذنوب والخطيئات، وتبديل السيئات بالحسنات، والبشارة بارتفاع الدرجات، والخِلع والطرف[1] والهبات

---

(١) جمع طرفة وهي المستحدث من المال. انظر «مختار الصحاح» (١/ ٤٠٣).

والكرامات، وانشراح الصدور بنور الإيمان، وسكون القلب بقوة اليقين، وما ظهر عليه من العلامات، وانفجار بحار العلوم من القلوب على الألسنة، وأنواع الحكم والفصاحة والبلاغات.

وحكي أن رجلا دخل على عليّ بن أبي طالب ﷺ في يوم عيد وهو يأكل الخبز الخُشكار[١] - فقال: له اليوم يوم العيد وأنت تأكل الخشكار، فقال: اليوم عيد (لمن قبل صومه، وشكر سعيه وغفر ذنبه، اليوم لنا عيد)[٢] وغدًا لنا عيد، وكل يوم لا يعصى فيه الله فهو لنا عيد.

وحكي أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رأى ولدًا له في يوم عيد، وعليه قميص خَلِقٍ فبكى، فقال له: ما يبكيك؟ كُسر قلبك يا بني في يوم العيد؛ إذ رآك الصبيان بهذا القميص الخَلِق، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، وعق أمه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى راضيًا عني برضاك فبكى عمر بن عبد العزيز وضمه إليه، وقَبَّل بين عينيه، ودعا له؛ فكان أزهد الناس بعده.

وحكي أنه دخل تلميذ الحسن البصري في يوم عيد على رابعة يسلم عليها عن الحسن؛ فرآها جالسة على قطعة حصير خليع، وعليها مدرعة[٣] من صوف خليعة، وهي تأكل الهندباء والنخالة؛ فلما نظر إليها

---

(١) الخشكار بضم الخاء: خبز الحنطة وهى أعجمية. «تاج العروس»(١/ ٢٩٦٤)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢/ ١٦٨).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) ثوب لا يكون إلا من صوف. انظر «القاموس المحيط» (١/ ٩٢٣).

بكى، فقالت: يا هذا ما يبكيك؟ قال: مثلك في يوم العيد هذا نومه، وهذا غطاؤه وهذا غذاؤه، فقالت: يا هذا، وما يوم العيد عندك؟ قال: يوم يترفَّه فيه الناس، ويخلدون إلى رائق العيش. فقالت: يا هذا؛ ذلك عيد الغافلين في الدنيا، إنما العيد لمن غفر له المولى. ، قال: فخرج من عندها فقال لبعض جيرانها من الأغنياء: أما تستحي في جوارك مثل رابعة، وهي على تلك الحالة، قال: إنها لا تقبل مني شيئًا، ولا طعامًا ولا كسوة؛ فإن قبلت مني شيئًا على يدك شكرت سعيك. فقال: هات ما عندك فسلم إليه خرقة فيها مائة دينارًا فقال: أعطها إياها قال: فلما دخل عليها ووضعها بين يديها، فقالت: ما هذا وهذه؟ فقال لها: هذه مائة دينارًا من جارك فلان. فقالت: أو قد أعلمته أنت بما قد رأيت من حالي أهكذا علمك الحسن البصري؟ مثلك من استأمنه الناس على أسرارهم؛ خذها وأعدها إلى صاحبها، وقل له: لا ينغص عليّ عيدي ولا تعد تدخل عليَّ، قال: فأخذتها وأنا أَذَلُّ الناس؛ فلما خرجتُ (ضرب)[1] وجهي حائط بيتها فسال دمي، وأعدت الخرقة إلى صاحبها. فقال لي: ألم أقل لك؟ ثم أقبلت إلى الحسن البصري فقلت: يا شيخ، رجل سعى في طاعة فسال دمه؟ فقال الشيخ: لعله قصد وقتًا صافيًا فكدره، فأخبره بالقصة فتعجب وقال: مثل رابعة من فعل هذا في حقها هي والله سيدة زمانها.

فانظر إلى همة هذه المرأة كيف قالت: إنما العيد لمن غفر له المولى

---

(١) في (ك): «لطم».

وما أحسن ما قالت؛ فإن العيد في الحقيقة لمن يأمن مهالك الوعيد، وخاف مواقع التهديد، ليس العيد لمن اهتم بالجديد، وأكل طيب اللحم، وافتخر بما أوتي من المال والجاه والعبيد، وجاءته الدنيا موسعة كما يريد، وأنشدوا:

الناس بالعيد قد سُرُّوا وقد فرِحوا
وما سررت به والواحد الأحدِ
لما تَيقَّنت أني لا أُعاينكم
غضضت طرفي لم أنظر إلى أحدِ

يا أخي؛ من لم يتحقق قبول طاعته وخلاصه من وعيده؛ فليس ممن يفرح ويسر بيوم عيده؛ لأن العيد لمن أمن شديد عذابه لا لمن تأنق في طعامه وشرابه، العيد لمن حفي من الله بروحه، لا لمن تعطر بأرج العرف وريحه، العيد لمن غفرت له الخطايا، لا لمن ركب الجياد والمطايا، العيد لمن خاف يوم النشور، لا لمن يخرج بالمطوي والمنشور، العيد لمن حظي بالأجر والثواب، لا لمن تخطَّر في الملابس والثياب، وأنشدوا:

عيدي مقيمٌ وعيدُ الناس منصرفُ
والقلبُ مني عن اللذات منحرفُ
ولي قرينان ما لي منهما خَلَفٌ
طول الحنينِ وعينٌ دمعها يَكِفُ

وحكي عن بشر الحافي رحمه الله أنه رآه الناس في يوم عيد جالسًا على طرف الجبانة يدعو فقيل له: لم لا تتقدم إلى المصلى؟ فقال: أنا اليوم جئت سائلًا للرحمة، وهذا مقام السائلين؛ فأقف هاهنا لعله يرحمني، ويغفر لي فيتحقق عيدي، ثم بكى وقال: إلهي جئناك لنرضيك فليتنا لم نعصيك فلما قيل له: ألا تدخل البيت؟ فبكى. وأنشد:

يفرحُ بالعيد من له سكنٌ
يأوي إليه ومن له وطنُ
ومن له الأهلُ والبنونُ ومن
منزلَهُ منه منزلٌ قَمِنُ
لا المفردون المحسرون ومن
يألفه الهمُّ فيه والحزَنُ

وعلى الحقيقة أن المهجور لا يفرح بالأعياد، ولا يطمئن إلى الأهل والأولاد، وينشد:

قد مر عيدٌ وعيد فما
اخضر لي فيه عُودُ
وكيف يخضر عُود
والماء منه بعيدُ

فيا أيها المهجور في هذا العيد؛ إن وصلت فحبذا العيد، وإن دام هجرك فعد إلى النوح والتعديد بلسان العاشق الصبِّ العميد، وترنم مطربًا بالتغريد والنشيد، شعر:

أيُّ عيدٍ لمن جفاه الحبيب
أيُّ عيدٍ بلا حبيب يطيبُ

غاب عني عيدُ السرورِ فما لي
بعده من سرور عيدٍ نصيبُ
من جفاه الحبيبُ مذ غاب لا غاب
فطيب الحياةِ عنه يغيبُ

معاشر المهجورين؛ كيف أنتم في هذا العيد؟ معاشر المحبين كيف صبرتم والحبيب بعيد؛ من فارقه الأحباب وتشتتوا في البلاد، وانقرضوا لشقاوته فصاروا في الألحاد، أنى يفرح في أيام الأعياد، شعر:

قالوا أتى العيد فاستبشِرْ به فرحًا
فقلت ما لي ومالِلعيد والفرحِ
قد كان ذا والنوى لم يمسِ نازله
مَحلتي وغراب البين لم يَصِحِ

وحكي أن رجلا شاعرًا وقف على الشبلي في يوم عيد وقال: يا شيخ؛ اسمع مني ما أقول، فقال له: قل. فقال:

إن العيال والدَّين
هما في القلب غمَّين
فهلّا ملك العرش
كفاني هَمَّ هذين

فزعق الشبلي وخرق أطماره[1] وقال:

---

(١) جمع طمر بالكسر؛ الثوب الخَلِق أو الكساء البالي. «القاموس المحيط» (١/ ٥٥٤).

حـــزيـــنٌ مـــن مـــكـــانـــيـــن
مـــن الـــهُـــجـــران والـــبَـــيـــن
فـــفـــي هـــذيـــن لـــي شُـــغـــلٌ
كـــفـــانـــي هـــمَّ هـــذيـــن

وحكي عن الشبلي رحمه الله أنه اجتاز يوم عيد في طريق المصلى على مسجد مهجور، قال: فصليت فيه ركعتين، وسلمت عن يميني، فإذا أنا بشاب جالس ورأسه في زيقه[1]، فسلمت عليه وقلت: يا فتى، أما تصلي العيد؟ قم فقد حان وقت الصلاة. فنهض معي إلى المصلى، فلما صلى الناس، وتخلفوا من الصلاة عدت مجتازًا بالمسجد؛ فإذا بذلك الفتى جالسًا تلك الجِلسة الأولى، فقلت: يا فتى ما بالك عدت من المصلى إلى المسجد، وهو يوم عيد أما تنصرف إلى منزلك؟ فقال لي: يا شيخ ليس لي منزل، أنا غريب بعيد الدار، ثم بكى فبكيت لبكائه، وقلت له: قم معي إلى منزلي. فزاد بكاؤه، ثم قال لي: هيهات هيهات أتريد أن تحرمني في مثل هذا اليوم ثواب القربة؟ امض لحالك. قال: فنهضت، وأنا مشغول القلب بحاله فسمعته ينشد:

لـــلـــنـــاس فِـــطـــرٌ وعـــيـــدٌ
أنـــا الـــغـــريـــبُ الـــوحـــيـــدُ
يـــا غـــايـــتـــي ومُـــنـــاي
أتـــمَّ لـــي مـــا أريـــدُ

طوبى للغرباء والأيتام في مثل هذه الليالي والأيام؛ كلما رأوا الأفراح

---

(١) زِيقُ القميص؛ هو ما أحاط بالعنق. انظر «مختار الصحاح» (١/ ٢٨٠).

انكسروا، وكلما رأوا الأهل والأوطان تحسروا.

وحُكي عن صالح بن عبد الجليل أنه كان إذا انصرف يوم الفطر جمع عياله وقعد يبكي فيقول إخوانه: هذا يوم سرور، فيقول: صدقتم، ولكني عبد أمرني سيدي أن أعمل له عملا فعملته؛ فلا أدري قبله مني أم لا فالأولى بي طول الحزن(١).

فصل

وينبغي للعبد أن يطعم في هذا اليوم الطعام للفقراء والمساكين، وإخوانه المسلمين مهما أمكنه. وروى [ابن الجوزي](٢) بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا يوم الفطر أن نفطِّر الفقراء من إخواننا قال: وكان يقول: «**من فطَّر واحدًا يعتق من النار، ومن فطر رجلين كتب له براءة من الشرك، وبراءة من النفاق، ومن فطر ثلاثة، وجبت له الجنة وزوجه الله من الحور العين**». قال: وكان يأمرنا أن نطعم الخبز واللحم، والزيت والخبز واللبن يعني كيفما تيسر

---

(١) هذه القصة والتي قبلها وما شابهها في كتب الزهد كثيرة جدًا، وهي وإن كانت فيها بعض الهمسات الإيمانية، ولكنها على خلاف هدي النبي ﷺ إذ كان هديه ﷺ في العيد نشر معاني الفرح والسرور، وإقرار الرياضة النافعة والترفيه المنضبط قال ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٤٤٣) وهو يشرح حديث غناء الجاريتين يوم العيد ولعب أهل الحبشة بالحراب فيه: وفي هذا الحديث من الفوائد؛ مشروعية التوسعة على العيال في أيام الاعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة، وأن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين.

(٢) مثبت من (ق) وهو في «التبصرة» (٢/ ١٠٧).

هكذا أو هكذا. ذكره في «التبصرة» وكتاب «النور».

وقد أثنى الله تعالى على مطعم الطعام بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] قيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ أجرَّ نفسه ليسقي نخلا بشيء من شعير ليلة حتى أصبح؛ فلما قبض الشعير طحن ثُلثه، وأصلحوا منه شيئًا يأكلونه؛ فلما استوى أتى مسكين فأخرجوه إليه، ثم عمل الثُلث الثاني، ثم أتى يتيم فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي؛ فلما استوى جاء أسير من المشركين فأطعمه وطووا يومهم ذلك فنزلت الآيات رواه عطاء عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في أبي الدحداح الأنصاري صام يومًا؛ فلما أراد الإفطار جاء مسكين ويتيم وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيف واحد؛ فنزلت فيهم هذه الآية. ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير».

ورويت صلوات لليلة العيد وليوم العيد ليس فيها شيء يثبت ولا يصح كذا قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في «التبصرة» وغيره فلهذا لم أذكرها هنا.

فصل

يا من يفرح بالعيد لتحسين ثيابه ولباسه، ويوقن بالموت وما استعد لبأسه ويغتر بإخوانه وأقرانه وجُلَّاسه، وكأنه قد أمن سرعة اختلاسه، كيف تسر بالعيد عينُ مطرودٍ عن الصلاح، كيف تضحك سِن مردودٍ عن الفلاح، كيف يسر من يُصر على الأفعال القِباح، كيف لا يبكي من فاته جزيل الأرباح، النوح أحق بك من السرور يا مغرور، والحزن أجدر بك

من جميع الأمور، والجد أولى بك من التواني والفتور، كيف يسر بعِيده من تاب ثم عاد، كيف يفرح بأيامه منْ آثامه في ازدياد.

رُوي عن إبراهيم بن موسى قال: رأيت فتحًا الموصلي -رحمة الله عليه- يوم عيد، وقد رأى على الناس الطيالس والعمائم فقال لي: يا إبراهيم، إنما ترى ثوبًا يبلى، وجسدًا يأكله الدود غدًا، هؤلاء قوم قد أنفقوا خزائنهم على بطونهم وظهورهم، ويقدمون على ربهم مفاليس.

ونظر بعض العلماء يوم الفطر إلى الناس، وشُغلهم بما هم فيه من الأكل والشرب واللباس فقال: لئن كانوا هؤلاء قد أنبأهم الله ﷻ أنه قد تقبل صيامهم وقيامهم؛ لقد كان ينبغي لهم أن يكونوا أصبحوا مشاغيل بأداء الشكر، وإن كانوا يخافون أنه لم يتقبل منهم؛ فقد كان ينبغي لهم أن يكونوا أشغل وأشغل.

قال المروزي: دخلت على أبي بكر ابن مسلم يوم عيد، فوجدته عليه قميص مرقع وقدامه قليل خرنوب يقرضه، فقلت: يا أبا بكر؛ يوم عيد الفطر تأكل الخرنوب؟ فقال لي: لا تنظر إلى هذا، ولكن انظر إن سألني الله من أين لك هذا؟ أي شيء أقول. فهذا حال من يحاسب نفسه على الحلال، وكان الشبلي يوم العيد ينوح ويصيح ويصرخ، وعليه ثياب سود وزرق فاجتمع الناس إليه فسألوه عن نوحه وبكائه، فقال:

تزيَّن الناس يوم العيدِ للعيد
وقد لبست ثياب الزُرقِ والسودِ
وأصبح الناسُ قد سُروا بعيدهم
ورحتُ فيك إلى نوحٍ وتعديدِ

فالناس في فرحٍ والقلب في ترحٍ
شتانَ بيني وبين الناس في العيدِ

وحكي عنه أيضًا أنه رئي يوم عيد خارجًا من المسجد وهو يقول هذا البيت:

إذا ما كنت لي عيدًا
فما أصنعُ بالعيدِ
جرى حبك في قلبي
كجري الماء في العودِ

اسمع يا من عزم على المعاصي في شوال أللشهر احترمت أم لرب الشهر؟ ويحك رب الشهرين واحد، تقول أُصلحُ رمضان وأُفسدُ غيره؛ عزمك في رمضان على الزلل في شوال أفسد رمضان.

قال بعض أهل الغفلة والضلال من الأغنياء الجهال: الموعظة في شوال كالقبلة بعد الإنزال، وما أبشع هذا المقال، وأشنع قبح هذا الحال، وهذا دليل الطرد والحرمان، وإفساده نية صوم رمضان.

وأنشأ الشبلي يوم العيد يقول شعر:

ليس عيدُ المحبِ قصد الُمصلى
وانتظار الخطيبِ والسلطانِ
إنما العيد أن تكون لدى الحِبِّ
كريمًا مقربًا في أمانِ

يا من وفَّى رمضان على أحسن حال؛ لا تغترن بعده في شوال. لله در أقوام؛ أعيادهم سرور القلوب بالمحبوب، وأفراحهم بكمال التقى بترك

الذنوب، أعيادهم بقرب القلوب إلى المحبوب دائمة، وأقدامهم في الدجى (على أبواب الرجا قائمة، وأرواحهم لشدة الاشتياق إلى الكريم الخلاق)(١) هائمة؛ قرَّبهم مولاهم وأدنى؛ فالنفوس عن الفاني الأدنى صائمة.

قال الشيخ عبد القادر: ينبغي للعاقل أن يترك النظر إلى الظاهر ولا يتقيد به، وينظر في يوم العيد نظر التفكر والاعتبار؛ فيشبّه العيد بيوم القيامة؛ فليذكر نفخ الصور يوم القيامة عند سماعه صوت بوق السلطان ليلة العيد؛ يعني دق البشائر إذا دقت، وإذا بات الناس ليلة العيد ورقدوا منتظرين للعيد متأهبين له؛ يذكر الرقود بين النفختين.

وإذا رأى الناس صبيحة يوم العيد، وقد خرجوا من قصورهم، وبيوتهم مختلفي الأحوال متفاوتي اللباس والألوان؛ كل له زي وحلية واحد مسرور وواحد مغموم، وواحد راكب وآخر ماشٍ، وواحد غني وآخر فقير، واحد في فرحه، وآخر في ترحه؛ فليذكر تفاوت أهل القيامة؛ أهل الطاعة مسرور وأهل المعصية مغموم، المتقي راكب، والمجرم المشرك متعثر مكبوب، على وجهه مسحوب، أو ماش كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، والزاهد والعارف (والبدل)(٢) كل واحد في راحة وغنى عند مليكهم ومحبوبهم تحت ظل العرش، عليهم الحلل والحلى، وأنوار الطاعات، والمعارف على

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

وجوههم (ظاهرة)[1]، وهي نضرة مشرقة، وبين أيديهم موائد عليها أنواع الأطعمة والأشربة والفواكه حتى ينقضي حساب الخلائق، ثم يسيرون إلى الجنة إلى منازلهم التي أعدها الله لهم، وفيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وإذا رأى الأعلام قد نشرت والألوية قد ضربت، فليذكر أهل الإسلام أصحاب الأعلام حين ينادي منادي الرحمن بالتوجه إلى زيارة رب الأنام إلى دار السلام بأمر السلام. وإذا رأى الصفوف قد استكملت، والخلائق قد اجتمعت؛ فليذكر وقوف الخلائق بين يدي الجبار، وصفوف الفجار والأبرار يوم النشور؛ الذي فيه تظهر الأسرار. وإذا رأى الناس قد انصرفوا من الجبَّان، فكل يرجع إلى ما قسم له من دار أو مسجد أو خان؛ فليذكر منصرف الخلائق من بين يدي الملك الديان إلى الجنة أو النار كما قال ذو العظمة والامتنان: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤] ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وقال عمر بن عبد العزيز وقد وقف بعد صلاة العيد: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٥٦] (فإن كنت من المحسنين)[2] فارحمني، وإن لم أكن من المحسنين فقد قلت

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

وقولك الحق: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] وإن لم أكن من المؤمنين فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة، فاغفر لي وإن لم أكن مستحقًا لذلك فأنا صاحب مصيبة وقد قلت: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] إلهي فارحمني.

شعر:

بحرمة غربتي كم ذا الصدودُ
ولا تعطف عليَّ ولا تجودُ
سرور العيدِ قد عمَّ النواحي
وحُزني في ازديادي لا يبيدُ
فإن كنت اقترفت خِلال سوءٍ
فعُذري في الهوى أن لا أعود

وأنشد:

بحرمة يوم العيد لا تنس عبدكا
ولا تجعلنه في العصاة فيهلكا
فإن فاته في اليوم منك تكرُّمٌ
فمن ذا الذي يلقاهُ باللوم إن بكى

قال وهب بن منبه: خرج ثلاثة من الأخيار إلى عيد لهم؛ فقال أحدهم: اللهم إنك أمرتنا أن نعتق من أرقائنا، ونحن عبيدك؛ فأعتق رقابنا من النار. وجلس، وقال الآخر: اللهم إنك أمرتنا فيما أنزلت أن لا نرد المساكين، وأن نصَّدق عليهم. وقال الثالث: ونحن مساكينك فلا تردنا خائبين في مثل هذا اليوم، ونحن نسأل الله تعالى أن يتفضل علينا

بالعفو والغفران، والفوز بالجنة والنجاة من النيران.

اللهم ألبسنا من نورك، وعلِّمنا من علمك، وارزقنا الفهم عنك، والرجوع إليك، والتوكل عليك، والاشتغال بك، والسعي في مرضاتك حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا يا أكرم الأكرمين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل محمد وعُدْ علينا في عيدنا باعتدال سيرنا، وقابل إقبالنا على القبول منك بحراستنا عن غيرنا، وسُرَّ أسرارنا بسرور يُسِّري بنا عن كَدَرِنا، وقص ذيول تقصيرنا بحَجر تقواك قبل فراق قصورنا وحُجَرِنا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

المجلس التاسع عشر

في شوال المبارك وإتباع رمضان بصيام ستة أيام منه وفضلها واختلاف العلماء -رضي الله عنهم أجمعين-

الحمد لله الذي أسكر قلوب أوليائه بسُلاف محبته فهاموا، وقيد جوارحَ جوارحِهم عن صيد الشهوات فاستقاموا، وكحَّل عيون عيونهم بمراود إيراد الأوراد فما ناموا، وقوَّى قواعد طلبهم لمناجاته فداموا، وأجرى عيون دموعهم؛ ففي بحار نحيبهم عاموا، وأنزلهم حمى الحماية بلطفه ففيه أقاموا، منعهم بحلاوة ذوق المعالي؛ لذة الطعام والشراب فصاموا، قطع بسيف العناية علائقهم فغيرَه ما راموا؛ صبَّروا أنفسهم وأجسادهم على ملازمة الطاعات فداموا.

وكشف عن بصر بصيرتهم غلاف الغفلة فعلى حين حياتهم حاموا، وأنزلهم رَوَضَات التلاق فبين أفنان فُنُونها أقاموا، فسبحان من حجب بصائر الغافلين عن مشاهدة أحوال الطائعين فهم بغفلتهم في حال يقظتهم قد ناموا، أحمده والإنس والجان والأملاك ببعض محامده ما قاموا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنقذ قائلها من خزنة الجحيم إذا هم لأخذه قد راموا.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي لم تأخذه في الله لومة اللائمين حين لاموا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وتصدقوا، وصلوا، وصاموا، وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم

صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وقوِّمنا على الطاعة، واجعلنا من الملازمين للاقتفاء بالسنة والجماعة، وخذ بنواصينا إلى مرضاتك في كل لحظة وساعة، وحقق لنا بتحقيق خدمتك أوراد العبادة؛ لتكون لنا عندك أشرف بضاعة، وانفعني بما أوردتَ على لساني، وجميع المسلمين وإخواني برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل

عباد الله خذوا في طاعة ربكم الكبير المتعال، وشيعوا رمضان بصوم ستة أيام من شوال؛ فقد تصدق الله تعالى عليكم بأنواع الطاعات والعبادات في ذلك الشهر، وجعل صومها بعده كصيام الدهر، فيا سعادة من أطاع مولاه، ويا خيبة من تمرد عليه وعصاه، ويا ربح من انتقل من أداء فرضه إلى نوافله، وتزود للرحيل قبل مسير قوافله، وتزود من التقوى بالجزيل؛ فالسعيد من اغتنم هذه الأرباح، وعامل الله في الغدو، والرواح بحيث لا يفوته وقت من الأوقات إلا وقد تزود فيه أنواع التقربات؛ فيفرح بذلك إذا نزل إلى قبره، ويفوز بالأجر الوافر يوم حشره.

وقد ثبت في «صحيح مسلم»[(١)] قال: حدثنا يحيى بن أيوب، وقتيبة، وابن حجر جميعًا عن إسماعيل بن جعفر، أخبرني سعد بن سعيد ابن قيس، عن عمر بن ثابت بن الحارث الخزرجي، عن أبي أيوب

---

(١) مسلم (١١٦٤).

الأنصاري أنه حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان، وأتبعه ستًّا من شوال؛ كان كصيام الدهر**» قال الشيخ محيي النووي في شرح مسلم[١]: في هذا الحديث دلالة ظاهرة لمذهب الشافعي وأحمد وداود وموافقيهم في استحباب صوم هذه الستة، وقال مالك وأبو حنيفة: يكره ذلك.

قال مالك في الموطأ: ما رأيت أحدًا من أهل العلم يصومها؛ فيكره لئلا يظن وجوبه. ودليل الشافعي وموافقيه هذا الحديث الصحيح الصريح، وإذا ثبتت السنة فلا تترك لترك بعض الناس أو أكثرهم أو كلهم لها. وقولهم: قد يظن وجوبها ينتقض بصوم عرفة وعاشوراء وغيرهما من الصوم المندوب.

والأولى أن تصام الستة متوالية عقيب يوم الفطر؛ فإن فرقها أو أخرها عن أول شوال إلى آخره حصلت فضيلة المتابعة؛ لأنه يَصْدُق أنه أتبعه ستًّا من شوال. قال العلماء: وإنما كان ذلك كصيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها فصيام رمضان بعشرة أشهر والستة بشهرين. وقد جاء في سنن النسائي قوله ﷺ: «ستًّا من شوال» صحيح، ولو قال سته بالهاء جاز. قال أهل اللغة: صمنا خمسًا وستًّا وخمسة وستة، وإنما يلتزمون إثبات الهاء في المذكور إذا ذكروه بلفظه صريحًا فيقولون: صمنا ستة أيام (ولا يجوز ست أيام)[٢] فإذا حذفوا الأيام جاز الوجهان. انتهى.

---

(١) شرح مسلم للنووي (٥٦/٨)

(٢) مثبت من (ق).

وقال العلامة ابن قيم الجوزية في «الهدي النبوي»[١]: وأما صيام ستة أيام من شوال فصح عنه ﷺ أن صيامها يعدل صيام الدهر. انتهى.

وقال شمس الدين ابن مفلح في «الفروع» له[٢] في باب صوم التطوع: ولمسلم وغيره من رواية سعد بن سعيد عن عمر بن ثابت عن أبي أيوب مرفوعًا: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال؛ فذاك صيام الدهر**» قال سعد: مختلف فيه، وضعفه أحمد.

ورواه أبو داود عن النفيلي عن عبد العزيز -وهو الدورقي- عن صفوان بن سليم وسعد بن سعيد عن عمر... فذكره، وهو إسناد صحيح. وكذا رواه النسائي عن خلاد بن أسلم عن الدراوردي، ورواه[٣] أيضًا من حديث يحيى بن سعيد عن عمر لكن فيه عتبة بن أبي حكيم مختلف فيه، ورواه أحمد أيضًا من حديث جابر مرفوعًا، وكذا من حديث ثوبان[٤] وفيه: «**وستة أيام بعد الفطر**»؛ فلذلك استحب أحمد والأصحاب -رحمهم الله- لمن صام رمضان أن يتبعه بصوم ستة أيام من شوال.

قال جماعة منهم صاحب المغني والمحرر: وإنما كره صوم الدهر؛

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٦١).

(٢) «الفروع» (٥/ ٨٤).

(٣) أبو داود (٢٤٣٣) والنسائي في «الكبرى» (٢٨٦٣)

(٤) حديث جابر عند أحمد (١٤٣٤١) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وحديث ثوبان عند أحمد (٢٢٤٦٥) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

لما فيه من الضعف والتشبه بالتبتل، ولولا ذلك لكان فيه فضل عظيم لاستغراقه الزمان بالطاعة والعبادة، والمراد بالخبر التشبه في حصول العبادة به على وجه لا مشقة فيه، كما قال ﷺ في أيام البيض وهي مستحبة. قال في المغني بغير خلاف، وكذا نهى عبد الله بن عمرو عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث، وقال ﷺ: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن**»[1] أراد التشبه بثلث القرآن في الفضل لا في كراهة الزيادة عليه، وتحصل فضيلتها متتابعة ومتفرقة؛ ذكره جماعة وهو ظاهر كلام أحمد.

وقال: في أول الشهر وآخره، واستحب بعضهم تتابعها، وهو ظاهر الخرقي وغيره، وبعضهم عقيب العيد، واستحبها كذلك عبد الله بن المبارك والشافعي وإسحاق، وهذا أظهر ولعله مراد أحمد والأصحاب؛ لما فيه من المسارعة إلى الخير وإن حصلت الفضيلة بغيره.

قال: ويتوجه احتمال تحصيل الفضيلة بصومها في غير شوال وفاقًا لبعض العلماء قاله القرطبي؛ لأن فضيلتها كون الحسنة بعشر أمثالها كما في خبر ثوبان، ويكون تقييده بشوال بسهولة الصوم فيه لاعتباره رخصة والرخصة أولى، وكره أبو حنيفة ومالك صوم ستة أيام من شوال، وذكر مالك أن أهل العلم يكرهون ذلك، ويخافون بدعته، وأن يلحق برمضان ما ليس منه.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» كما في مجمع «الزوائد» للهيثمي (٣٦٢٤) وقال: رجاله ثقات.

قال أصحابنا وغيرهم: يوم الفطر فاصل بخلاف يوم الشك. انتهى.

وقول ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ: عتبة بن حكيم مختلف فيه في توثيقه، وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال: سعد بن سعيد الأنصاري أخو يحيى عن أنس والسائب بن يزيد وعنه شعبة وابن المبارك: صدوق ليس بالقوي، وقال الحافظ عبد العظيم المنذري في الحواشي على سنن أبي داود وقد ذكر الحديث: أخذ به جماعة من العلماء.

ورُوي عن مالك وغيره كراهة ذلك، وقال بعضهم: لعل الحديث لم يبلغه أو لم يثبت عنده أو وجد العمل بخلافه، والحديث تقوم به الحجة، وقد أشار مالك في الموطأ إلى أنه لئلا يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفا.

وقد روى مطرف عن مالك: أنه كان يصومها في خاصة نفسه، قال: إنما كره صيامها لئلا يلحق أهل الجهالة ذلك برمضان؛ فأما من رغب في ذلك لما جاء فيه فلم ينهه ولفظه: «**من صام رمضان وأتبعه بست من شوال؛ فكأنما صام الدهر**» أخرجه مسلم وأبو داود وقد تقدم. انتهى.

وذكر الشيخ سراج الدين بن الملقن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «البدر المنير» في تخريج أحاديث الشرح الكبير للرافعي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: حديث أبي أيوب رواه أبو داود، ورواه مسلم بلفظة: «**من صام رمضان وأتبعه بست من شوال؛ فكأنما صام الدهر**» رواه ابن حبان بهذا اللفظ وأبو داود ورواه مسلم بلفظة: «**من صام رمضان وأتبعه بست من شوال؛ كان كصيام**

---

(١) «البدر المنير» (٥/ ٧٥٢).

الدهر» وباقي الأربع كلهم من رواية أبي أيوب الأنصاري، وله طرق أخر ذكرها واضحة في الأصل ففوائدها ردًّا على من طعن فيه. انتهى.

وقال ابن الجوزي في «التحقيق» وذكر في الحديث قالوا: قد قال أحمد: سعد بن سعيد ضعيف الحديث، وقال النسائي: ليس بالقوي، قلنا: قد قال يحيى بن معين: هو صالح وقد أخرج عنه مسلم انتهى.

ويحيى بن معين أبو زكريا هو الحافظ إمام المحدثين، وقد قال الذهبي عن سعد بن سعيد الأنصاري صدوق.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في اليوم الثامن من شوال: ليس لأحد أن يتخذه عيدًا ولا هو عيدًا أبرار ولا عيد فجار، ولا يحدث فيه شيء من شعار الأعياد؛ فإن المسلمين متفقون على أنه ليس بعيد؛ ذكره بعضهم أن يصام عقيب العيد؛ لئلا يعتقد الناس عيدًا آخر؛ ذكره في الفتاوى المصرية، وهذا فيه زجر من يسمي الثامن من شوال عيد الأبرار.

قال شيخنا في «لطائفه» وقد ذكر الحديث: واختلاف أهل العلم في العمل به فمنهم من صححه، ومنهم من قال هو موقوف قاله ابن عيينة وغيره، وإليه يميل الإمام أحمد، وأما العمل به؛ فاستحب صيام ستة أيام من شوال أكثر العلماء منهم: ابن عباس وطاوس والشعبي، وابن المبارك والشافعي وأحمد، وأنكر ذلك آخرون الثوري وأبو حنيفة وأبو يوسف ومالك، وعلل أصحابهما ذلك لئلا يدخل في المفروض عليهم ما ليس منه، وقال آخرون: لا بأس به، وعلل أصحابهما ذلك بأن

الفصل قد حصل بفطر يوم العيد، وأما الذين استحبوا صيامها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يستحب صيامها من أول الشهر متتابعة، وهو قول الشافعي وابن المبارك، وقد روي من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**من صام ستة أيام بعد الفطر متتابعة؛ فكأنما صام السنة**» خرَّجه الطبراني[(١)] وغيره.

والثاني: لا فرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله، وهما سواء، وهو قول وكيع وأحمد.

والثالثة: أنه لا تصام عقيب يوم الفطر؛ فإنها أيام أكل وشرب، ولكن تصام ثلاثة أيام قبل أيام البيض أو بعدها، وهذا قول معمر وعبد الرزاق، وأكثر العلماء أنه لا يكره صيام ثاني الفطر.

واعلم أن صيام شوال كصيام شعبان؛ لأن كلا الشهرين حريم لشهر رمضان، وهما يليانه، وإنما كان صيام رمضان، وإتباعه ستًا من شوال يعدل صيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها وقد جاء ذلك مفسرًا من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**صيام رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بشهرين؛ فذلك صيام سنة**» يعني رمضان وستة أيام بعده خرجه الإمام أحمد[(٢)] رحمه الله.

---

(١) الطبراني في «الأوسط» (٧٦٠٧). قال الهيثمي (٥١٠٠): فيه من لم أعرفه.

(٢) أحمد (٢٢٤٦٥) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل ابن عياش.

ومنها: أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها؛ فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من زلل ونقص؛ فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة، كما ورد ذلك عن النبي ﷺ من وجوه متعددة، وأكثر الناس له في صيامه للفرض نقص وخلل، فيحتاج أن يجبره ويكمله من الأعمال.

ومنها: أن معاودة الصيام بعد رمضان علامة على قبول صوم رمضان؛ فإن الله إذا تقبل عمل عبدٍ وفَّقه لعمل صالح بعده كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن عمل حسنة ثم اتبعها بحسنة كان ذلك علامة قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها سيئة؛ كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

ومنها: أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب كما سبق ذكره، وأن الصائمين رمضان يؤتون أجورهم يوم الفطر، وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرًا لهذه النعمة، ولا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، وكان النبي ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» انتهى.

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في «المنتقى» عن حديث أبي أيوب المتقدم: رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن. وابن ماجة وفيه عن ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر؛ كان تمام السنة؛ من جاء بالحسنة**

فله عشر أمثالها» رواه ابن ماجة[١] .

قال في «المغني»[٢]: وروى سعيد يعني ابن منصور في سننه عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صام رمضان؛ شهر بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بشهرين بعد الفطر، وذلك تمام السنة»** ؛ يعني: أن الحسنة بعشرة أمثالها؛ فالشهر بعشرة، والستة بستين يومًا فذلك اثنا عشر شهرًا وهو سنة كاملة، فيكون ذلك كثلاث مائة وستين يومًا وهي أشبه؛ فإذا وجد ذلك في كل سنة صار كصيام الدهر كله، وهذا المعنى يحصل مع التفريق، والله أعلم. انتهى.

وقال الخطيب البغدادي في «الكفاية»[٣] باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى وحكم سنة رسول الله ﷺ في لزوم العمل ووجوب التكليف بسنده عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ قال: **«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه؛ فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا (أكل)[٤] ذي ناب من السباع، ولا لقطة من مال (معاهد)[٥] إلا أن يستغني عنها صاحبها»**، وفي رواية[٦] أخرى **«وإني والله قد حرمت،**

---

(١) ابن ماجة (١٧١٥) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (١٣٩٢). قال البوصيري في «الزوائد»: رواه ابن حبان في «صحيحه».

(٢) «المغني» (٣/ ١١٢).

(٣) «الكفاية» (صـ ٨).

(٤) في (ق): «كل».

(٥) مثبت من (ق).

(٦) «الكفاية» (صـ ٩).

ونهيت، ووعظت بأشياء إنها لمثل القرآن» انتهى.

وقد رخص العلماء في الاستدلال بالأحاديث «الضعيفة» في «الترغيب والترهيب» فكيف بما ثبت في الصحيح والمسانيد والسنن.

قال ابن تيمية في «الفتاوى المصرية»[1]: قال الإمام أحمد: إذا جاء «الترغيب والترهيب» تساهلنا في الأسانيد بشرط إن لم نعلم أنه كذب، ومعاذ (الله)[2] أن يرويه مع علمه أنه كذب؛ فلا يثبت بالكذب حكم شرعي ولا فضيلة، وإلا كان قولا على الله بغير علم انتهى، فالمانعون لَمَحُوا خوف التشبه في التشريع، ولحظوا غير ذلك من التفريع والمجيزون تمسكوا بالحديث وأجابوا عن ذلك الإيراد وقصد الكل سلوك سبيل الرشاد.

فخذ أيها المجتهد في العبادة بحظك الوافر من الصلاة والصوم فلا جزع في ذلك إن شاء الله ولا لوم، واتبع؛ لعلك أن تلحق بالقوم فما على من جد في الطاعة ملام، ولا على الأئمة «الأعلام»؛ إذ قصد الكل الاقتداء بالنبي خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد حثك على صيام الأيام البيض من كل شهر، وأخبرك أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان كصيام الدهر، وكذلك ما ورد من فضل صوم يوم عاشوراء، ويوم عرفة ثابت في النقل عند أهل المعرفة في أخبار متفقة ومؤتلفة.

وباب التطوع مفتوح والمقبول له سمة يعرف بها وصفة؛ فكن من المثابرين على العبادة في رمضان وغيره فقد قيل لبشر الحافي: قوم

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٦٥).

(٢) مثبت من (ق).

يتعبدون ويجتهدون في رمضان دون غيره، فقال: بئس القوم قومًا لا يعرفون الله حقًّا إلا في شهر رمضان. وهذا يدلك على أن عمل المؤمن لا ينقضي حتى يأتيه أجله كما قال إمامنا أحمد بن حنبل من المحبرة إلى المقبرة، كما تقدم ذلك مرويًا عنه في أول المجلد الأول من هذا الكتاب. وقال الحسن: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت ثم قرأ ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] .

واعلم أن هذه الشهور والأعوام، والليالي والأيام؛ كلها مقادير الآجال ومواقيت الأعمال، ثم تنقضي سريعًا وتمضي جميعًا، والذي أوجدها وابتدعها، وخصها بالفضائل وأودعها؛ باقٍ لا يزول ودائم لا يحول، هو في جميع الأوقات إله واحد، ولأعمال عباده رقيب مشاهد فسبحان من قلَّب عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم؛ ليسبغ عليهم فيها فواضل النعم، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم؛ وذلك أنه لما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام التي أولها الشهر الحرام وآخرها شهر (الصيام أقبلت بعدها الأشهر الثلاثة، أشهر)[1] الحج إلى بيته الحرام، فكما أن من صام رمضان وقامه؛ غفر له ما تقدم من ذنبه؛ فمن حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه كما سيأتي إن شاء الله تعالى في المجلس بعد هذا مستوفًى على التمام بعد ذكر فضل هذا الصيام.

فيعلم المؤمن العاقل؛ أنه ما مضى من عمره ساعة من الساعات إلا

---

(١) مثبت من (ق).

ولله عليه فيها وظيفة من وظائف الطاعات؛ فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف، ويتقرب فيها إلى مولاه، وهو راج خائف فالمحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه، ولا يأمل إلا قربه ورضاه. شعر:

ما للمحب سوى إرادة حُبه
إن المحب بكل برٍ يَضرعُ

يرجو النجاة بفضل رحمة ربه
ويجد في فعل الجميلِ ويُسرعُ

فكل وقت يخليه العبد من طاعة مولاه فقد خسره، وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه يوم القيامة ترة[1]، فواأسفًا على زمن ضاع في غير طاعته، وواحسرتاه على وقت فات في غير خدمته، ونَفَسٍ خرج بغير ذكره وامتثال أمره (وهيللته)[2]، شعر:

من فاته أن يراك يومًا
فكل أوقاته فواتُ

وحيث ما كنت من بلاد
فلي إلى وجهك التفاتُ

فارحم فقيرًا إليك حقًّا
نالته من فضلك الصِّلاتُ

---

(١) ترة أي نقصا. انظر «لسان العرب» (٥/ ٢٧٣).

(٢) مثبت من (ق).

فـي كـل وقـتٍ وكـل حـالٍ
إلـيـه مـن نـيـلـك الـصـدقـاتُ

فكل من عمل طاعة من الطاعات، وفرغ منها فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى، وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية، ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها، وأحسن منها الحسنة بعد الحسنة تتلوها، وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها.

ذنب واحد بعد التوبة أشد من سبعين قبلها. النكسة أصعب من المرض، وربما أهلكت. سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات، وتعوذوا به من تقلب الأحوال وتقلب القلوب من الحور بعد الكور - يعني به الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان- والانقلاب بعد الطاعة إلى العصيان.

ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة، وما أفحش فقر الطمع بعد القدرة والاستطاعة، ارحموا عزيز قوم ذل، وغني قوم (بالذنوب)[1] افتقر.

من ترك شيئًا لله لم يجد فقده، وعوضه الله خيرًا منه، فاتركوا معصية الله، وانهوا النفس عن هواها يعوضكم بجنة تكون غدًا مستقرها ومأواها ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

---

(١) مثبت من (ق).

وفي الحديث: «النظر سهم (مسموم)[1] من سهام إبليس؛ من تركه من خوف الله؛ أعطاه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه» خرّجه الإمام أحمد[2]، وهذا الخطاب للشباب فأما الشيخ إذا عاود المعاصي بعد انقضاء رمضان فهو أقبح وأقبح؛ لأن الشاب يؤمل معاودة التوبة في آخر عمره، وهو مخاطر؛ فإن الموت قد يعاجله وقد يطرقه بغتة؛ فأما الشيخ فقد شارف مركبه ساحل بحر المنون فما ذا يؤمل هذا المفتون؟.

شعر:

نعى لك ظلَّ الشبابِ المشيبُ
وعز لديك وجودُ الطبيبُ
فكن مستعدًا لداعي الفنا
فكل الذي هو آتٍ قريبُ
ألسنا نرى شهوات النفوس
ويبقى علينا حسابُ الذنوب

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) لم أقف عليه في «مسند أحمد»، وقد ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة فمن حديث حذيفة رواه الحاكم (٧٨٧٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وفي سنده عبد الرحمن بن إسحاق وهو الواسطي؛ ضعيف.
ومن حديث ابن مسعود رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٧٣) قال الهيثمي (١٢٩٤٦): فيه عبد الله - والصواب عبد الرحمن - بن إسحاق الواسطي؛ ضعيف.
ومن حديث ابن عمر عند أبي نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠١)، وفي سنده أبو مهدي سعيد ابن سنان وهو متروك كما قال ابن حجر في «التقريب»(٢٣٣٣).

(يخاف على نفسه تائبٌ
فما حال مخطئٍ لا يتوبُ)(١)

فصل في صلاة العتقاء من النار في شوال

روى الشيخ عبد القادر في «الغنية» بسنده من أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى في شوال ثماني ركعات ليلًا كان أو نهارًا؛ يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] خمس عشر مرة؛ فإذا فرغ من صلاته سبّح سبعين مرة، (وصلى على النبي ﷺ سبعين مرة)(٢)».

قال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق؛ ما من عبد يصلي هذه الصلاة إلا أنبع الله ينابيع الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وأراه داء الدنيا ودواءها، والذي بعثني بالحق؛ من صلى هذا الصلاة كما وصفت لا يرفع رأسه من آخر سجدة حتى يغفر الله له، وإن مات مات شهيدًا مغفورًا له، وما من عبد صلى هذه الصلاة في السفر؛ إلا سهل الله عليه السير والذهاب إلى موضع مراده، وإن كان مديونًا قضى الله دينه، وإن كان ذا حاجة قضى الله (حاجته)(٣)، والذي بعثني بالحق ما من عبد يصلي هذه الصلاة إلا أعطاه الله بكل حرف مخرفة في الجنة» قيل: وما المخرفة يا رسول الله؟ قال: «بساتين في الجنة؛ يسير الراكب في ظل شجرة من أشجارها مائة سنة لا يقطعها» قال في «المجمل»: والمخرفة بفتح

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ق): «حوائجه».

الميم؛ الجماعة من النخل، والخريف الزمان الذي تخترف فيه الثمار.

فاغتنموا عباد الله موسم العمر قبل أن ينقضي، وعاملوا الله بما يرضى به عنكم ويرتضي. المحب لا يمل من التقرب إلى محبوبه ولا يضجر من سؤال مطلوبه؛ فالعالم ما في القلوب أدرى به.

شعر:

ما للمحب سوى إرادة حبه
إن المحب بكل بر يضرعُ
يرجو النجاة بفضل رحمة ربه
ويؤم أبواب الكريم ويقرعُ
فلعله يلقى الكرامةَ والرضا
وبكأس قُرب الوصل منه يَجرعُ
يوم المزيدِ فذاك يوم زيادةٍ
للحق فالراجي يجد ويُسرعُ

من أعظم الحرمان والخذلان؛ أن يرجع الإنسان بعد صوم شهر رمضان إلى المخالفة والعصيان، وأن يرى بعد العيد وهو سكران ويصبح أسيرًا في حبائل الشيطان. ما أقبح حال من يوافي القيامة وهو ذو شيبة بيضاء، ويلقى في يده صحيفة سوداء.

كان الشيخ عبد القادر إذا قام إليه شاب ليتوب يقول: يا هذا، ما قمت حتى أقاموك، ولا أقبلت حتى قبلوك، ولا جئت حتى طلبوك، ولا قدمت من سفر الجفاء حتى استحضروك، يا هذا؛ ما تركناك حتى تركتنا ولا قطعناك لمَّا قطعتنا، ولا هجرناك لمَّا هجرتنا، ولا نسيناك لما

نسيتنا، أنت في إعراضك وعيننا تحفظك، وأنت في جفاك وعنايتنا تلحظك، ثم حركناك لقربنا وأزعجناك لوصلنا وقدمناك لأُنسنا وخطبناك بإشارتنا.

وكان إذا قام إليه شيخ ليتوب يقول: يا هذا، أخطأت وأبطأت، وأسأت وأنسأت، كلما فسحنا لك في المهل أطلت الأمل وأسأت العمل؛ كبر سنك، تمرد جنك، هجرتنا في الصبا وعذرناك، وبارزتنا في الشباب وأمهلناك، فلما قاطعتنا في المشيب (مقتناك)[١] ؛ فإن رجعت إلينا قبلناك، (وإن أحسنت أجزلنا لك الحسنات)[٢] .

شعر:

كم إلى كم لا ترعوي عن قبيح
كسرت بالمشيب تلك الصحاحُ
أنت في الأربعين مثلك في
العشرين قل لي متى يكون الفلاحُ

اسمع؛ يا من شاب وما تاب ولا أصلح، يا معرضًا إلى ما يودي عن الأصلح، ليت شعري بعد الشباب بماذا تفرح؟! ما أشنع الخطايا في الصبا، وهي في المشيب أقبح، إذا نزل الشيب ولم يزل العيب فبعيد أن تبرح.

شعر:

---

(١) مثبت من (ق).
(٢) مثبت من (ق).

إذا تكامل للفتى من عمره
ستون وهو إلى التقى لا يَجنحُ
عَلِقَت عليه المخزيات
فما له متأخرٌ عنها ولا متزحزحُ
وإذا رأى الشيطانُ صورة
وجهه حيًا وقال: فديتُ من لا يُفلحُ

فالعود إلى الخيرات أصلح، ومن عامل الله زاده من فضله وأربح، ومن أَمَّ بابه ومعروفه فقد أفلح، ومن قصد غيره عبس في وجهه وكلح.

وأنشد:

عودوا إلى الوصلِ عودوا
فالهجرُ صعبٌ شديد
لو ذاق طعمَ الوصال رضوى
لكاد من وَجدِه (يميدُ)[1]
قد حمّلوني عذاب شوقٍ
يعجز عن حمله الحديدُ
قلت وقلبي أسير وَجدٍ
متيمٌ في الجفاء عميدُ
أنتم لنا في الهوى مَوالٍ
ونحن في أسرِكم عبيدُ

---

(١) في (ك): «يحيد».

حبيبٌ ارتجيه وإن جفاني
ويعلم ما لقيتُ من الصدودِ
ويظهرُ في الهوى عزَ الموالي
فيلزمني له ذل العبيدِ

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب حُرمها في الآخرة»[١]، وهي من ألذ شراب أهل الجنة، وما يكفيه حرمانها حتى يسقى من حميم جهنم، هكذا ورد عنه ﷺ أنه قال: «أقسم ربي تعالى بعزته؛ لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر في الدنيا إلا سقيته مثلها من حميم جهنم، ولا يدعها عبد من مخافتي إلا سقيته إياها في حظائر القدس مع خير الندماء[٢]»[٣].

وروى الإمام أحمد[٤] عن النبي ﷺ أنه قال: «من ترك الصلاة سكرًا أربع مرات؛ كان حقًّا على الله أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عصارة أهل (النار)[٥]».

وقال ﷺ: «من زنى أو شرب الخمر؛ نُزع الله منه الإيمان كما يخلع

(١) من حديث ابن عمر رواه البخاري (٥٢٥٣)، ومسلم (٢٠٠٣).
(٢) نَديم الرجل: شَريبُه. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٦).
(٣) ذكره بهذا اللفظ الإمام الذهبي في الكبائر(صـ ٨٠) ولم يعزه لأحد، وأخرجه أحمد بلفظ قريب عن أبي أمامة (٢٢٢٧٢) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًا.
(٤) من حديث عبد الله بن عمرو رواه أحمد (٦٦٥٩). قال الهيثمي (٨١٨١): رجاله ثقات. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.
(٥) في (ق): «جهنم».

الإنسان القميص من رأسه»[1] ذكره الحافظ الذهبي بإسناده، معناه: يسلب منه نور الإيمان.

وقد ورد أن شارب الخمر يمنع من قول لا إله إلا الله عند الموت كما قال بعض السلف: حضرت مجلس بعض المحتضرين فلقن الشهادة فقال: قد بدا لي أن لا أقولها ثم مات على ذلك، وأخبرت عنه زوجته أنه كان مصرًا على شرب الخمر، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهذا لأن شرب الخمر من الكبائر العظيمة، وكذلك الزنا؛ ولهذا ورد أنه ينزع منه الإيمان كما سبق.

وروي: «**إن الزناة من الرجال والنساء؛ معذبون في مثل بناء التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يأتيهم لهب النار**» كما ثبت ذلك في «صحيح البخاري»[2] في منام النبي ﷺ، وروي[3]: «**أن الزناة من الرجال والنساء يعلقون بفروجهم في النار، الرجل بذكره، والمرأة بفرجها، ويضربون عليها بسياط من نار؛ فإذا استغاث أحدهم من الضرب نادت الزبانية: أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح، ولا تراقب الله تعالى، ولا تستحي منه؟**».

فليحذر العبد من التعرض لسخط الله من الزنا أو شرب الخمر، ومن

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه الحاكم (٥٧) وصححه، وأقره الذهبي. وصححه المنذري (٣٥٥٦).

(٢) من حديث سمرة بن جندب رواه البخاري (٦٦٤٠).

(٣) ذكره الذهبي في الكبائر (٥٠).

أنواع الذنوب والكبائر وما يُسخط الله عليه، ويسوءه شؤمه يوم يلقاه، وليراقبه مراقبة من يعلم أنه يراه؛ فإن العود إلى المعصية بعد الطاعة نكال؛ فليحفظ نفسه في جميع العام كما يحفظها في شوال، وليحاسبها على الأقوال والأفعال، وليخش الله تعالى ذا العز والجلال، نسأل الله الهداية والتوفيق، وأن يثير عزمنا الساكن إلى أقوم طريق، إنه تعالى أهل الإجابة لذلك، ومالك الملوك والممالك، وأنشدني شيخنا الحافظ عماد الدين إسماعيل بن بردس البعلي الحنبلي شعرًا لنفسه، وكتب لي بخطه فقال:

طريق (الخير)[1] واضحة المسالك
فلا عنها تعد إلى المهالكِ

وكن لله مِذعانًا مطيعًا
فتقوى الله ويحك رأسُ مالكِ

وفكّر في صنائعه تراها
تدل عليه ليس له مشارك

وأسأله أن يقيك لهيب نارٍ
يزيد أليمها توبيخ مالِك

ويدخلك الجنان فنعم دارٍ
فلا شيء يشابهه (ما)[2] هنالك

ويعفو عن ذنوبك يا مسيئًا
فربُّ العرش قد ملك الممالك

(١) في (ق): «الحق».

(٢) سقط من (ق).

اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، وألهمنا الصواب عند (رد)[1] الجواب، ويسر أمورنا الصعاب، وافتح لنا إلى الخير كل باب، وهوِّن علينا يوم القيامة والحساب، وأدخلنا الجنة، ونجِّنا من النار، يا معتق الرقاب، برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) مثبت من (ق).

المجلس العشرون

في الحج وفضله والحث عليه وفقنا الله تعالى له

الحمد لله مبدع الأعراض والجواهر، ومبدئ الأضداد والنظائر، الأول وهو الآخر، الباطن وهو الظاهر، شهد بوحدانيته كل بادٍ وحاضر، وأبصر سبيل معرفته (ناظر)[1] كل ناظر، جل عن مِثل ومُظاهر، وتعالى عن ندٍ ومؤازر، وتنزه عن الحاجة فالمحتاج قاصر، أدرك علمه بواطن الضمائر، وستر حلمه عظائم الكبائر، لا يخفى عليه تستر السرائر، ولا ينقطع معروفه بل متواتر.

سار إلى بابه المحبون على نجائب الجوع والظمأ صوابر، فتلقاهم بالنجب والبشائر، ورأى صبرهم على فراق الأهل والعشائر، وكال لهم من «الثواب» بالصاع الوافر، ورحم شَعثَ الشُعث، ووعثاء المسافر، وكتب في حسناتهم خطوات كل ذات خف وحافر، وأربح تجارة كل وارد نحوه وصادر، وأعادهم إلى منازلهم وما فيهم خاسر، وأمر الخليل بمناداتهم؛ فسارعوا إليه عِجالًا مشاة وركبانًا، شيوخًا وشبانًا، وكهولًا قد اكتهلوا اكتهالا ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧].

---

(١) كذا في النسختين ولعل الصواب «نظر».

أحمده على إحسانه الغامر وجوده الساتر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا مُعين ولا مؤازر، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، ذي المعجزات البواهر، والشرف والمفاخر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجوم الزواهر، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرا. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وارزقنا العودة إلى بيتك الحرام، وبلغنا سؤلنا والقصد والمرام، وصحح عقائدنا وتوفنا على الإسلام، وانفعني ومن حضر، وانظر إلينا يا خير من نظر، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار يا أرحم الراحمين.

فصل [في فضائل الحج]

قال الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧]، قوله: ﴿رِجَالًا﴾ يعني مشاة رجَّالة جمع راجل. ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾: على كل بعير مهزول. ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: من الأماكن الشاسعة (البعيدة)(١) ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾، قال سعيد بن المسيب: (المنافع؛ العفو والمغفرة)(٢) . وقال غيره: هي منافع الدنيا والآخرة. وقال ابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

[الأعراف: ١٦]: إنه طريق (الحج)[١]، والمعنى أصُدهم عن الحج.

وفي «الصحيحين»[٢] أن رسول الله ﷺ قال: **«من حج لله فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**. وفيهما[٣] أيضًا: أن رسول الله ﷺ سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: **«حج مبرور»**. وفيهما[٤] أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: **«العمرة إلى العمرة؛ كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**.

ومن رحمة الله بعباده أن أوجب الحج في العمر مرة واحدة، ولو أوجبه في كل سنة لما وجد الناس من الدواب ما يسعهم، وضاق عليهم الزاد والماء، وتعطلت أماكنهم ومساكنهم، (وبساتينهم)[٥]، وزروعهم ومواشيهم ونحو ذلك؛ فهذه نعمة من الله تعالى وفضل ورحمة، وباقي العبادات متكررة؛ كالصوم والصلاة والزكاة، واقتضت حكمة الله وتوقان النفس كل عام إلى تلك المعاهد الأُنسية والأماكن المقدسة المحروسة؛ لإجابة دعوة إبراهيم الخليل -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- وعرفان الوطن القديم؛ كما قيل: إن الله تعالى أخرجنا من صلب (أبينا)[٦] آدم عليه السلام بها، ونحن كالذر ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (١٧٢٣)، ومسلم (١٣٥٠).

(٣) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

(٤) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (١٦٨٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٥) مثبت من (ق).

(٦) مثبت من (ق).

﴿بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] . . . الآية.

وأيضًا لدعوة الخليل عليه السلام كما أخبر الله تعالى عنه حيث قال: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ؛ أي تحنُّ إليهم، وأتى بمن المقتضية للتبعيض، وقال: أفئدة من الناس (لحجه اليهود والنصارى وغيرهم)[1].

وأيضًا فقد جاء في الحديث: «**إن الله تعالى ينظر إلى الكعبة ليلة النصف من شعبان فتحن إليها القلوب**» وفي تلك الليلة أو ليلة القدر كما تقدم يكتب من يحج ذلك العام وقد ورد: «**أن الله تعالى وعد هذا البيت -أعني الكعبة- أن يحجه في كل عام ستمائة ألف فإن نقصوا كملهم بالملائكة عليهم السلام**».

وفي «الصحيحين»[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أفضل الأعمال؛ إيمان بالله ورسوله، ثم جهاد في سبيله، ثم حج مبرور**» وهذه الأعمال الثلاثة في الحقيقة ترجع إلى عملين؛ أحدهما: الإيمان بالله ورسوله، وهوالتصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد جمع الله بين هذين الأصلين في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ

---

(١) كذا السياق في النسختين ونص تفسير هذه الآية عن ابن عباس كما في تفسير «الدر المنثور» (٥/ ٤٨): لوكان إبراهيم عليه السلام قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم ولكنه قال: أفئدة من الناس؛ فخص به المؤمنين.

(٢) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقد صح عن النبي ﷺ من غير وجه: «**أفضل الأعمال إيمان بالله وجهاد في سبيله**»، ولا صلاح للقلب بدون الإيمان بالله تعالى، وما يدخل في مسماه من معرفة الله تعالى وتوحيده، وخشيته ومحبته ورجائه، والإنابة إليه والتوكل عليه.

قال الحسن: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ [الأنفال: ٢-٤] وفي هذا يقول القائل:

ما كل من زوّق لي قوله
يغُرُّني يا صاحِ تزويقُهُ

من حقق الإيمان في قلبه لا بد أن يظهر تحقيقه؛ فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه وحلاوته؛ ظهرت ثمرة ذلك على لسانه وجوارحه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه، وأسرعت الجوارح إلى طاعته فحينئذ يدخل حب الإيمان في القلب، كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد حره للظمآن الشديد عطشه، ويصير الخروج من الإيمان أكره إلى القلوب من الإلقاء في النار.

وروى ابن المبارك عن أبي الدرداء ؓ أنه دخل المدينة فقال لهم: ما لي لا أرى عليكم يا أهل المدينة حلاوة الإيمان؟ والذي نفسي بيده؛

لو أن دب الغابة وجد طعم الإيمان؛ لرئي عليه طعم الإيمان ولكن ورد في حديث أبي (سعيد)[١] المرفوع: **«إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد؛ فاشهدوا له بالإيمان»**[٢].

وفي «صحيح البخاري»[٣] عن عائشة قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: **«لكن أفضل الجهاد؛ حج مبرور»**. وفي «المسند» و«سنن ابن ماجة»[٤] عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: **«الحج جهاد كل ضعيف»**، وفي رواية: **«جهاد الكبير والضعيف والمرأة؛ الحج والعمرة»**، وفي حديث مرسل: **«الحج جهاد والعمرة تطوع»**[٥].

قال أبو الشعثاء: نظرت في أعمال البر؛ فإذا الصلاة تجهدنَّ البدن دون المال، والصيام كذلك، والحج يجهدهما فرأيته أفضل.

روى عبد الرزاق عن أبي موسى الأشعري أن رجلًا سأله عن الحج قال: إن الحاج يشفع في أربعمائة بيت من قومه، ويبارك في أربعين من

---

(١) في (ق): (أبو جعيد) وفي (ك): «الجعد» وكلاهما تصحيف، والمثبت هو الصواب الموافق لما في مصادر التخريج.

(٢) الترمذي (٣٠٩٣) وقال: حسن غريب. وابن ماجة (٨٠٢) وأحمد (١١٦٦٩، ١١٧٤٣) وعبد بن حميد (٩٢٣) والدرامي (١٢٢٣).

(٣) البخاري (١٤٤٨، ٢٦٣٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٥٦٣، ٢٦٦٢٧) وابن ماجة (٢٩٠٢) والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجة.

(٥) ابن ماجة (٢٩٨٩) قال البوصيري: في إسناده فيه عمر بن قيس المعروف بسندل؛ ضعفه أحمد وابن معين وغيرهم، والحسن بن يحيى الخشني؛ ضعيف.

أمهات البعير الذي حمله، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[١] .

[أيهما أفضل الحج تطوعا أم الصدقة؟]

وقد اختلف العلماء في تفضيل الحج تطوعًا على الصدقة، ومنهم من رجح الحج وممن قاله طاووس وأبو الشعثاء والحسن، ومنهم مَن رجح الصدقة، وهو قول النخعي، ومنهم من قال: (إذا كان)[٢] ثم رحم محتاجة أو زمن مجاعة؛ فالصدقة أفضل وإلا فالحج وهو نص أحمد، (وقال عن الحسن معناه، وأن صلة الرحم والتنفيس عن المكروب؛ أفضل من التطوع بالحج)[٣]، وقد تقدم حديث «الصحيحين»، وفيه: **«والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**، وفيهما أيضًا: **«من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**؛ فمغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به؛ مترتب على كون الحج مبرورًا، وإنما يكون مبرور باجتماع أمرين فيه:

أحدهما: الإتيان فيه بأعمال البر، والبر يطلق بمعنيين؛ **أحدهما**: الإحسان إلى الناس كما يقال: البر والصلة وضده العقوق، وفي «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ سُئل عن البر؟ فقال: **«البر حسن الخلق»**[٤] وكان عبد الله بن عمر يقول: إن البر شيء هين؛ وجه طلق وكلام لين،

---

(١) عبد الرزاق (٨٨٠٧) قال الألباني في «الضعيفة» (٥٠٩١): منكر بهذا التمام.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) مسلم (٢٥٥٣).

وهذا يُحتاج إليه في الحج (كثيرًا، وفي «المسند»[(١)] عن جابر عن النبي ﷺ قال: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» قالوا: وما البر في الحج يا رسول الله؟ قال: «إطعام الطعام، وإفشاء السلام».

وقال أبو جعفر الباقر: ما يعبأ الله من يؤُمَّ هذا البيت إذ لم يأت بثلاث: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحِلْم يكف به غضبه، وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين. فهذه الثلاثة يحتاج إليها من يسافر خصوصًا إلى الحج؛ فمن كمّلها فقد كَمُل حجه.

حكاية: كان بعض الصالحين يصحب إخوانه في سفر الجهاد؛ فكان إذا رأى رجلًا يريد أن يغسل ثوبه قال له: هذا من شرطي فيغسله له، وإذا رأى من يغسل رأسه قال: هذا من شرطي (فيغسله)[(٢)]؛ فلما مات نظروا في يده فإذا هو مكتوب من أهل الجنة، فإذا هو كتابة بين الجلد واللحم.

الثاني: ما يكمل به الحج؛ اجتناب أفعال الإثم فيه، من الرفث والفسوق والمعاصي قال الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

حكاية: عن مالك بن دينار قال: خرجت حاجًا إلى بيت الله الحرام، وإذا بشاب يمشي في الطريق بلا زاد ولا ماء ولا راحلة؛ فسلمت عليه فرد السلام عليَّ؛ فقلت: أيها الشاب من أين؟ قال: من عنده، قلت:

---

(١) أحمد (١٤٥٢٢). قال الهيثمي (٥٢٦٥): فيه محمد بن ثابت؛ ضعيف.

(٢) مثبت من (ق).

وإلى أين؟ قال: إليه، قلت: وأين الزاد؟ قال: عليه، قلت: إن الطريق لا يقطع إلا بالماء والزاد، فهل معك شيء قال: نعم؛ قليل تزودت عند خروجي بخمسة أحرف قلت: وما هذه الخمسة أحرف؟ قال: قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] قلت: وما معنى كهيعص؟ قال: أما قوله: كاف فهو الكافي، وأما الهاء فهو الهادي، وأما الياء فهو المؤدي، وأما العين فهو العالم، وأما الصاد فهو الصادق؛ فمن كان صحبته مع كاف وهاد، ومؤدي وعالم وصادق لا يضيع ولا يخشى، ولا يحتاج إلى حمل الزاد والماء.

قال مالك: فلما سمعت هذا الكلام؛ نزعت قميصي على أن ألبسه إياه فأبى أن يقبله وقال لي: يا شيخ العري خير من قميص؛ كأنه يشير إلى معنى حلالها حساب وحرامها عقاب، وكان إذا جنَّه الليل رفع وجهه نحو السماء وقال: يا من تسره الطاعات، ولا تضره المعاصي؛ هب لي ما يسرك، واغفر لي ما لا يضرك؛ فلما أحرم الناس ولبّوا قلت له: لم لا تلبي، فقال: يا شيخ أخشى أن أقول لبيك فيقول: لا لبيك ولا سعديك؛ لا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك ثم مضى فما رأيته إلا في منى وهو يقول:

إن الحبيب الذي يُرْضيه سفكَ دمي
دمي حلالٌ له في الحلِّ والحرمِ

ضحى الحبيب بنفسي يوم (عيدهم)[1]
والناس ضحوا بمثل الشاء والغنمِ

---

(١) في (ق): «عيد همي».

للناس حجٌ ولي حجٌ إلى سكني
تُهدى الأضاحي وأُهدي مهجتي ودمِ

ثم قال: إن الناس ذبحوا وقربوا إليك، وليس شيء أتقرب به إليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة فخر ميتًا. قال: فإذا قائل يقول: هذا حبيب الله هذا قتيل (الله؛ قتل بسيف الله)[١] ؛ فجهزته وواريته، وبت تلك الليلة متفكرًا في أمره؛ فرأيته في منامي فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: فعل بي ما فعل بشهداء بدر؛ قتلوا بسيف الكفار، وأنا قتلت بسيف محبة الجبار.

وروى أبو علي البناء في «حكايات الأولياء بطريق مكة» قال: حكى لي الشيخ أبو الحسن بن شمعون أن أبا بكر الشبلي قال: خرجت في بعض السنين إلى مكة؛ فرأيت امرأة قد اقتطعتها المحبة لله فلما بلغت موضع الإحرام قالت:

ذاب مما في فؤادي (جسدي)[٢]
وفؤادي ذاب مما في البدنِ

ثم همَّت بالوقوف بعرفة فحاضت؛ فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: إلهي بعثتني حتى إذا بلغت منعتني. قال الشبلي: فرقَّ لها قلبي فقلت لها: لا تحزني فإن لي ثلاثين حجة، وقد وهبتها لك، قال: فنظرت إليَّ وقالت: يا شبلي أنت لئيم ومولاي كريم، ومع لؤمك قد وهبت لي

---

(١) في (ك): «بسيف محبة الجبار ومحبة الله».
(٢) في (ق): «بدني».

ثلاثين حجة، أتراه مع كرمه لا يهب لي حجة؟ ولكن أصبر فإني قد رفعت (حاجتي)[1] إليه، وأنا أنتظر التوقيع منه. قال: فبينما هي جالسة إذ سقطت في حجرها حريرة خضراء فقالت: اقرأها فقرأتها فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم؛ قد قبلناك وغفرنا لك، ووهبنا الكل من أجلك، وأنا أرحم الراحمين.

وقيل: إن رابعة العدوية حجت إلى بيت الله الحرام حافية تمشي على قدميها، وتؤثر بما يفتح عليها؛ فلما وصلت إلى الكعبة خرت مغشية عليها، ووضعت خدها على البيت، وأنشأت تقول:

هــذه دارهــم وأنــت مــحــب
مـا بـقـاء الـدمـوع فـي (الأمـاقـي)[2]

ثم إنها طافت وسعت؛ فلما أرادت الوقوف بعرفة حاضت فبكت وقالت: سيدي ومولاي؛ لو وقع هذا من غيرك لشكوته إليك فكيف وقد وقع لي منك؟ فسمعت قائلًا يقول: يا رابعة قد قبلنا الحجيج كلهم من أجلك، وجبرناهم لأجل كسرك من كتاب الحريفيش.

وفي الحديث: «**من لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله فليس لله حاجة في حجه**»[3].

فما تزود حاج ولا غيره أفضل من زاد التقوى، وقد روي عن

---

(١) في (ك): «قصتي».

(٢) في (ك): «الآماق».

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٨٦).

النبي ﷺ أنه ودَّع غلامًا فقال له: «زودك الله التقوى»(١)، وقال آخر لمن ودعه للحج: أوصيك بما أوصى به النبي ﷺ معاذًا حين ودَّعه: «اتق الله حيث ما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(٢) وهذه وصية جامعة لخصال البر كلها.

ومن أفضل ما يجب على الحاج اتقاؤه من الحرام أن يطيب نفقته في الحج، وأن لا يجعلها من كسب حرام؛ فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وقد خرّج الطبراني وغيره(٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا خرج الرجل حاجًّا بنفقة طيبة، ووضع رجله في غرز ناقته يعني الركاب؛ فنادى لبيك اللهم لبيك؛ ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة؛ فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك؛ ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك؛ زادك حرام وراحلتك حرام وحجك غير مقبول». شعر:

إذا حججت بمالٍ أصله سحتٌ
فما حججت ولكن حجت العيرُ
لا يقبل الله إلا كلَّ طيبةٍ
ما كلُّ من حج بيت الله مبرورُ

---

(١) من حديث أنس رواه الترمذي (٣٤٤٤)، وابن خزيمة (٢٥٣٢) وقال الترمذي: حديث حسن غريب. قال الأعظمي: إسناده حسن.

(٢) أحمد (٢١٣٩٢) والترمذي (١٩٨٧) وقال: حسن صحيح.

(٣) الطبراني في «الأوسط» (٥٢٢٨). قال الهيثمي (١٨١٠٣): فيه سليمان بن داود اليمامي؛ ضعيف.

وحُكي أن رجلًا مات بطريق مكة؛ فحفروا له ودفنوه، ونسوا الفأس في لحده؛ فكشفوا عنه التراب وإذا عنقه قد دخل في حلقة الفأس، وهو يعذب بذلك في قبره؛ فلما رجعوا إلى أهله سألوهم عنه فقالوا: صحب رجلًا فأخذ ماله؛ فكان يحج منه ويغزو.

رُوي عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت (عتبة أبا الوليد)[١] قال: سمع جبريل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- يقول يا كريم العفو، فقال جبريل: (يا إبراهيم)[٢] تدري ما كرم عفوه؟ قال: لا يا جبريل، قال: إن عفا عن السيئة؛ جعلها حسنة.

وقال أبو عبيد بن أبي دارم سمعت (أبي)[٣] يقول: قال أبو تراب النخشبي: وقفت خمسًا وعشرين وقفة؛ فلما كان من قابل رأيت الناس بعرفات ما رأيت قط أكثر منهم ولا أكثر خشوعًا وتضرعًا؛ فأعجبني ذلك فقلت: اللهم من لم تقبل حجه من هؤلاء الخلق؛ فاجعل ثواب حجتي له، وأفضنا من عرفات وبتنا بجمع؛ فرأيت في المنام هاتفًا يهتف بي (تتغنى)[٤] عليّ يا أبا تراب، وأنا أسخى الأسخياء، وعزتي وجلالي ما وقف هذا الموقف أحد قط إلا وقد غفرت له؛ فانتبهت فرحًا بهذه الرؤيا؛ فرأيت يحيى بن معاذ وقصصت عليه الرؤيا فقال: إن كنت

---

(١) في (ك): «يا أبا الوليد».

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ق): «أخي».

(٤) في (ك): «تتقتى».

صادقًا في رؤياك فإنك تعيش أربعين يومًا؛ فلما كان يوم أحد وأربعين يومًا جاءوا إلى يحيى بن معاذ فقالوا: إن أبا تراب قد مات فغسله ودفنه.

وذُكر أن السري بن جابر قال: دخلت بلاد الزنج فرأيت زنجية تدق الأرز وتبكي، وأنشدت تقول بكلامها ما لا أقف عليه فقلت: ليتني أقف على ترجمتها؛ فلقيت شيخًا فسألته عنها فقال: هي تقول:

رميت بطرفي يُمنةً ثم يُسرةً
فلم أر غير الله يأمله قلبي
فجئت بإذلال من عرفتُه
بفضلٍ وإحسانٍ ليغفر لي ذنبي
أياديك لا تحصى وإن طال (عدُّها)[1]
وإحسانُك المبذولُ في الشرق والغرب

عباد الله، اعلموا أن يوم عرفة يوم العتق من النيران، ويوم التعرض للغفران؛ فمن لم يجد قلبه في مثل هذا (اليوم)[2]، ولم يتعرض لطلب المغفرة من الله تعالى فما أموت قلبه، وأشد خسارته، وهو يوم العطاء والكرم، والتفضل (والنعم)[3]، ورفع الدرجات وكشف الكربات، ومضاعفة الأعمال وحط الأحمال الثقال، وقد ورد: «**أن الله لا يغفر فيه لمختال**» فمن كان دائمًا معرضًا؛ فيجب في هذا اليوم مسكنته، ومن كان مختالًا؛ ففي هذا اليوم يحب تواضعه وتذلله ومسكنته؛ فإن الله لا يحب المستكبرين.

---

(١) في (ك): «عهدها».
(٢) مثبت من (ق).
(٣) في (ك): «بالنعم».

وقد روي أن النبي ﷺ حج على رحل رَث، وعليه قطيفة أي عباءة ما تساوي أربعة دراهم وقال: «**اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**»[١] ومن هذا اسْتُحب للحاج أن يكون أشعث أغبر. وفي حديث المباهاة يوم عرفة: «**إن الله تعالى يقول لملائكته: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا ضاجين؛ اشهدوا أني قد غفرت لهم**»[٢].

لما أضاف ﷻ ذلك البيت إلى نفسه، ونسبه إليه بقوله تعالى لخليله ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]؛ تعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم؛ فكلما ذكروا ذلك البيت الحرام حنّوا، وكلما تذكروا بعدهم أتوا. حقيق لمن رأى الواصلين، وهو منقطع أن يتعلق، ولمن شاهد السائرين إلى ديار الأحبة وهو قاعد أن يحزن.

فينبغي للمنقطعين طلب الدعاء من الواصلين لتحصيل المشاركة؛ كما روي أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب ﷺ لما أراد الحج أو العمرة:

---

(١) من حديث أنس رواه ابن ماجة (٢٨٩٠) والترمذي في الشمائل(٣٣٥)؛ وضعفه المنذري (١٧٣١). ومن حديث ابن عباس رواه الطبراني في «الأوسط» (١٣٧٨). قال الهيثمي (٥٣٥٣): فيه أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة؛لم أعرفه. قلت: هو معروف وثقه ابن حبان فذكره في «الثقات». وقال ابن حجر في «لسان الميزان»: إمام في القراءة، ثبت فيها؛ ضعفه أحمد والعقيلي وأبو حاتم. انظر «الثقات» (١٢١٤٠) و«لسان الميزان» (٨٤٣).

(٢) من حديث جابر رواه ابن خزيمة (٢٨٤٠)، وابن حبان (٣٨٥٣)، وأبو يعلي (٢٠٩٠) قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان: حديث صحيح إسناده قوي. قال الهيثمي (٥٥٥٣): فيه محمد بن مروان العقيلي؛ وثقه ابن معين وابن حبان وفيه بعض كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح.

«يا أُخي أشركنا في دعائك»[١]. وفي مسند البزار عن أبي هريرة مرفوعًا: «اللهم اغفر للحاج، ولمن استغفر له الحاج»[٢]، وليعلم المتخلف لعذر أنه شريك السائر؛ بدليل قول النبي ﷺ لما رجع من غزوة تبوك: «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، خلفهم العذر»[٣]، وربما سبق بعض من سار بقلبه وهمته وعزمه؛ بعض السائرين ببدنه. وأنشدوا:

يا سابق الركبِ ترفَّق واستمع مني
وبلِّغْ إن وصلت عنِّي
عرِّض بذكري عندهم لعلهم
إن سمعوك سألوك عني
قل ذلك المحبوسُ عن قصدكم
معذبُ القلب بكل فن
يقول أملتُ أن أزوركم
في جملة الوفد فخاب ظني

---

(١) الترمذي (٣٥٦٢) وقال: حسن صحيح
(٢) البزار كما في «كشف الأستار»(١١٥٥) وابن خزيمة (٢٥١٦) والحاكم (١٦١٢) والطبراني في «الأوسط» (٨٥٩٤) و«الصغير» (١٠٨٩) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وتعقبه المنذري (١٧٠٠) بأن في إسناده شريك القاضي، ولم يخرج له مسلم إلا في المتابعات. قال الهيثمي (٥٢٨٧): فيه شريك بن عبد الله النخعي؛ ثقة وفيه كلام وبقية رجاله رجال الصحيح.
(٣) البخاري من حديث أنس (٤١٦١)، ومسلم من حديث جابر (١٩١١).

أقعدني الحرمانُ عن قصدكم
ورمتُ أن أسعى فلم يدعني

فصل

وقد ورد أن للحاج عشر كرامات؛ **أحدها**: إعلاء المراتب، **والثانية**: إعطاء المطالب، **والثالثة**: قضاء المآرب، **والرابعة**: بذل المواهب، **والخامسة**: الأمن من المعاطب، **والسادسة**: التطهير من المعايب، **والسابعة**: تسهيل المصائب، **والثامنة**: كفارة النوائب، **والتاسعة**: حسن العواقب، **والعاشرة**: رحمة رب «المشارق» والمغارب؛ فأما إعلاء المراتب وإعطاء المطالب فمذكور في حديث رسول الله ﷺ: **«الحجاج والعمار وفد الله تعالى يعطيهم ما سألوا ويستجيب دعاءهم ويخلف عليهم نفقاتهم»**[1] وأعلى مراتبهم؛ بأن أضافهم الله تعالى إليه، وسماهم وفده؛ فسائر الوفود وفود المخلوقين، والحجاج وفد رب العالمين.

وأما إعطاء المطالب؛ فهو قوله ﷺ: **«يعطيهم ما يسألون، ويستجيب دعاءهم، ويخلف عليهم نفقاتهم»**[2] وفي هذا إثبات مرتبة الكليم والحبيب صلوات الله وسلامه عليهما قال الله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦] يعني قد أعطيت ما سألت، ومرتبة الحبيب محمد ﷺ

---

(١) من حديث أنس رواه البيهقي في «الشُعب» (٤١٠٥) وقال: فيه ثمامة البصري؛ غير قوي.

(٢) تقدم تخريجه في الحديث الذي قبله.

هي ما ثبت أن الله يقول له يوم القيامة: اشفع تشفع وسل تعطه[1].

وأما قضاء المآرب؛ فأصله قوله تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٨]، ومن تلك المنافع قضاء المآرب. وأما بذل المواهب فأصله ما روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**إن هذا البيت دعامة[2] الإسلام؛ من خرج يأتم هذا البيت حاجًا ومعتمرًا؛ كان مضمونًا على الله ﷻ إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن ردَّه أن يرده بأجر وغنيمة**»[3].

وروي عنه ﷺ أنه قال: «**إن للحاج الراكب بكل خطوة سبعين حسنة، وللماشي سبعمائة حسنة من حسنات الحرم**» وقيل: وما حسنات الحرم؟ قال: «**الحسنة بمائة ألف حسنة**»[4].

وأما الأمن من المعاطب؛ فأصله قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عمران: ٩٧] قيل: من دخله على حد التعظيم في الدنيا؛ كان آمنًا من العقوبة في العقبى.

وأما التطهير من المعايب؛ فأصله ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) البخاري من حديث أبي هريرة (٣١٦٢).

(٢) في حاشية (ق) الدعامة بكسر الدال المهملة: عمود البيت قاله المنذري في «الترغيب والترهيب».

(٣) أخرجه الحارث كما في «بغية الباحث» (٣٥٢) وفي سنده داود بن المحبر؛ متروك.

(٤) من حديث ابن عباس رواه البزار (٤٧٤٥)، وابن خزيمة (٢٧٩١)، والحاكم (١٦٩٢) وصححه، والبيهقي في «الشُعب» (٣٩٨١)، وفي الكبري (٨٤٢٩) وقال: تفرد به عيسى بن سوادة هذا وهو مجهول. وقال ابن خزيمة: إن صح الخبر؛ فإن في القلب من عيسى بن سوادة هذا.

«تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[(١)]، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما راح عبد في حجة أو عمرة؛ يكبر ويهلل حتى ذهبت الشمس إلا ذهبت بذنوبه»[(٢)].

وأما تسهيل المصائب وكفارة النوائب؛ فأصلهما أن الله تعالى يستجيب للحجاج دعواتهم؛ فيكفيهم مهماتهم ويسهل عليهم الأمور العسيرة، ويدفع عنهم الأهوال الكثيرة. وقد قيل: أن الدعاء يستجاب بمكة في خمسة عشر موضعًا؛ عند الملتزم، وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، وتحت الميزاب وحول البيت، وخلف المقام وفي الطواف وبعرفة ومنى وبجمع (يعني)[(٣)] المزدلفة، وعند الجمرات الثلاث وفي زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي وسط البيت، وفي السعي.

وأما حسن العواقب؛ فأصله ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات ولم يحج، ولم يحدث نفسه بالحج؛ مات ميتة جاهلية»[(٤)]، والذي ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو؛ مات على شعبة من نفاق» رواه مسلم[(٥)]، (قال النبي ﷺ: «من

---

(١) من حديث ابن مسعود رواه الترمذي (٨١٠) وقال: حسن صحيح غريب، وصححه المنذري (١٦٩٠).

(٢) من حديث سهل بن سعد رواه ابن عدي (٥/ ٢٨٤) في ترجمة عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة وقال: وهذه الأحاديث التي ذكرتها لعبد العزيز هذا؛ مناكير كلها.

(٣) في (ك): «وعند».

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٥) مسلم (١٩١٠) عن أبي هريرة.

ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج؛ فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا» رواه الترمذي والبيهقي[١]، قال الحافظ المنذري: وروي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: **«من لم يحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج؛ فليمت إن شاء يهوديًا، وإن شاء نصرانيًا)[٢]»[٣].**

وأما رحمة رب المشارق والمغارب؛ فأصله ما روي عن النبي ﷺ: **«الطواف بالبيت خوض في رحمة الله، وإن الله ﷻ ليباهي بالطائفين حول البيت الملائكة»[٤]**، وروى عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **«إن الله تعالى يُنزِل كل ليلة على هذا البيت مائة وعشرين رحمة؛ ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»[٥].**

---

(١) الترمذي (٨١٢)، والبيهقي في «الشُعب» (٣٩٧٨) وقال: تفرد به هلال أبو هاشم مولى ربيعة بن عمرو عن أبي إسحاق. وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعف في الحديث.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) الدرامي (١٧٨٥)، والبيهقي في «الشُعب» (٣٩٧٩) وقال: وهذا إن صح فإنما أراد والله أعلم إذا لم يحج و هو لا يرى تركه إثما ولا فعله برا . أ هـ ومدار سندهما على ليث بن أبي سليم؛ ضعيف.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وبنحوه عن عائشة رواه إسحاق بن راهويه (١٧٥٤)، وأخرج جزئه الأخير ابن عدي (٥/ ٣٥٤) وفي سنده عائذ بن بشير؛ ضعيف.

(٥) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٩٥) و«الأوسط» (٦٣١٤) قال الهيثمي (٥٧٣٩): فيه يوسف بن السفر؛ متروك.

شعر:

زمزم بزمزم حالك تغسل بها ما قد سلف

وأشرب هنيئًا مريئًا فذاك نعم شراب

واشعل شموع أشواقك عند الطواف ببيتنا

ترى عجائب غرائب كما رأى الأحباب

ولا تُقبّل حجرنا بقلب قاس كالحجر

أين الدموع الذوارف يا مدعٍ كذاب

هذا مقام إبراهيم قبل الوقوف به

اجتنب مقام الهوى والرذائل واهجر لكل حجاب

بالله قدم توبة قبل القدوم إلى منى

ترى المنى قد جاءت تسعى بغير حساب

قدم ليوم الوقفة وقف بذلة وانكسر

عساك تجبر وتحشر غدًا مع الأحباب

هذي نصيحة مشفق يهنى القلوب القابلة

لها من الحق زلفى وحسن مآب

قال غيره:

فساروا بلا خوف إلى (خيف)[1] أمنهم

فلما أناخوا في منى بلغو المنى

تمنوا فأعطاهم مناهم وصانهم

بتوبة الخلصاء عن الفحش والخنا

---

(١) في (ك): «خوف».

وسامح عن كل الذنوب التي جرت
وما اجترح العبد المسيء وما جنا
أدار عليهم ساقي القوم خمرة
فنادوا من الساقي؟ فقال لهم: أنا
أنا الله فادعوني فإني ربكم
إلى المجد والعلياء والملك (والسنا)[1]

وقال غيره:

ولما دعاني قلت أهلًا ومرحبا
بوصلك ما أحلى هواك وأعذبا
وحقك أنت السؤال والقصد والمنى
وإن لامني فيك العذُول وأطنبا
فقلبي ما اشتاق الأراك لأجله
ولا أرض نعمان ولا الخيفا أو قُبا
كذاك النقي والبان والجزع واللوا
بهم إن حدى الحادي وغنّى وأطربا
وإن عَرّضوا يومًا بسُعدى وزينب
فما اشتقت سُعدي لا ولا رُمت زينبا
لئن ذُكرت تلك المنازل (سيدي)[2]
فقصدي دون الكل ساكنةَ الخبا

---

(١) في (ك): «والثناء».

(٢) في (ق): «سادتي».

هذه المعاني تصلح لمن يُعاني، ويشتغل بالباقي عن الفاني. المحبة نبض في القلب لا تفتر حركته، وسكون النبض علامة الموت. أين أنتم يا أهل الشوق؟ أما لكم ذوق؟!

من رافق القوم ولو بعض يوم؛ يُرجى له الخير فلا يلحقه ضر ولا ضير. يا مدبرًا عنا نحن في انتظار العودة فعد بها وعد؛ فالخيرة لك.

يا من ذهب عمره في البطالة، ورضي من الدنيا بأقبح حالة ما ينفعك عمارة الظاهر والباطن مهدوم؛ إن مت على هذا فأنت محروم.

يا مشتاقين أين شوقكم إلى ما فارقتم، وأين (توقكم)[1] إلى ما أَلِفتم. يا قيس المحبة مت على قبر ليلى.

شعر:

خذا من صبا نَجدٍ أمانًا لقلبه
فقد كاد رياها يطير بلُبِّه

وإياكما ذاك النسيم فإنه
إذا هبَّ كان الوَجدُ أيسر خطبه

خليلي لو أحببتما لعلمتما
محل الهوى من مُغرم القلبِ صَبه

نكتة: الدعوات إلى البيت ثلاث؛ دعوة الخليل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]. ودعوة الحبيب محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقد دعاهم إلى سبيله

(١) في (ك): «تشوقكم».

وبين فريضة الحج عليهم. ودعوة الجليل ﷻ بقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

نكتة أخرى: وهي أن الخليل عليه السلام لما دعاهم أجابوا الجليل ﷻ فقالوا: لبيك اللهم لبيك؛ لأنهم علموا أن الخليل واسطة؛ فإن الدعاء في الحقيقة من الجليل فأجابوا للأصل.

نكتة أخرى: وهي أن الله تعالى قال للخليل: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]؛ فإذا كان الله تعالى أمر بتطهير بيته لأجلهم في الدنيا؛ فيرجى من رحمته تطهيرهم من ذنوبهم في العقبى. وأيضًا فإنه طهر بيته لأجل حضور الزوار؛ فأولى أن يطهر العبد قلبه عن دنس محبة الأغيار لأجل محبة الملك القهار.

ونكتة أخرى: وهي أن الله تعالى قال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾، وقال في موضع آخر ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]؛ فأمر إبراهيم بتطهير بيته، وتولى هو ﷻ تطهير قلوب عباده؛ وذلك لأن القلب أيضًا بيت الرب -معناه محل ذكره-، وفي ذلك دلالة على فضيلة قلب المؤمن كما قيل: إنه أفضل من الجنة؛ لأن الجنة نصيب العبد من الله تعالى، وقلب المؤمن نصيب الله تعالى من ابن آدم.

القلب بيت الرب، وقد زين القلب بالعقل والفهم، والفراسة والحكمة، والفطنة والعلم، والفكرة والعبرة، واليقين والسخاوة، والشجاعة وحسن الظن، والصبر والشكر والرضا والقناعة، والإخلاص

والتوكل والرحمة والشفقة، والمحبة والصفا والشوق إلى الله تعالى إلى غير ذلك، وهذه الزينة (أحلى)[١] من زينة الجنة والله أعلم، وأيضًا فإن تطهير الكعبة لأجل المؤمن وتطهير المؤمن لأجل رب العالمين، وقد قيل: الحج حرفان حاء وجيم؛ فالحاء من حكمة الحق، والجيم من جرم الخلق، وفيه إشارة إلى أن الحق تعالى يتجاوز عن الحاج أنواع جرمهم.

وحكي أن نصرانيًا خرج إلى مكة؛ لينظر ما يصنع الحاج بها، وكان اسمه عبد المسيح فلما رأى الكعبة أسلم، ورآه بعض الناس فعرفه فقال له: يا عبد المسيح ما جاء بك إلى هاهنا؟ فأخبره عن إسلامه، وقال: ألست بعبد المسيح؟ فقال: إنما أنا عبد لمن المسيح عبده. وهذه الحكاية أخبر بها إبراهيم الخواص، وقد تقدم في المجلس الثالث[٢] في قدوم الحاج في شفاعة الكعبة لمن طاف حولها.

وكم للحج من فضائل لا تحصى، وأوصاف لا تستقصى، وهذه الفوائد نقطة من بحر، ومن طلب المزيد على ذلك؛ نظر كتاب «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي وغيره (من كتب الإسلام)[٣]، وإنما هذا تنبيه على غيره ويكفي هذا الكتاب منه هذا المقدار؛ خوف الإطالة والإكثار والله المستعان[٤].

---

(١) في (ق): «أعلى».

(٢) انظر (ص)

(٣) مثبت من (ق).

(٤) لا شك أن الحج له فضائل كثيرة ومنافع عديدة على المستوى الفردي والجماعي =

فصل

فيما يقوم للمنقطعين بالعجز عن الحج من الأعمال المقربة إلى ذي العظمة والكبرياء والجلال

في «صحيح البخاري»[1] ﷺ عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله؛ ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العُلى، والنعيم المقيم يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموال يحجون بها، ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا أحدثكم بما إن أخذتم به؛ لحقتم من سبقكم، ولا يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين**

= وقد أوضح العلامة ابن الرسام رحمه الله الكثير من فوائد الحج على المستوى الفردي من صلاح القلب، وغفران الذنوب وللحج على المستوى الجماعي فوائد جمة منها:

١- توطيد العلاقات بين أبناء الأمة المسلمة؛ حكومات وشعوب وأفراد.

٢- الحج مؤتمر إسلامي كبير ووسيلة للتشاور في قضايا الأمة الكبرى ومصالحها العامة.

٣- الحج مظهر من مظاهر الوحدة الكبرى بين كل المسلمين؛ فالاجتماع في مكان واحد، والمناسك واحدة، وشعار الجميع واحد، وهو لبيك اللهم لبيك، وهو شعار ينطوي على معان إيمانية كبيرة منها سرعة الاستجابة لأمر الله، والسعي الجاد لتحقيق مراداته، والقيام بأوامره، والبعد عن نواهيه، وكلها فوائد تحقق القوة العامة للأمة الإسلامية.

(١) البخاري (٨٠٧)، ومسلم (٥٩٥).

ظهرانيهم إلا من عمل مثله؛ تسبحون الله وتحمدون الله، وتكبرون الله خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين. . .» الحديث.

وفي «المسند» و«سنن النسائي»[١] عن أبي الدرداء ﷺ قال: قلت يا رسول الله ذهب الأغنياء بالأجر؛ يحجون ولا نحج، ويجاهدون ولا نجاهد، فقال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على شيء إن أخذتم به جئتم بأفضل مما يجيء به أحد منهم؛ أن تكبروا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحوه ثلاثًا وثلاثين، وتحمدوه ثلاثًا وثلاثين في دبر كل صلاة»؛ ففي هذا الحديث وما قبله بشارة عظيمة، وهو أنَّ النبي ﷺ جعل التسبيح والتحميد والتكبير عقيب الصلوات؛ قائمًا مقام الحج والجهاد، وكذلك ورد أنه يقوم مقام عتق الرقاب[٢].

ويكفي الفقراء المنقطعين بالعجز عن الحج والجهاد والصدقات؛ (حسن نيتهم)[٣] في ذلك؛ لما ثبت في الصحيح من رواية عبد الله ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها

---

(١) أحمد (٢٧٥٥٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٩٧٦، ٩٩٧٧). قال شعيب الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) يشير المصنف إلى مارواه الرافعي في تاريخ قزوين (٢/ ١١٨) من حديث البراء مرفوعا: «إذا صليتم صلاة الفرض؛ فقولوا في عقب كل صلاة عشر مرات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير يكتب له من الأجر كأنما عتق رقبة»

(٣) مثبت من (ق).

ويعلمها» رواه البخاري[1]، وقوله: هلكته بفتح اللام هو الهلاك.

وحُكي أنه أصاب بني إسرائيل قحط وغلاء؛ فخرج رجل منهم فمر على كثيب من رمل فقال: وددت لو كان هذا دقيقًا كنت أتصدق به؛ فأوحى الله تعالى إلى بعض أنبياء بني إسرائيل في ذلك الزمان أن قل لفلان: إني قد قبلت صدقته، وهذا ولم يتصدق بشيء، ولكن صحت منه النية بذلك، وكذلك لو همَّ ببناء مسجد لله تعالى أو مدرسة، وأن يوقف عليها وقفًا، واطلع الله على صدق نيته بذلك؛ كتب له أجره، ولقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات...»[2] الحديث.

فصل

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «نية المرء خير من عمله»[3] كما قيل: إن الخلود في الجنة يحصل بإصلاح النية في مداومة العمل؛ فإنه لو حصل

---

(١) البخاري (٧٣).

(٢) البخاري (١، ٦٥٥٣)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) ورد هذا الحديث عن أنس وسهل بن سعد والنواس بن سمعان وأبي موسى فأما حديث أنس فرواه البيهقي في «الشُعب» (٦٨٥٩) وقال: هذا إسناد ضعيف وحديث سهل رواه الطبراني في «الكبير» (٦/ ١٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٥). قال الهيثمي (٢١٢): رجاله موثقون إلا حاتم بن عباد بن دينار الجرشي لم أر من ذكر له ترجمة. اهـ، وهو في «مسند الشهاب» (١٤٧) بسند فيه يوسف بن عطية، وهو ضعيف. وحديث النواس رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٨) وفي سنده بقية، وقد عنعنه. وحديث علي رواه الديلمي (٦٨٤٣) والحديث بطرقه يتقوى كما قال الفتني في تذكرة «الموضوعات» (١/ ١٥١١).

الجزاء على الأعمال المضاعفة له فما كان لذلك نهاية؛ فنية العبد أنه لو عمِّر في الدنيا إلى أبد الآباد لكان مطيعًا لرب العباد؛ فبهذه النية استوجب الخلود في الجنان؛ بصحة عزمه على الطاعة وإن طال الزمان [ونية الكافر(١) أن لو عمر في الدنيا إلى أبد الآباد لكان عاصيًا لرب الأرباب؛ فبهذه النية استوجب الخلود في النار بقوة عزمه على الكفر وإن طال الزمان](٢) .

فإذا علم الله ﷻ صدق نية عبده في الحج، وغيره من الطاعات، وعجز عن ذلك؛ أعطاه أجره وإن لم يعمل ذلك العمل، كما روي: أن العبد إذا نام بنية الصلاة من الليل فلم ينتبه كتب له أجر ذلك وكان نومه عليه صدقة(٣)، وهكذا روي: إذا مرض العبد أو سافر، وعجز عما كان يعمل في حال الصحة والإقامة؛ فإن الله يقول للملائكة: اكتبوا لعبدي مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم(٤) ونظائر هذا كثير.

وقد دل على ذلك القرآن -كلام الله تعالى- بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى

---

(١) السياق في (ق): «ونية أن الكافر»

(٢) مثبت من (ق).

(٣) من حديث أبي الدرداء رواه النسائي (١٧٨٧)، وابن ماجة (١٣٤٤)، والحاكم (١١٧٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وجوَّده المنذري (٨٨٢).

(٤) مسلم (٢٨٣٤).

ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١-٩٢]، نزلت هذه الآية بسبب قوم من فقراء المسلمين أتوا النبي ﷺ، وهو يتجهز إلى غزوة تبوك؛ فطلبوا منه أن يحملهم فقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه فرجعوا، وهم يبكون حزنًا على ما فاتهم من الجهاد مع رسول الله ﷺ. قال شيخ السنة البغوي: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ قال قتادة: نزلت في عائذ بن عمرو وأصحابه. وقال الضحاك: نزلت في عبد الله بن أم مكتوم الأعمى مؤذن رسول الله ﷺ.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾، وهم سبعة نفر سُموا البكاءين؛ معقل بن يسار وصخر بن خنساء، وعبد الله بن كعب الأنصاري وعلية بن زيد الأنصاري، وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل المزني أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن الله قد ندبنا للخروج معك فاحملنا. قال الحافظ ابن مندة: ثعلبة بن غنمة بن عدي من الأنصار شهد بدرًا.

قال بعض العلماء: بكى هؤلاء السادة من الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-؛ هذا والله بكاء الرجال؛ بكوا على فقد رواحل يتحملون عليها إلى الموت في مواطن تراق فيها الدماء في سبيل الله، وتنتزع فيها رءوس الرجال عن كواهلهم بالسيوف؛ فأما من يبكي على فقد حظه من الدنيا وشهواتها العاجلة؛ فذاك شبيه ببكاء الأطفال والنساء على فقد حظوظهم العاجلة.

شعر:

سهرُ العيونِ لغير وجهك باطل

وبكاؤهن لغير فقدك ضائعُ

إنما يحسن البكاء والأسف على فوات الدرجات العلى والنعيم المقيم[1].

على مثلي ليلى يقتل المرءُ نفسَه

وإن بات من ليلى على الهجر طاويًا

قال وهيب بن الورد العابد المكي: إن استطعت أن لا يسبقك أحد إلى الله؛ فافعل. وقال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا؛ فنافسه في الآخرة، ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه.

قيمة كل إنسان ما يطلب؛ فمن كان يطلب الدنيا فلا أدنى منه؛ فإن الدنيا دنية وأدنى منها من يطلبها؛ فأما من كان يطلب الآخرة فقدره خطير؛ لأن الآخرة خطيرة شريفة، ومن يطلبها أشرف منها، وأما من كان يطلب ربه تعالى؛ فهو أكبر الناس عنده كما أن مطلوبه أكبر من كل شيء.

قال الشبلي: من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها؛ فصار رمادًا تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها؛ فصار سبيكة ذهب ينتفع بها، ومن ركن إلى الله أحرقه نور التوحيد فصار جوهرًا لا قيمة له.

لما رأى النبي ﷺ تأسف أصحابه الفقراء، وحزنهم على ما فاتهم من

---

(١) كتب بعدها في (ق): «آخر».

إنفاق إخوانهم الأغنياء أموالهم في سبيل الله؛ طيَّب قلوبهم، ودلهَّم على عمل يسير يدركون به مطلوبهم، ويلحقون به من سبقهم، ولا يلحقهم معه أحد بعدهم، ويكونون خيرًا ممن هم معهم إلا من عمل مثل عملهم، وهو الذكر عقيب الصلوات المكتوبات.

وقد اختلفت الروايات في أنواعه وعدده، والأخذ بكل ما ورد من ذلك حسن، وله فضل عظيم، وفي حديث أبي هريرة هذا أنهم يسبحون ويحمدون ويكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وقد فسره أبو صالح راويه عنه بالجمع، وهو أن يقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرة فيكون جملة ذلك تسعًا وتسعين.

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**» وهذا نهاية المقصود والحق ﷻ ذو الكرم والجود.

وقال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: ١٨]: هو قول سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر.

وقال طائفة في قوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] هو قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله

---

(١) مسلم (٥٩٧).

أكبر ولا حول ولا قول إلا بالله العلي العظيم. قاله الواحدي وغيره.

وذكر شيخ السنة البغوي في «شرح السنة»[(١)] له عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفّر الله عنه ذنوبه، وإن كانت أكثر من زبد البحر**»، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] قال: الحسنات هنا سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، وهكذا يقوم ذكر الله تعالى مقام عتق الرقاب، كما قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه رجل أعتق مائة نسمة قال: إن مائة نسمة من مال رجل كثير، وأفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار، وإن لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله.

وقد كان بعض الصحابة يظن أن لا صدقة إلا بمال؛ فأخبره النبي ﷺ أن الصدقة لا تختص بالمال، وأن الذكر وسائر أعمال المعروف صدقة، كما في «صحيح مسلم»[(٢)] عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال النبي ﷺ: «**أو ليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون؛ إن بكل تسبيحة صدقة، وبكل تكبيرة صدقة، وبكل تحميدة صدقة، وبكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة**»

---

(١) «شرح السنة» (٢/ ٤٠٨).

(٢) «صحيح مسلم» (١٠٠٦).

قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟ قال: « (أرأيتم)[(١)] **لو وضعها في الحرام أما كان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»** وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

ومن ذلك حديث أبي ضمضم في الصدقة بالعرض كما روى الحافظ الأصفهاني في «الترغيب والترهيب» بسنده عن أنس أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: **«أتعجزون أن تكونوا كأبي ضمضم؛ رجل كان قبلكم كان يقول إذا أصبح: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على من ظلمني؛ فلا يشتم من شتمه، ولا يضرب من ضربه»**[(٢)].

[بعض الطاعات التي لها ثواب الحج والعمرة]

ولما كان الحج من أفضل الأعمال والنفوس تتوق إليه؛ لما وضع الله تعالى في القلوب من الحنين إلى ذلك البيت العظيم، وكان كثير من الناس يعجز عنه ولا سيما كل عام؛ شرع الله تعالى لعباده أعمالًا يبلغ أجرها أجر الحج؛ فيتعوض بذلك العاجزون عن التطوع بالحج.

وذكر السهروردي في عوارف المعارف عن النبي ﷺ **«أن من قال: لا**

---

(١) شرح السنة (٢/ ٤٠٨).

(٢) لم أجده عند أبي القاسم الأصبهاني في «الترغيب» ورواه أبو داود (٤٨٨٧) عن عبد الرحمن بن عجلان مرسلا. ثم قال: رواه هاشم بن القاسم قال: عن محمد ابن عبد الله العمي عن ثابت قال: ثنا أنس عن النبي ﷺ بمعناه. وقال: وحديث حماد أصح. قال البيهقي في «الشُعب» (٨٠٨٣): والصحيح رواية من رواه عن حماد ابن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن عجلان عن النبي ﷺ مرسلا.

إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﷻ، واستغفر الله الأول الآخر الظاهر الباطن له الملك، وله الحمد بيده الخير، وهو على كل شيء قدير عشر مرات حين يصبح وحين يمسي؛ يكون له من الأجر كمن حج واعتمر»[١].

ففي الترمذي[٢] عن النبي ﷺ قال: «من صلى الصبح في جماعة، ثم جلس في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين؛ كان له مثل أجر حجة وعمرة تامة» قال رسول الله ﷺ: «تامة، تامة، تامة».

ومن ذلك شهود الجمعة؛ فإنه يعدل حجة تطوع كما قال سعيد بن المسيب: هو أحب إلي من حجة نافلة، وقد جعل النبي ﷺ المبكر إليها كالمهدي هديًا إلى بيت الله الحرام، وفي حديث ضعيف: «الجمعة حج المساكين»[٣].

وفي «جامع الترمذي» عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبح الله تعالى مائة تسبيحة بالغداة، ومائة بالعشي؛

---

(١) أخرجه أبو يعلي كما في كل من إتحاف الخيرة (٦٠٨٨)، والمطالب العالية (٣٧٠١)، ورواه العقيلي (١٨٢٥) وفي سندهما الأغلب بن تميم ضعيف، ومخلد أبو الهذيل قال العقيلي: لا يتابع عليه. قال الهيثمي (١٧٠٠٠) وقال: الأغلب ابن تميم؛ ضعيف. قال البوصيري في الإتحاف: قيل فيه موضوع، وليس ببعيد.

(٢) من حديث أنس رواه الترمذي (٥٨٦) وقال: حسن غريب.

(٣) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» عن ابن عباس (٧٨، ٧٩)، وفي سنده الضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس، وعيسى بن إبراهيم قال فيه أحمد: ليس بشيء، وقال الساجي: منكر الحديث. انظر «لسان الميزان» (٤/ ٣٩٢).

كان كمن حج مائة حجة»[١].

وفي «تاريخ ابن عساكر»[٢] عن الأوزاعي قال: مر يونس بن ميسرة بمقبرة باب توما فقال: السلام عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف، ونحن لكم تبع؛ فرحمنا الله وإياكم، وغفر لنا ولكم، فكأن قد صرنا إلى ما صرتم إليه؛ فرد الله الروح إلى رجل منهم فأجابه فقال: طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجون في الشهر أربع مرات، قال: وإلى أين يرحمك الله قال: إلى الجمعة؛ أما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة (قال: ما خير ما قدمتم قالوا: الاستغفار يا أهل الدنيا)[٣]، قال: فما يمنعك أن ترد السلام؟ قال: يا أهل الدنيا السلام حسنة، والحسنات قد رفعت عنا؛ فلا في حسنة نزيد، ولا في سيئة ننقص؛ عَلِقت رهوننا يا أهل الدنيا.

ومن ذلك أداء صلاة مكتوبة (لما في «سنن أبي داود» عن النبي ﷺ قال: **«من تطهر في بيته، ثم خرج إلى المسجد لأداء صلاة مكتوبة)**[٤]؛ **فأجره مثل أجر الحاج المحرم، ومن خرج لصلاة الضحى كان له مثل أجر المعتمر»**[٥].

ومن ذلك صلاة أربع ركعات بعد المغرب روى ابن شاهين في فضائل

---

(١) الترمذي (٣٤٧١) وقال: حسن غريب.

(٢) ابن عساكر (٣٥/٣٠٩).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) مثبت من (ق).

(٥) من حديث أبي أمامة رواه أبو داود (٥٥٨)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٥٢٢).

الأعمال بسنده عن أبي بكر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى المغرب، وصلى بعدها ركعتين قبل أن يتكلم أسكنه الله ﷻ حظيرة القدس**» قلت: فإن صلى بعدها أربعًا قال: «**كمن حج حجة بعد حجة**» (قلت: فإن صلى بعدها ستًّا قال: «**يغفر له ذنوب خمسين عامًا**»)[1].

ومن ذلك بر الأم، وفي حديث أنس أن النبي ﷺ وصى رجلًا ببر أمه وقال له: «**أنت حاج ومعتمر ومجاهد**» يعني إذا برها، رواه البيهقي أيضًا عن أنس[2]، وروى[3] بإسناده إلى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**ما من ولد بار؛ ينظر إلى والديه نظر رحمة إلا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة**» قالوا: يا رسول الله، وإن نظر كل يوم مائة نظرة قال: «**نعم الله أكبر وأطيب**».

ومن ذلك الخروج إلى العيد، قال بعض الصحابة ﵃: الخروج إلى العيد يوم الفطر يعدل عمرة، ويوم الأضحى يعدل حجة.

---

(١) مثبت من (ق) والحديث رواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٧٧٩) وقال: فيه حفص بن عمر الحلبي قال أبو زرعة: منكر الحديث، وفيه محمد بن عبدالرحمن قال ابن عدي: يسرق الحديث.

(٢) رواه أبو يعلي (٢٧٦٠) والطبراني في «الأوسط» في موضعين الأول (٢٩١٥، ٤٤٦٦) و«الصغير» (٢١٨). قال الهيثمي (١٣٣٩٩): رواه أبو يعلى والطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، ورجالهما رجال الصحيح غير ميمون بن نجيح؛ وثقه ابن حبان. أ هـ وجود إسناده المنذري (٣٧٤٧)، والعراقي (٢/ ١٩٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشُّعب» عن ابن عباس في موضعين الأول (٧٨٥٦)، وفيه زافر بن سليمان صدوق كثير الأوهام كما قال ابن حجر في «التقريب» (١٩٧٩) والثاني (٧٨٥٩)، وفيه نهشل بن سعيد متروك وكذبه إسحاق بن راهويه كما قال ابن حجر في «التقريب» (٧١٩٨)، وفيه الضحاك لم يسمع من ابن عباس .

ومن ذلك مشيك في حاجة أخيك المسلم كما قال الحسن: مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة، وفي كتاب الأربعين في فضل حوائج المسلمين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مشي في حاجة أخيه المسلم؛ كتب الله له بكل خطوة سبعين حجة إلى أن يرجع من حيث يفارقه**»[١]. ومن ذلك ترك الحرام كما قال بعض السلف: ترك دانق -وهو عبارة عن سدس درهم- مما يكرهه الله؛ أحب إليَّ من خمس مائة حجة.

إخواني إن حُبستم الآن عن الحج؛ فارجعوا إلى جهاد النفس فهو الجهاد الأكبر، ومن كان قد بَعُد عن حرم الله؛ فلا يبعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله؛ فإن رحمة الله قريب من المحسنين، وممن تاب إليه واستغفره.

وأنشد بعض المحبين:

إليك قصدي رب البيت والحجَر
فأنت سؤلي من حجي ومن عُمَري
وفيك سعيي وتطوافي ومزدلفي
والهدي حبسي الذي يغني عن الجُزُري
ومسجد (الخيف)[٢] خوفي من تباعدكم
ومشعري ومقامي دونكم خطري

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٥٢) والذي فيه: سبعين حسنة، وأبو يعلي (٢٧٨٩) والذي فيه: حسنة. قال الهيثمي (١٣٧٠٢، ١٣٧٠٣): فيه عبد الرحيم بن زيد العمي؛ متروك.

(٢) في (ك): «الخوف».

زادي (رجائي لكم)[١] والشوق راحلتي
والماء من عَبراتي والهوى سفري

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وارزقنا العودة إلى بيتك الحرام، وزيارة قبر نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ووفقنا في أيام عجزنا عن ذلك لأكمل الطاعات وأتم العبادات، وألهمنا شكرك على ذلك يا عالم الخفيات، وألهمنا الصواب عند رد الجواب، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) في (ك): «رجاء».

المجلس الحادي والعشرون

في ذي القعدة الحرام وما ورد من الحث فيه على الصيام وفي ذي الحجة بعده وكل شهر حرام، من الأشهر الحرم الأربعة وما فيهن من الفضائل المجتمعة

الحمد لله خالق الدجى والصباح، ومُسببِ الهدى والصلاح، ومُقدرِ الغُموم والأفراح، الجائدِ بالفضل الزائدِ والسماح، مالك الملك والمنجي من الهُلكِ ومسير الفَلك والفُلك بتيسر النجاح، عز فارتفع وفرق وجمع وحرم وأباح، ملك وقدَّر وطوى ونشر، وخلق البشر وفطر الأشباح، رفع السماء وأنزل الماء، وعلم آدم الأسماء وذرأ الرياح، أعطى ومنح، وأنعم ومدح وعفا عن من اجترح، وداوى الجراح، علم ما كان وما يكون وخلق الحركة والسكون، وإليه الرجوع والركون في الغدو والرواح، يتصرف في الطول والعرض (وينصب ميزان العدل يوم العرض)[١] الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح.

أحمده وأستعينه وأتوكل عليه، وأسأله التوفيق لعمل يقرب إليه، (وأشهد بوحدانيته عن أدلة صحاح)[٢]، وأشهد أن سيدنا محمد عبده المقدم، ورسوله المعظم نفديه بالأرواح، ﷺ وعلى رفيقه في الغار -

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

أبي بكر- شيخ المهاجرين والأنصار، وعلى عمر فاتح الأمصار، وعلى عثمان شهيد الدار، وعلى علي الكرار، الذي يقتل رعبه قبل السلاح ما بدا فجر ولاح، اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، وحرم أجسادنا على النار، وألهمنا في هذا الشهر المبارك (حسن)[1] النظر والاعتبار، وارزقنا النظر إليك في دار القرار، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار؛ برحمتك يا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

فصل

عباد الله؛ اعلموا أن الأشهر الحرم قدْرهن عند الله محترم معظم مكرم، وقد كان كثير من السلف يصوم الأشهر الحرم كلها، ورُوي ذلك عن الحسن البصري، وأبي إسحاق السبيعي، وعبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم أجمعين-.

وروى خلاد بن أسلم الصفار، وهو ثقة عن أبي مسلم أنه قال: صيام يوم من الأشهر الحرم يعدل شهرًا، وصيام يوم من غير الأشهر الحرم يعدل عشرًا، ورُوي بإسناد مجهول عن أنس مرفوعًا: **«من صام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت، كتب الله له عبادة تسع مائة سنة»**[2] ذكره شيخنا في «لطائفه» لكن أخرجه الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي بسنده إلى أنس، وذكره الشيخ عبد القادر وابن الجوزي كما

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) تقدم تخريجه صـ ٥٩ .

تقدم فهو من جملة أحاديث الترغيب، وفيه الحث على الصيام، وذكر عطاء الله الواسع والجود والإنعام وقد تقدم أنه يجوز العمل في الفضائل بالحديث الضعيف؛ لاحتمال صحته والله أعلم.

وخرج الإمام أحمد[١] بإسناده عن رجل من أهل باهلة قال أتيت النبي ﷺ لحاجة مرة فقال: «**من أنت؟**» فقلت: أما تعرفني قال: «**ومن أنت؟**» قلت: أنا الباهلي الذي أتيتك من عام أول، فقال: «**إنك أتيتني، وجسمك (ولونك)[٢] وهيئتك حسنة؛ فما بلغ بك ما أرى؟**» فقال: والله ما أفطرت بعدك إلا ليلًا قال: «**ومن أمرك تعذب نفسك ثلاث (مرار)[٣]؛ فصم شهر الصبر**» يعني رمضان قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني قال: «**صم يومًا من الشهر**»، قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني، قال: «**فيومين من الشهر**»، قلت: إني أجد قوة، وإني أحب أن تزيدني، قال: « **(فثلاثة)[٤] أيام من الشهر**»، قال: وألح عند الرابعة فما كاد فقلت: إني أجد قوة (وإني أحب أن تزيدني قال: «**صم من الحرم وأفطر**)[٥]» ففي هذا الحديث؛ دليل على فضل صيام الأشهر الأربعة الحرم التي ذكرها الله ﷻ بقوله ﴿إِنَّ عِـدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا

---

(١) رواه أحمد (٢٠٣٣٨) قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة مجيبة.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ق): «مرات».

(٤) في (ق): «فثلاث».

(٥) مثبت من (ق).

عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] وقد فسرها النبي ﷺ في حديث أبي بكرة أنها ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة ومحرم وشهر رجب.

وروى حديث الباهلي المذكور أبو داود في سننه وابن ماجة والنسائي ولفظه في «سنن أبي داود»(١) بسنده عن رجل من (باهلة)(٢) قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أنا الرجل الذي أتيتك عام الأول، فقال: **«ما لي أراك وجسمك ناحلًا»** قال: يا رسول الله ما أكلت طعامًا بالنهار، وما أكلته إلا بالليل، قال: **«ومن أمرك أن تعذب نفسك»** قلت: يا رسول الله إني أجد قوة قال: **«صم شهر الصبر، ويومًا بعده»** قلت: إني أقوى، قال: **«صم شهر الصبر، ويومين بعده»** (قلت: إني أقوى أكثر من ذلك، قال: **«صم شهر الصبر، وثلاثة أيام بعده وصم أشهر الحرم)(٣)»**، وفي رواية قال له رسول الله ﷺ: **«صم من الحرم وأفطر، صم من الحرم واترك»**.

وفيه دليل على أن من تكلف من العبادة ما يشق عليه حتى تأذى بذلك جسده؛ فإنه غير مأمور بذلك لقوله ﷺ: **«اكلفوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا»**(٤)، ولقوله لعبد الله بن عمرو بن

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٢٨)، وابن ماجة (١٧٤١) واللفظ المذكور أقرب لرواية ابن ماجة بخلاف ما ذكر المصنف. والحديث صححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٩٤).

(٢) في (ك): «أهل باهل».

(٣) مثبت من (ق).

(٤) من حديث عائشة رواه أحمد (٢٥٤٧٠)، والبخاري مختصرا (٦١٠٠).

العاصي: «صم وأفطر، وقم ونام»[١]، ونهيه إياه عن التشديد على نفسه وقوله: «**إنك إذا فعلت ذلك؛ هجمت عينك**»[٢]؛ أي: غارت من الضعف «**ونفهت نفسك**» ؛ يعني ملت وعييت وضجرت وكلّت، وكذلك نهيه عن الوصال، وكان يحب التخفيف على أمته ولهذا قال للباهلي: «**من أمرك أن تعذب نفسك**»، وأعاد عليه ثلاث مرات، ومراده ﷺ بقوله للباهلي: «**صم ثلاثة أيام**» قيل: أيام البيض، وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

وقال كعب الأحبار: اختار الله الزمان فأحبه إليه الأشهر الحرم، (وعن قيس بن عباد قال: ليس في الأشهر الحرم)[٣] شهر إلا في اليوم العاشر منه خير. قال: ففي الحجة العاشر منه؛ يوم الحج الأكبر، وفي المحرم العاشر عاشوراء، وفي رجب في اليوم العاشر منه ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾، قال الراوي: ونسيت ما قال في ذي القعدة.

وقال شيخ السنة البغوي وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢]؛ أي من (عشر)[٤] ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾؛ فعلى هذا تكون المناجاة لموسى عليه السلام يوم النحر. قاله مجاهد وابن جريج ومسروق زاده المعافى

---

(١) البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) البخاري (١١٠٢).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) في (ق): «شهر».

في «تفسيره»؛ فعلى هذا تكون الثلاثين ليلة في ذو القعدة.

وقد قيل: إن المكالمة والمناجاة كانت يوم عاشوراء؛ فعلى هذا تكون الثلاثين ليلة (ذي)[1] الحجة، وأتممناها بعشر عشر المحرم، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ -أي عند انطلاقه إلى الجبل- ﴿لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾؛ أي أصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله تعالى.

وقال ابن عباس: يريد الرفق بهم والإحسان إليهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره، وذلك أن موسى عليه السلام كان وعد بني إسرائيل، وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم فرعون بالغرق؛ أتاهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون؛ فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربه تبارك وتعالى الكتاب فأمره الله عز وجل أن يصوم ثلاثين يومًا فلما تمت ثلاثون أنكر خلوف فمه فتسوك بعود (خرنوب)[2].

وقال أبو العالية: أكل من لحي شجرة -يعني قشرها- فقالت له الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك؛ فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، وقال: أما علمت أن خُلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك. وكان فتنة بني إسرائيل في العشر التي زادها.

---

(١) في (ق): «ذو».

(٢) في (ق): «خروب». وهو شجر ينبت في جبال الشام وقيل هو الخشخاش. «تاج العروس» (١/ ٤٤٩-٤٥٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي الوقت الذي صيَّرنا له أن يكلمه فيه. قال أهل «التفسير»: إن موسى تطهر، وطهر ثيابه لميعاد ربه فلما أتى طور سيناء. . .وفي القصة: أن الله تعالى أنزل الظلمة على سبع فراسخ، وطرد عنه الشيطان، وطرد عنه هوام الأرض ونحى عنه الملكين، وكشط له السماء؛ فرأى الملائكة قيامًا في الهواء، ورأى العرش بارزًا، وكلمه ربه وأدناه حتى سمع صرير القلم؛ فاستحلى كلام ربه واشتاق إلى رؤيته فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ قال الزجاج: فيه اختصار تقديره أرني (نفسك)[1] فأنظر إليك. قال ابن عباس: أعطني أنظر إليك.

[سؤال حول رؤية الله والجواب عليه]

فإن قيل: كيف سأل الرؤية، وقد علم أن الله لا يُرى في الدنيا؟

الجواب: قال الحسن: هاج به الشوق فسأل الرؤية. وقيل: سأل الرؤية ظنًا منه أنه يجوز أن يُرى في الدنيا فقال الله تعالى: لن تراني، وليس لبشر أن يطيق النظر إليّ في الدنيا؛ من نظر إلي في الدنيا مات، قال المعافى في «تفسيره»: تعلق بهذا نفاة الرؤية، وقالوا: لن لنفي الأبد، وذلك غلط؛ لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنِّيه في النار بقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] يعني بالموت.

---

(١) مثبت من (ق).

وقال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقد يدخل الجنة من لا ينفق ما يحب، ولأن ابن عباس قال: لن تراني في الدنيا، وقال غيره: هذا جواب لقول موسى: أرني ولم يرد أرني في الآخرة، وإنما أراد في الدنيا فقال الله تعالى: من نظر إليّ في الدنيا مات فقال موسى: إلهي سمعت كلامك ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك، (وقيل: المعنى لن تراني بعين فانية، وإنما تراني بعين باقية)[1]، وقيل: لن تراني قبل محمد ﷺ وأمته، وقيل: لن تراني بالسؤال ولكن بالنوال؛ لأن الله لو أعطاه الرؤية بسؤاله لكانت الرؤية مكافأة بالسؤال، وقيل: معناه لن تراني بالعين التي رأيت بها عدوي يعني فرعون.

[تكميل مفيد فيه ذكر الأدلة على جواز رؤية الله تعالى]

وفي هذه الآية دليل على جواز الرؤية؛ (لأن موسى عليه السلام مع علمه بالله سأل الرؤية)[2]، ولو كانت مما يستحيل؛ (لما جاز لموسى أن يسألها؛ لأنه أعلم بالله أن يسأل ما يستحيل في وصفه تعالى)[3]، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة، وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: لا أُرى ألا ترى أن نوحًا عليه السلام قال: إن ابني من أهلي فأنكر عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦] .

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

ومما يدل على جواز الرؤية أنه علقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل؛ فدل على أنها جائزة ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علقه بمستحيل، قال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فإن قلت: كيف قال: لن تراني، والرؤيةُ غير النظرِ فكيف قال: أرني أنظر إليك؟ قلنا: لما كان أرني بمعنى اجعلني متمكنًا من الرؤية التي هي الإدراك؛ علم أن الطِلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقال: لن تراني ولم يقل لن تنظر إليّ.

قال أهل الحكمة والإشارة: إن موسى لما أراد الخروج إلى الميقات؛ جعل بين قومه وبين ربه واسطة بقوله لأخيه هارون: اخلفني في قومي؛ فلما سأله الرؤية جعل الله بينه وبينها واسطة، وهي الجبل فقال: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل، فقال: إن لم أصلح لخلافتك دون أخيك؛ فأنت لا تصلح لرؤيتي دون الجبل.

فإن قيل: ما معنى سؤال موسى الرؤية؟ قلنا: فيه ثلاثة أقوال؛ **أحدها**: ليرد عليه من جواب الله تعالى ما يحتج به على قومه حين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] مع علم موسى بأنه لا يجوز أن يراه في الدنيا، قلت: فنظير هذا قوله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فقيل: إن سبب سؤاله هذا لما قال للنمروذ: ربي الذي يحيى ويميت، قال له نمروذ: أنت رأيت؟ فسأل

الله تعالى ذلك ليقول لنمروذ: نعم رأيت إذا سأله عن ذلك.

والثاني: أنه كان يعلم ذلك باستدلال؛ فأحب أن يعلم صريحًا.

والثالث: أنه جوَّز ذلك وظنه، وأن رؤيته في الدنيا ممكنة، وهذا قول الحسن والربيع والسدي؛ فأجابه الله تعالى بأن قال: لن تراني ثم أظهر مع الجواب ما يعلم به استحالة مسألته ولكن (انظر)[1] على الجبل.

قال الكلبي: هو أعظم جبل بمدين يقال له: زبير؛ فلما سمعت الجبال ذلك تعاظمت رجاء أن يتجلى لها، وجعل زبير يتواضع؛ فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينها وخصه بالتجلي، والمعنى؛ اجعل بيني وبينك علمًا هو أقوى منك يعني الجبل؛ فإن استقر مكانه أي ثبت وسكن ولم يتضعضع؛ فسوف تراني، وإن لم يستقر الجبل مكانه فإنك لن تطيق رؤيتي كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي؛ لأن الجبل إذا لم يستقر لرؤيته فالإنسان بذلك أولى، ولما كان استقرار الجبل جائزًا في العقل كانت الرؤية جائزة أيضًا. انتهى[2].

قال شيخ السنة البغوي: قال السدي: لما كلم الله تعالى موسى غاص الخبيث إبليس في الأرض حتى خرج من بين قدمي موسى؛ فوسوس إليه أن مكلمك شيطان؛ فعند ذلك سأل موسى الرؤية فقال الله تعالى: ﴿لَن

---

(١) في (ك): «أرني».

(٢) لقد أفرد علماء أهل السنة مسألة رؤية الله تعالى بالتصنيف منهم الدراقطني وغيره، وانظر تفاصيل هذه المسألة في كتاب «معارج القبول» (١/ ٣٠٥) وما بعدها، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٨٨).

تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال وهب وابن إسحاق: لما سأل موسى ربه الرؤية؛ أرسل الله تعالى الضَباب والصواعق، والظلمة والرعد والبرق، وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله ﷻ ملائكة السموات السبع أن يعترضوا على موسى؛ فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد.

ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية؛ أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه كأمثال الأسود لهم لجب؛ بفتح اللام والجيم، وهو الجلبة بالتسبيح والتقديس؛ ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما رأى وسمع، واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده ثم قال: لقد ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه (شيء)(١) فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى أصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت، ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثالثة؛ أن اهبطوا على موسى؛ فهبطوا عليه أمثال النسور لهم لجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلبة الجيش العظيم؛ ألوانهم كلهيب النار ففزع موسى واشتد نفسه وآيس من الحياة فقال له خير الملائكة: مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الرابعة؛ أن اهبطوا فاعترضوا موسى

---

(١) مثبت من (ق).

بن عمران؛ فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا قبلهم؛ ألوانهم كلهيب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم؛ فاصطكت ركبتاه، وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران، اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت، ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة؛ أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان؛ فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، ولم ير مثلهم، ولم يسمع مثل أصواتهم؛ فامتلأ جوفه خوفًا واشتد حزنه وكثر بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران؛ مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة؛ أن اهبطوا على عبدي الذي طلب ليراني فاعترضوا عليه؛ فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة؛ نار أشد ضياء من الشمس، ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان (قبلهم)[1] من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم: سبوح قدوس رب العزة أبدًا لا يموت، في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه؛ فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول: رب اذكرني، ولا تنس عبدك لا أدري انقلب عما أنا فيه أم لا؛ إن خرجت احترقت، وإن مكثت مت.

فقال كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتد

---

(١) مثبت من (ق).

خوفك، وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت، ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة؛ فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب ﷻ، ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعًا يقولون: سبحان القدوس رب العزة أبدًا لا يموت بشدة أصواتهم؛ فارتج الجبل من عظمة الرب ﷻ واندك، وكل شجرة كانت فيه، وخر العبد الضعيف موسى صعقًا على وجهه ليس معه روحه؛ فأرسل الله برحمته الروح فتغشاه، وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى، وجعله كهيئة القبة؛ لئلا يحترق موسى فأقامه الروح كما تقيم الأم جنينها إذا وضعته.

فقام موسى يسبح الله تعالى ويقول: آمنت بك رب، وصدقت إنه لا يراك أحد (فنجني؛ من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه)[١] فما أعظمك وأعظم ملائكتك، أنت رب الأرباب وإله الآلهة، وملك الملوك لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء؛ تبت إليك الحمد لك لا شريك لك وما أجلك رب العالمين فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾.

قال ابن عباس: ظهر (نور ربه)[٢] للجبل؛ جبل زبير، وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور، وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار: ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكا، وقال السدي: ما تجلى إلا قدر الخِنصر يدل (عليه ما

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك): «نوره».

روى ثابت عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية وقال: هكذا ووضع)[١] الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل.

وحُكي عن سهل بن سعد الساعدي؛ أن الله تعالى أظهر عن سبعين ألف حجاب نورًا قدر الدرهم؛ فجعل الجبل دكًّا أي مستويًا بالأرض.

(قال ابن عباس: جعله ترابًا، وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض)[٢] حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه. ووقع في بعض التفاسير؛ أن الجبل صيره الله تعالى ستة (أجبل)[٣]؛ وقعت ثلاثة بالمدينة: أحد وورقان ورضوى، ووقعت بمكة ثلاثة: ثور وثبير وحراء.

قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ قال ابن عباس والحسن: مغشيًا عليه، وقال قتادة (غشيا)[٤]، وقال الكلبي: خر موسى صعقًا يوم الخميس يوم عرفة، وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر؛ فلما أفاق من صعقته، وثاب إليه عقله، وعرف أنه سأل أمرًا لا ينبغي له قال: سبحانك تبت إليك عن سؤال الرؤية، وأنا أول المؤمنين بأنك لا تُرى في الدنيا، وقال السدي: وأنا أول المؤمنين؛ أول من آمن بك من بني إسرائيل.

وفي القصة؛ أن موسى عليه السلام كان بعد ما كلمه الله تعالى لا يستطيع أحد أن ينظر إليه؛ لما غشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع

---

(١) مثبت من (ق)، والسياق في (ك): مضطرب.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ك): «أجبلي».

(٤) مثبت من (ق).

حتى مات، ويروى أن امرأته قالت له: أنا أيّم منك منذ كلمك الله؛ فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس؛ فوضعت يدها على وجهها ساعة وقالت: ادع الله لي أن يجعلني زوجتك في الجنة، قال: ذاك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها، وهكذا (قال أبو بكر الصديق ﷺ لابنته أسماء في شأن زوجها الزبير: إن الرجل إذا ابتكر بالمرأة؛ تزوجها في الجنة، وقال حذيفة لامرأته: إن المرأة لآخر أزواجها)[١].

ورُوي؛ أنها تكون لأحسن أزواجها خلقًا. قاله القرطبي في «التذكرة» في صفة الجنة منها هذه الأحكام هكذا وردت غير أن نبينا محمدًا ﷺ في خصائصه؛ تحريم أزواجه اللاتي توفي عنهن على غيره أبدًا.

وذكر شيخ السنة البغوي رحمه الله في تفسير هذه الآية بسنده قال: أنبأ أبو سعيد (السونجي)[٢]، أنبأ أبو إسحاق الثعلبي، أنبأ أبو عبد الله محمد بن أحمد المزكي، أنبأ أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، حدثنا قتيبة ابن سعيد، حدثنا (رشدين بن سعد)[٣]، عن سعيد بن عبد الرحمن المعافري، عن أبيه، عن كعب الأحبار أن موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال: إني أجد أمة خير الأمم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف،

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) كذا في النسختين، وفي المطبوع من «تفسير البغوي» (١/ ٢٧٩) «الشريحي».

(٣) في (ك): «راشد» وفي المطبوع من «تفسير البغوي» (راشد بن أسعد) وتكلم المصنف عنه بعد ذلك فقال: رشدين بن سعد وهو الصواب.

وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون (أهل الضلالة حتى يقاتلون)[١] الأعور الدجال؛ فاجعلهم أمتي قال: هي أمة محمد يا موسى فقال: رب إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم، وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار، وهم: المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم؛ فاجعلهم أمتي قال: هي أمة محمد.

وفيه أن موسى عليه السلام قال: رب إني أجد أمة: مصاحفهم في صدورهم، يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة، يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة، أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل؛ فاجعلهم أمتي قال: هي أمة محمد انتهى. هكذا ذكره لكن في إسناده رشدين بن سعد قال الذهبي في الكاشف: قال أبو زرعة: ضعيف أي في الرواية عنه توفي سنة ثمان وثمانين ومائة، وكان صالحًا عابدًا محدثًا (سيء)[٢] الحفظ.

(ورُوي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يومًا لأصحابه: «ما تقولون في هذه الآية ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦] الآية»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**لما كلم الله موسى قال: يا رب هل خلقت خلقًا أكرم عليك مني؟ فقال: يا موسى أما علمت أن محمدًا أكرم عليّ من جميع خلقي قال موسى: فهل في الأمم أمة أكرم عليك من أمتي؟ ظللتهم بالغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى فقال الله تعالى: يا موسى أما علمت أن فضل**

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك): «عزيز».

أمة محمد على سائر الأمم؛ كفضلي على جميع خلقي.

قال موسى: يا رب هل أراهم؟ قال الله: لا ولكن إن أحببت أن أسمعك كلامهم أسمعتك قال: إني أحب ذلك قال الله: يا أمة محمد. فأجابوه كلهم بضجة واحدة: لبيك اللهم لبيك. قال الله تعالى: صلاتي عليكم، ورحمتي سبقت غضبي، وعفوي سبق غضبي، وعفوي سبق عذابي، وإني قد غفرت لكم قبل أن تستغفروني، واستجبت لكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني؛ فما لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ غفرت له ذنوبه فأراد الله أن يكرمني بذلك فقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني أمتك ﷺ)[1] .

قال سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»: والأصح إنما خوطب موسى على جبل الطور الذي (بقرب)[2] بحر القلزم. وروي عن ابن عباس أنه قال: لما قال موسى عليه السلام: أرني أنظر إليك كشف الله الحجاب عن الجبال، وأبرز له جبل قاف. وقال: انظر؛ فنظر فإذا أمامه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفًا نبي محرمين ملبين كل منهم يقول: أرني (أرني)[3]. انتهى.

فائدة: وهي أنه قيل: لما أنزل الله تعالى التوراة لم يبق على وجه الأرض شجر ولا حجر ولا جبل إلا اهتز.

---

(١) مثبت من (ق)، والحديث بلفظ قريب رواه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٦/ ٤١٨).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

فصل

قال شيخنا رحمه الله في «لطائفه»: قال ليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ قا[1] ل: ذو القعدة ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ قال: عشر ذي الحجة. وذو القعدة من الأشهر الحرم بغير خلاف وهل هو أول الأشهر (الحرم)[2] المتوالية أو أول الحرم مطلقًا أم لا؟ فيه اختلاف، وهو أيضًا من الأشهر الحرم التي قال الله تعالى فيها: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ وسُمي ذو القعدة؛ لقعودهم فيه عن القتال وقد تقدم (الكلام على معاني الأشهر في فضائل شهر رمضان بفوائده)[3] .

ومن خصائص ذي القعدة؛ أن عُمر نبي الله ﷺ كلها كانت في ذي القعدة سوى عُمرته التي قرنها بحجته مع أنه ﷺ (أحرم)[4] بها أيضًا في ذي القعدة، وفعلها في ذي الحجة مع حجته -وكانت (عُمره أربعًا)[5] -: عمرة الحديبية ولم يتمها بل تحلل منها ورجع، وعمرة القضاء من قابل، وعمرة الجعرانة عام الفتح لما قسم غنائم حنين. وقيل: إنها كانت آخر شوال، والمشهور أنها كانت في آخر ذي القعدة، وعليه الجمهور، وعمرته في حجة الوداع.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) مثبت من (ق).

(٥) مثبت من (ق).

وقد دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه جمهور العلماء كما في «صحيح البخاري»[(١)] ﷺ عن قتادة قال: سألت أنسًا كم اعتمر النبي ﷺ؟ قال: أربعًا؛ عمرة الحديبية في ذي القعدة حيث صده المشركون، وعمرة من العام القابل في ذي القعدة حيث صالحهم، وعمرة الجعرانة إذ قسم غنيمة أراه حنين، قلت: كم حج؟ قال: واحدة. ومعناه بعد الهجرة؛ فإنه ﷺ قد حج حججًا قبلها والله أعلم.

وفي رواية عنه قال: اعتمر النبي ﷺ حيث ردوه من العام المقبل عمرة الحديبية، وعمرة في ذي القعدة، وعمرة مع حجته[(٢)]، وفي «الصحيحين» من حديث ابن عباس[(٣)] وهو في أفراد البخاري[(٤)] من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها أم سنان: «**عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي**». وقد روي عن طائفة من السلف منهم ابن عمر وعائشة وعطاء؛ تفضيل عمرة ذي القعدة وشوال على عمرة رمضان؛ لأن النبي ﷺ اعتمر في ذي القعدة، وفي أشهر الحج حيث يجب عليه الهدي إذا حج من عامه؛ لأن الهدي زيادة نسك؛ فيجتمع نسك العمرة مع نسك الهدي.

وللقعدة هذه الفضيلة الأخرى السابقة إنها الثلاثون يومًا التي واعد الله

---

(١) رواه البخاري (١٦٨٧).

(٢) البخاري (١٦٨٨).

(٣) البخاري (١٦٩٠)، ومسلم (١٢٥٦).

(٤) البخاري (١٧٦٤).

فيها موسى عليه السلام كما تقدم، وقد تقدم أن بعض السلف؛ كان يصوم الأشهر الحرم كلها منهم الحسن البصري وأبو إسحاق السبيعي وعبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم أجمعين-.

اسمع يا من لا (يقلع)[1] عن ارتكاب الحرام لا في شهر (حلال)[2]، ولا في شهر حرام، يا من هو في الطاعات إلى وراء وراء وفي المعاصي إلى قدام، يا من هو في كل يوم من عمره شرًا مما كان في قبله من الأيام فمتى تستفيق من هذا المنام؟ حتى تتوب من هذا الإجرام، يا من أنذره الشيب بالموت، وهو مقيم على الآثام أما كفاك واعظ الشيب مع واعظ القرآن والإسلام؟ فالموت خير لك من هذه الحياة والسلام.

وأنشدوا شعرًا:

يا غاديًا في غفلة ورائحًا
إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم ما تخاف موقفًا
يستنطِقُ الله به الجوارحا
يا عجبًا منك وأنت مبصرٌ
كيف تجنَّبت الطريق الواضحا
وكيف ترضى أن تكون خاسرًا
يوم يفوز من يكون رابحًا

---

(١) في (ك): « ينقطع ».

(٢) في (ك): «حل».

فـلـيـس يـغـنـي عـمـلٌ مـن عـامـلٍ
في الـحـشـر إلا أن يـكـون صـالـحًـا

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمدٍ، واهدنا بهداك إلى الطريق المستقيم، والمنهج الحق القويم، ووفقنا في هذا الشهر للعبادة يا كريم، واجعلنا ممن أتاك بقلب سليم، وسددنا فيما يستقبل يا من هو بكل شيء عليم، وارفق بنا يا ذا الإحسان القديم، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

المجلس الثاني والعشرون

في فضائل ذي الحجة الحرام وما يتعلق به من الأحكام

الحمد لله الذي لهيبة عظمته؛ تحرك الساكن وارتج، ولعظيم قدرته؛ التطمت أمواج البحر وعج، ومن يسير بلائه؛ استغاث شديد الصبر وضج، وإلى كثير عطائه؛ قطع قاصدوه العميق الفج، الذي أظهر في شهركم من دماء القرابين السفح والثج، وأحب من أكثر الدعاء فيه، وألح وألج، وسماه ذا الحجة وشرع فيه إلى بيته الحج.

أحمده على الإنعام والإسعاف، وأشكره على تقوية العزائم الضعاف، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها مزيد الألطاف، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله؛ أشرف من سعى حول البيت في الطواف، ﷺ وعلى آله وأصحابه السادة الأشراف، وأزواجه المبرأت من رذائل الاقتراف، وعلى التابعين لهم بإحسان على منهاج العدل والإنصاف، وسلم تسليمًا كثيرًا.

اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، وارزقنا في صيام عشرنا؛ حسن النظر والافتقار، ووفقنا في قيام لياليه لنسيان النوم والرقاد، والاجتهاد، وانقلنا من (سجوف)[1] الهوى إلى روضات الزهاد، وألهمنا في جميع أوقاتنا حب الجد والاجتهاد، وأمددنا بالإعانة عند محاربة النفوس في صف الجهاد، ولا تخزنا بقبيح أفعالنا

---

(١) السجوف: الأستار. انظر «القاموس المحيط» (١/ ١٠٥٧).

وأعمالنا يوم عرضنا عند قيام الأشهاد، وانفعني بإيرادي وانفعهم باستماعهم، واجعل لوجهك حضوري، ووفقهم لانتفاعهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل

عباد الله؛ اعلموا أن الله ﷻ قد شرَّف عشركم هذا، وأقسم به وأثنى عليه رسوله، وفضل العمل فيه، وقد شهد بفضله الكتاب والسنة، وأقوال علماء هذه الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١-٣] الآيات، وهذا قسم أقسم الله تعالى به، وقيل: المقسم به محذوف تقديره ورب الفجر، وهكذا القول في أمثاله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]، ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢]، ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] وأشباه ذلك في القرآن كثير، وقيل: أقسم الله تعالى بذلك؛ لأن الجميع من مخلوقاته ومصنوعاته يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها.

والفجر ضوء النهار إذا انشق عنه الليل، وذلك لا يقدر عليه غير الله تعالى، إذ هو آية من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعظمته؛ كما قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

وقد حُكي في المراد بهذا الفجر اثنا عشر قولًا ذكر المعافى في «تفسيره» منها ثمانية أقوال:

أحدها: أنه الفجر المعروف؛ الذي هو بدء النهار قاله علي بن أبي طالب وعكرمة وزيد من أسلم والقرطبي.

والثاني: هو صلاة الفجر رواه عطية عن ابن عباس.

والثالث: النهار كله؛ فعبر عنه بالفجر؛ لأنه أوله. رواه أبو نضرة عن ابن عباس.

والرابع: أنه فجر يوم النحر خاصة قاله مجاهد.

والخامس: أنه فجر أول يوم من ذي الحجة قاله الضحاك.

والسادس: أنه أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة قاله قتادة.

والسابع: أن الفجر؛ الصخور والعيون تنفجر بالماء لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ﴾ [البقرة: ٧٤] . والثامن: أن الفجر محمدًا ﷺ؛ لأن به انفجرت أنوار الإيمان، وغابت ظلمة الكفر حكاهما الثعلبي، وكذلك ذكر ابن عطية في «تفسيره»؛ أن الفجر محمدًا ﷺ منه انفجرت الأنوار.

والتاسع: انفجار الماء من بين أصابع النبي ﷺ. **والعاشر**: انفجار الصخرة، وخروج ناقة صالح عليه السلام. **والحادي عشر**: انفجار الماء من عيون العصاة.

والثاني عشر: انفجار المعرفة من القلوب كما قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، يعني بالإيمان والمعرفة، ذكر هذه الأقوال الأربعة الشيخ عبد القادر رحمه الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ فيها أربعة أقوال:

أحدها: أنه عشرُ ذي الحجة، رواه عطية عن ابن عباس وبه قال

مجاهدٌ ومسروقٌ وقتادة، والضحاك والسدي ومقاتل.

والثاني: أنها العشر الأواخر من رمضان؛ رواه أبو ظبيان عن ابن عباس.

والثالث: العشر الأول من رمضان؛ قاله الضحاك.

والرابع: العشر الأول من المحرم قاله يمان بن رئاب.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿وَٱلْوِتْرِ﴾ بكسر الواو وفتحها الأكثرون، والكسر لقريش وتميم وأسد، والفتح لأهل الحجاز.

وللمفسرين في الشفع والوتر أحدٌ وعشرون قولًا:

أحدها: أن الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر ليلة النحر، رواه أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ.

الثاني: أن الشفع أيام النحر، والوتر يوم عرفة رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ[1]، ورواه عكرمة عن ابن عباس قاله عكرمة والضحاك.

الثالث: أن الشفع والوتر، الصلاة منها شفع ومنها وتر رواه عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ[2] وبه قال قتادة.

---

(١) رواه أحمد (١٤٥٥١)، والنسائي في «الكبرى» (٤١٠١)، والحاكم (٧٥١٧) وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(٢) رواه أحمد (١٩٩٣٣، ١٩٩٤٩، ١٩٩٨٧)، وهو ضعيف لإبهام الراوي عن عمران ابن حصين.

الرابع: أن الشفع الخلق قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النبأ: ٨] والوتر؛ هو الله تعالى قال الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد في رواية ومسروق وأبو صالح.

الخامس: أن الشفع آدم وحواء، والوتر هو الله تعالى قاله مقاتل.

السادس: أن الوتر آدم شُفع بزوجته حواء رواه مجاهد عن ابن عباس وابن أبي نجيح.

السابع: أن الشفع يومان بعد يوم النحر، وهو النفر الأول، والوتر اليوم الثالث، وهو النفر الآخر قاله عبد الله بن الزبير واستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

الثامن: أن الشفع الركعتان من صلاة المغرب، والوتر الركعة الثالثة قاله أبو العالية والربيع بن أنس.

التاسع: أن الشفع صلاة الغداة، والوتر صلاة المغرب حكاه عطية.

العاشر: أن الشفع والوتر؛ الخلق كله منه شفع ومنه وتر قاله ابن زيد ومجاهد في رواية.

الحادي عشر: أنه العدد منه شفع ومنه وتر، وهو والذي قبله مرويان عن الحسن.

الثاني عشر: أن الشفع عشر ذي الحجة، والوتر أيام مني الثلاثة قاله الضحاك.

الثالث عشر: أن الشفع هو الله تعالى لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية، والوتر أيضًا هو الله تعالى لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] قاله سفيان بن عيينة.

الرابع عشر: أن الشفع الأيام والليالي، والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده، وهو يوم القيامة قاله (مقاتل بن حيان)(١).

الخامس عشر: أن الشفع درجات الجنة، وفي رواية أبواب الجنة لها ثمان، والوتر درجات النار وفي رواية أبواب النار؛ لأنها سبعة، وكأن الله أقسم بالجنة والنار قاله أبو الحسين بن الفضل.

السادس عشر: أن الشفع (تضاد أوصاف المخلوقين، أو قال)(٢): تضاد أوصاف الخلق بين عز وذل، وقدرة وعجز، وقوة وضعف، (وعلم وجهل، وموت وحياة، والوتر انفراد صفة الله تعالى إلى عز بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف)(٣)، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت قاله أبو بكر الوراق.

السابع عشر: أن الشفع الصفا والمروة، والوتر البيت.

الثامن عشر: أن الشفع مسجد مكة والمدينة، والوتر بيت المقدس.

التاسع عشر: أن الشفع القِران في الحج والتمتع، والوتر الإفراد.

---

(١) في (ك): «قتادة».

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

العشرون: أن الشفع؛ العبادات المتكررة كالصلاة والصوم والزكاة، والوتر الحج؛ لأنه يجب في العمر مرة واحدة.

الحادي والعشرون: أن الشفع؛ النفس والروح إذا كانتا معًا، والوتر؛ الروح بلا نفس والنفس بلا روح؛ أقسم الله بهما حالتي الاجتماع والانفراد، حكى هذه الأقوال الخمسة الثعلبي والقشيري أيضًا في «تفسيره»، والخامس؛ هو (القول)[1] الأخير الذي كمل أحدًا وعشرين كما ترى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤] قرأ ابن كثير ويعقوب؛ يسري بياء في الوصل والوقف، ووافقهما في الوصل نافع وأبو عمرو، وقرأ ابن عامر وعاصم والكسائي؛ يسر بغير ياء في الوصل والوقف. قال اللغويون منهم الفراء والزجاج: الاختيار حذف الياء لثلاثة أوجه:

أحدها: لمشاكلتها رءوس الآيات.

والثاني: لاتباع المصحف.

والثالث: أن العرب قد تحذف الياء، وتكتفي منها بكسر (ما)[2] قبلها، والجمهور على أن معنى يسري يعني ذاهبًا، وقيل: إذا يسري مقبلًا، وقيل: معناه إذا يسري فيه كما يقال: ليل نائم أي ينام فيه قاله الأخفش.

---

(١) في (ك): «الأول».

(٢) في (ك): «ها».

وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي فيما ذكر قسم ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]؛ أي عقل، وسُمي العقل حجرًا؛ لأنه يحجر على صاحبه من القبيح، وسمي عقلًا لأنه يعقل عما لا يحسن، ويسمى النُّهي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]؛ لأنه ينهي عن ما لا (يجمل)[١]، ومعنى الكلام أن من كان ذا لب علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء؛ فيه دلائل على توحيده (وقدرته)[٢] فهو حقيق أن يقسم به، وجواب القسم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]؛ معناه يرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه. قال مقاتل: رصد الناس على الصراط والمرصد الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١] فاعترض بين القسم وجوابه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦].

والمشهور من هذه الأقوال المذكورة؛ أن المراد بالعشر عشر ذي الحجة، ذكره ابن الجوزي في «التبصرة»، وغيره من العلماء، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة، والضحاك والسدي والكلبي: هي العشر الأول من ذي الحجة، وقال مسروق: هي أفضل أيام السنة. قال الحافظ أبو موسى المديني: واتفق المفسرون على هذه إلا ما روي عن ابن عباس في بعض الروايات أنه العشر الأواخر من رمضان، وقال الضحاك: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (عشر)[٣] أقسم الله بهن لفضلهن على سائر الأيام.

---

(١) في (ك): «يحل».

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

فاعلموا رحمكم الله؛ أن عشركم هذا ليس كعشر، وهو يحتوي على فضائل عشر:

الأولى: أن الله ﷻ أقسم به فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾.

والثانية: أن الله تعالى (سماه)[1] الأيام المعلومات، فقال تعا)[2] لى: (﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٦-٢٨]، قال ابن عباس: هي أيام العشر.

والثالثة: أن رسول الله ﷺ شهد له بأنه أفضل أيام الدنيا.

والرابعة: أنه ﷺ حث على أفعال الخير فيه على ما سيأتي من الأخبار إن شاء الله تعالى.

والخامسة: أنه ﷺ أمر بكثرة التسبيح والتحميد والتهليل فيه.

والسادسة: أن فيه يوم التروية وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام العشر؛ فله بكل يوم صوم شهر، وله بصوم يوم التروية سنة»[3]

---

(١) في (ك): «قال».

(٢) مثبت من (ق).

(٣) ذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/٩٦) وقال: رواه ابن عدي عن عائشة مرفوعا، ولا يصح، وفي إسناده الكلبي كذاب، وأخرجه أبو الشيخ في «الثواب»، ورواه ابن النجار في «تاريخه» من حديث جابر.

قال الزهري: وإنما سمي يوم التروية يعني الثامن من ذي الحجة؛ لأن عرفات لم يكن لها ماء، وكانوا يسيرون من الماء إليها، وقيل: لتروي إبراهيم عليه السلام حتى أصبح وقد رأى الأمر بذبح ولده.

والسابعة: أنه فيه يوم عرفة، وصومه بسنتين. **والثامنة**: أن فيه ليلة جمع، وهي ليلة المزدلفة.

والتاسعة: أن فيه الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام.

والعاشرة: وقوع الأضحية التي هي علم الملة الإبراهيمية، والشريعة المحمدية كما سيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على فضائلها بعد.

وقال الله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨] قال جمهور العلماء: هي أيام العشر.

وفي باب فضل العمل في أيام التشريق حدثنا محمد بن عرعرة، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ولفظه: «**ما العمل أفضل منها في هذه**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**» ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وهكذا قال البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس: إنها أيام العشر، والأيام[1] المعدودات أنها أيام التشريق.

---

(١) بعدها في النسختين «المعروفات»، وأظنها مقحمة في السياق.

وأما فضائل هذا العشر المبارك من السنة وأقوال علماء هذه الأمة، فمن ذلك ما في «صحيح البخاري»[(١)] رَحِمَهُ اللهُ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام»** يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: **«ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء»** دل هذا الحديث على فضل هذا العشر في نفسه، وعلى فضل العمل فيه، ورُوي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: كان يقال في أيام العشر بكل يوم ألف يومٍ، ويوم عرفة بثلاثة آلاف يوم كما سيأتي هذا إن شاء الله تعالى.

وفي «المسند» و«السنن» عن حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان لا يدع صيام عاشوراء، والعشر وثلاثة أيام من كل شهر. وقد مضى الكلام على فضل عاشوراء في أول مجلس من هذا الكتاب.

فصل

وممن كان يصوم هذا العشر عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وعن الحسن وابن سيرين (وقتادة)[(٢)] فضل صيامه، وهو قول أكثر العلماء. وفي «صحيح مسلم»[(٣)] عن عائشة قالت: **«ما رأيت رسول الله ﷺ صائمًا العشر قط،**

---

(١) رواه البخاري (٩٢٦).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مسلم (١١٧٦).

وفي رواية في العشر قط».

وقد اختلف جواب الإمام أحمد عن هذا الحديث؛ فأجاب مرة بأنه اختلف إسناد [حديث][1] عائشة؛ فأسنده الأعمش، وأجاب بأن عائشة أرادت أنه لم يصم العشر كاملًا، وحفصة أرادت أنه كان يصوم غالبه؛ فينبغي أن يصام بعضه، ويفطر بعضه؛ ليجمع بين الحديثين.

قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم[2]: يُتأول قولها يعني عائشة: أنه ﷺ لم يصم العشر؛ أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما أو أنها لم تره صائمًا فيه، ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الأمر، ويدل على هذا التأويل حديث هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر أول اثنين من الشهر والخميس، رواه أبو داود وهذا لفظه وأحمد والنسائي[3]، وفي روايتهما: وخميسين، والله أعلم. قال الذهبي في الكاشف: وهنيدة بن خالد عن علي وعائشة وعنه عدي بن ثابت وأبو إسحاق؛ ثقة.

وليس في صوم هذه التسعة كراهية؛ بل هي مستحبة استحبابًا شديدًا لاسيما التاسع، وهو يوم عرفة وستأتي الأحاديث في فضله، قال في

---

(١) ليست في النسختين، والمثبت السياق يقتضيه.

(٢) «شرح مسلم» للنووي (٨/ ٧٢).

(٣) أبو داود (٢٤٣٧) وأحمد (٢٢٣٨٨) والنسائي (٢٣٧٢). قال شعيب الأرنؤوط: ضعيف لاضطرابه.

«جامع الأصول»[١] حديث هُنيدة بن خالد رواية الأصل كما ذكر. قال: وفي أخرى: كان النبي ﷺ يصوم العشر، وثلاثة أيام من كل شهر الاثنين والخميس، وذكر حديث عائشة: ما رأيته صائمًا في العشر قط، وقال أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود إلا أن أبا داود أسقط منه لفظة؛ في.

واختلف على هُنيدة بن خالد في إسناده عنه فروي عنه عن حفصة زوج النبي ﷺ، ورُوي عن أمه عن أم سلمة زوج النبي ﷺ مختصرًا قاله المنذري في الحواشي.

قال ابن القيم في «الهدي»[٢] عن حفصة قالت: «**أربعٌ لم يكن رسول الله ﷺ يدعهن؛ صيام عاشوراء والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر، وركعتا الفجر**»[٣]، ذكره الإمام أحمد. وتقدم الجمع بين الحديثين.

وروى السمرقندي في «تنبيه الغافلين» قال: حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا محمد بن غالب بإسناده عن عطاء، عن عائشة رضي الله عنها أن شابًّا كان صاحب سماع، وكان إذا هلّ هلال ذي الحجة أصبح صائمًا فارتفع الحديث إلى النبي ﷺ فأرسل إليه فدعاه فقال: «**ما حملك على صيام هذه الأيام؟**» قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ أيام المشاعر وأيام الحج عسى الله أن يشركني في دعائهم، قال: «**فإن لك بكل يوم تصومه**

---

(١) جامع الأصول (٤٤٦٠، ٤٤٦١).

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٦١)

(٣) أحمد (٢٦٥٠٢) قال شعيب الأرنؤوط: حديث ضعيف دون قوله: والركعتين قبل الغداة فصحيح.

عدل مائة رقبة ومائة بدنة، ومائة فرس يحمل عليها في سبيل الله، وإذا كان يوم التروية فلك به عتق ألف رقبة وألف بدنة، وألف فرس يحمل عليها في سبيل الله تعالى، وإذا كان يوم عرفة فلك فيه ألفا رقبةٍ وألفا بدنة، وألفا فرسٍ يُحمل عليها في سبيل الله وهو صيام سنتين، سنةٌ قبلها وسنة بعدها»[١].

وعن عبد الله بن عمير الليثي قال: بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى موسى ابن عمران عليه السلام خمس دعواتٍ جاء بهن جبريل عليه السلام في أيام العشر:

أوّلهن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

والثانية: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا واحدًا أحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة، ولا ولدًا.

والثالثة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحدًا صمدًا لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. والرابعة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، والخامسة: حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى.

وذكر أن هذه الكلمات أنزلت في الإنجيل، وأن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن فضل هذه الدعوات؛ فذكر لهم من الثواب والفضيلة لمن

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٤٣) في ترجمة محمد المحرم، ونقل فيه قول ابن معين: ليس بشيء.

قرأها في العشر ما لا يقدر على وصفه أحد. قال هاشم بن الفضل: حدثنا رجل أنه دعا بهذه الدعوات في أيام العشر؛ فرأى في المنام كأن في بيته خمس طبقات من نور بعضها فوق بعض. انتهى.

قال الشيخ عبد القادر في «الغنية» بسنده عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أحيا ليلة من ليالي عشر ذي الحجة؛ فكأنما عبد الله تعالى عبادة من حج واعتمر طول سنته، ومن صام فيها يومًا فكأنما عبد الله سائر سنته** .

وقيل: من أكرم هذه الأيام العشر؛ أكرمه الله تعالى بعشر كرامات: البركة في عمره، والزيادة في ماله، والحفظ لعياله، والتكفير لسيئاته، والتضعيف لحسناته، والتسهيل لسكراته، والضياء لظلماته، والتثقيل لميزانه، والنجاة لدركاته، والصعود في درجاته، ومن سأل الله في هذا العشر أجابه، والدعاء فيه لا يرد.

ومن تصدق في هذه الأيام العشر بصدقة على مسكين؛ فكأنما تصدق على أنبيائه ﵈، ومن عاد فيه مريضًا فكأنما عاد أولياء الله وبدلائه، ومن شيع جنازة فكأنما شيع جنازة شهداء الله، ومن كسا مؤمنًا كساه الله من حُلله، ومن لطف فيها بيتيم لطف الله تعالى به في القيامة تحت ظل عرشه، ومن حضر مجلسًا من مجالس العلم في هذا العشر؛ فكأنما حضر مجالس أنبياء الله ورسله. انتهى وكان سعيد بن جبير ﵁ يجتهد فيهن، ويدأب دأبًا لا يصنعه في شيء مما سواه.

وعن جابر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من أيام عند الله ﷻ أفضل**

من أيام العشر» قالوا: ولا مثلها في سبيل الله ﷻ؟ قال: «**لا إلا من غبر وجهه في التراب**»[(١)] يعني به القتل، والله أعلم.

وفي «مسند الإمام أحمد»[(٢)] عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**»، وفي الباب عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم[(٣)].

وذكر البخاري رحمه الله في «صحيحه»[(٤)] قال: قال ابن عباس ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨] (أيام)[(٥)] العشر، والأيام

---

(١) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (١١٢٨). قال الهيثمي (٥٩٣٣): إسناده حسن ورجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد (٥٤٤٦) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد ضعيف لضعف يزيد ابن أبي زياد، وباقي رجال إسناده ثقات رجال الشيخين.

(٣) أما حديث أبي هريرة فرواه الترمذي (٧٥٨) وقال: غريب. وله حديث آخر رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢٠٥) في ترجمة مصعب بن بدر، وقال: يخالف من حديثه. وحديث عبد الله بن عمرو رواه أحمد (٦٥٥٩، ٧٠٧٩) قال الهيثمي (٥٩٣٠): رواه أحمد والطبراني في «الكبير» كل منهما بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. أ هـ وفي الباب أيضا عن أبي قتادة وابن مسعود؛ فأما حديث أبي قتادة فرواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٧٩)، وفي سنده حجاج بن أرطاة.
وحديث ابن مسعود رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٩٩) قال الهيثمي (٥٩٣١): رجاله رجال الصحيح.

(٤) البخاري (١/ ٣٢٩).

(٥) مثبت من (ق).

المعدودات أيام التشريق، وكان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران فيكبر الناس بتكبيرهما. وهذا هو التكبير المطلق في أيام العشر (جميعًا)[١]، وعند رؤية بهيمة الأنعام، والشافعي خصَّه بحال رؤية بهيمة الأنعام، والإمام أحمد يستحبه في العشر وإظهاره، والجهر به في الأسواق.

قال في «الفروع»[٢]: ويسن المطلق في عشر ذي الحجة خلافًا لأبي حنيفة ومالك، ولو لم ير بهيمة الأنعام خلافًا للشافعي، ويرفع صوته به قاله أحمد. وأما التكبير المقيد على الخلاف بين العلماء وهو عند الإمام أحمد ومن وافقه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق وهي ثلاثة أيام بعد العيد، وهذا مذهب الإمام أحمد وأحد أقوال الشافعي والعمل عليه.

ومذهب أبي يوسف ومحمد، وللشافعي قول ثان: أن ابتداء التكبير من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق، وله قول ثالثٌ أن ابتداءه من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق ذكره العلامة ابن القيم في هدي النبي ﷺ قال: وكان ابن مسعود يكبر من صلاة الغداة يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، ووافق أبو حنيفة في الابتداء وقال: يقطع العصر من يوم النحر، وقال مالك: يكبر من صلاة الظهر يوم النحر

---

(١) في (ق): «جميعها».

(٢) «الفروع» (٣/ ٢١١).

إلى الصبح من آخر أيام التشريق. انتهى.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكبر محمد بن علي خلف النافلة، وكان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبرُ أهلُ الأسواق حتى ترتج منىً تكبيرًا، وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات، وعلى فراشه وفي فسطاطه، ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعًا، وكانت ميمونة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تكبر يوم النحر، وكنّ النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد مع أنهن حسهن عورة ويأتين به[١]. انتهى.

قال في «الفروع»[٢]: ولا تجهر به امرأة، وتأتي به كالذكر عقيب الصلاة، وعنه تكبر تبعًا للرجال فقط وفاقًا لأبي حنيفة، وعنه لا تكبر كالأذان، وفي الترغيب هل يسن لهن التكبير؟ فيه روايتان ومسافر كمقيم.

وروى الحافظ أبو نعيم من حديث ابن عباس مرفوعًا: **«ما من الأيام أفضل عند الله ﷻ، ولا العمل فيهن أحب إلى الله ﷻ من هذه الأيام أيام العشر؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير؛ فإنها أيام تهليل وتكبير وذكر الله ﷻ، وأن صيام يوم منها يعدل صيام سنة، والعمل فيهن يضاعف بسبع مائة»**[٣] هذا لفظه بهذه الزيادة. انتهى.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣٢٩).

(٢) «الفروع» (٣/ ٢١٣).

(٣) رواه البيهقي في «الشُعب» (٣٧٥٨).

وروى أبو حفص عمر بن شاهين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أيام الدنيا أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من أيام العشر، وأن صيام يوم فيها ليعدل صيام سنة و[قيام][1] ليلة فيها بليلة القدر»** رواه ابن ماجة والترمذي[2] وقال: حديث غريب.

قال أبو عثمان النهدي: كانوا يعظمون ثلاث عشرات؛ العشر الأول من الحجة، والعشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من المحرم.

حكاية: وروي عن عباس الدوري وهو عباس بن محمد الدوري أبو الفضل ثقة حافظ قال: سمعت يحيى بن معين يقول: رأيت الأعمش في المنام فقلت ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه للحساب فنوديت أحملوه إلى الجنة؛ فإني أستحي من صوام عشر ذي الحجة أن أوقفهم للحساب.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: ليس يوم أعظم عند الله تعالى من يوم الجمعة، ليس عشرًا أعظم من عشر ذي الحجة؛ فإن العمل فيها يعدل عمل سنة، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: **«صيام كل يوم من أيام العشر كصيام شهر»**[3] وقال عطاء: صيام يوم التروية يعني الثامن من ذي الحجة كصيام سنة. وقال الشيخ أبو منصور محمد بن عبد الله الفقيه

---

(١) سقط من النسختين، والمثبت من «سنن الترمذي»، واللفظ لابن ماجة.

(٢) رواه الترمذي (٧٥٨)، وابن ماجة (١٧٢٨) قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(٣) رواه ابن زنجويه عن راشد بن سعيد مرسلا كما في «كنز العمال» (١٢١١٧)، وضعفه ابن رجب في «لطائف المعارف» (١/ ٢٨٩).

النيسابوري رحمه الله، قيل: أيام العشر شريفة فاضلة بها وقع القسم من الله تعظيمًا وتفخيمًا (وهي أيام)[١] قال الله عز وجل: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وهي أيام الحج والمناسك، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

فصل

وفي هذه الأيام المباركة وقع بناء الكعبة يعني الأمر به، قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وفيها وقع النداء والإجابة قال الله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحج: ٢٧] الآية.

وفيها: وقعت التوبة والقبول لآدم عليه السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ فتاب الله عليه يوم عرفة، ولذلك سميت عرفة؛ لأنه اعترف بذنبه فيه كما سيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى في فضل يوم عرفة في محله بعد.

وفيها: وقع الفداء بالذبح لإسماعيل أو إسحاق -على الخلاف فيه- لما أمر بذلك إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠٧].

وفيها: وقع التكليم و«التقريب» قال الله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾

---

(١) مثبت من (ق).

[النساء: ١٦٤] وقد تقدم الكلام فيه في المجلس السابق في ذي القعدة. قيل: إن إبراهيم عليه السلام ولد أول يوم عرفة من عشر ذي الحجة، وفي اليوم الثاني منه قيل: أن يونس عليه السلام نجا من بطن الحوت، وفي الثالث منه قيل: إن الله تعالى استجاب دعاء زكريا في ولده يحيى عليهما السلام وأصلح له زوجه، وفي السادس منه فتحت خيبر على ما قيل، وفيها: يوم الحج الأكبر، وفيها: كانت بيعة الرضوان قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وفيها: وقع كمال الدين وذلك يوم عرفة قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] نزلت في حجة الوداع، وكان ذلك يوم الجمعة (ويوم عرفة)(١) كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ومن **فضائل هذا العشر**: منع المضحي من أن يأخذ من شعره أو أظفاره شيئًا؛ فيه تشبهًا بالمحرم لما ثبت في «صحيح مسلم»(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أراد أن يضحي فدخل العشر؛ فلا يأخذ من شعره ولا بشرته شيئًا**» وسيأتي هذا الحكم في الأضاحي بعد إن شاء الله تعالى.

وعن أبي قتادة قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأله عن صوم يوم عرفة، فقال: «**يكفر السنة الماضية والسنة الباقية**»(٣) أخرجه مسلم بمعناه قاله العلامة ابن القيم رحمه الله وغيره.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه مسلم (١٩٧٧).

(٣) رواه مسلم (١١٦٢).

فصل

قال الحافظ أبو موسى المديني: وجدت حديثًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «من قال كل يوم من أيام العشر -عشر ذي الحجة- عشر مرات هذه التهليلات؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وهي: لا إله إلا الله عدد الليالي والدهور، لا إله إلا الله عدد أمواج البحور، لا إله إلا الله عدد النبات والشجر، لا إله إلا الله عدد القطر والمطر، لا إله إلا الله عدد لمح العيون، لا إله إلا الله هو خير مما يجمعون، لا إله إلا الله من يومنا إلى يوم ينفخ في الصور»[١].

قال شيخنا في «لطائفه»: وأما ما ورد أن صوم كل يوم منه يعني العشر يعدل سنة أو شهرين أو ألف يوم؛ فكلها من أحاديث الفضائل ليست بقوية. وقد ورد في خصوص إحياء ليلتي العيدين؛ أحاديث لا تصح، وورد إجابة الدعاء فيها، واستحبه الشافعي وغيره من العلماء. ورُوي عن سعيد بن جبير أنه قال: لا تضيئوا سرجكم ليالي العشر تعجبه العبادة.

ثم إن أكثر ما ورد ذلك في صيامها، والصيام له خصوصية في المضاعفة فإنه لله تعالى، والله يجزي به، وإن قيل: أنه لا يختص بالصوم قلت: يعم سائر الأعمال، وإنما يدل على تفضيل كل عمل في العشر على مثل ذلك العمل في غيره بسنة، وإذا قيل: يلزم من تفضيل العمل في هذا العشر على كل عشر غيره أن يكون صيام هذا العشر أفضل من صيام

---

(١) لم أقف عليه بعد البحث.

عشر رمضان، وقيام لياليه أفضل من قيام لياليه.

قيل: أما صيام رمضان؛ فأفضل من صيامه بلا شك؛ فإن صيام الفرض أفضل من صيام النفل بلا تردد، وقد دل على ذلك؛ ما حكاه النبي ﷺ عن ربه ﷻ قال: ما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه[١]، وحينئذ فيكون المراد ما فُعل في العشر من فرض فهو أفضل فيما فعل في عشر غيره من فرض؛ فقد تضاعف صلاته المكتوبة على صلوات عشر رمضان، وما فعل فيه من نفل فهو أفضل مما فعل في غيره من نفل.

وقد اختلف عمر وعلي رضي الله عنهما في قضاء رمضان في عشر ذي الحجة، وكان عمر يستحبه؛ لفضل أيامه فيكون قضاء رمضان فيه أفضل من غيره يدل عليه مضاعفة الفرض فيه على النفل. وكان علي ينهي عنه، وعن أحمد في ذلك روايتان، وقد علل قول علي بأن القضاء يفوت به فضل صيامه تطوعًا، وقيل: أنه يحصل له فضيلة التطوع، وأما قيام لياليه وتفضيل قيامه على قيام عشر رمضان فيأتي الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

وفي «صحيح ابن حبان» عن جابر عن النبي ﷺ قال: **«ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة»**[٢].

قال شيخنا زين الدين ابن رجب: ورويناه من وجه آخر بزيادة هي **«ولا ليالي أفضل من لياليهن»**. قال: ومن الناس من زعم أن ليالي عشر

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٦١٣٧).

(٢) رواه ابن حبان (٣٨٥٣) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح إسناده قوي.

رمضان أفضل من لياليه؛ لاشتمالها على ليلة القدر، وهذا بعيد جدًا ولو صح حديث أبي هريرة: قيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر؛ لكان صريحًا في تفضيل لياليه على ليالي عشر رمضان؛ فإن عشر رمضان فُضِّل بليلة واحدة فيه، وهذا جميع لياليه مساوية لها في القيام على هذا الحديث، ولكن رُوي من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: «**أفضل أيام الدنيا أيام العشر**»[1]، والأيام إذا أطلقت؛ دخلت فيها الليالي تبعًا، وكذلك الليالي تدخل في أيامها تبعًا.

وقد أقسم الله تعالى بلياليه فقال: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وهذا يدل على فضيلة لياليه أيضًا لكن لم يثبت أن لياليه ولا شيئًا منها يعدل ليلة القدر؛ فالصحيح أن يقال: ما قاله بعض أعيان المتأخرين من العلماء أن مجموع هذا العشر أفضل من مجموع عشر رمضان، وإن كان في عشر رمضان ليلة لا يفضل عليها غيرها والله أعلم، وما تقدم عن كعب يدل على أن شهر (ذي الحجة)[2] أفضل الأشهر الحرم الأربعة، ولعشر ذي الحجة فضائل أخر منها: أنه خاتمة الأشهر الحرم المعلومات من أشهر الحج؛ التي قال الله تعالى فيها: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة.

ورُوي ذلك عن عمر وابنه عبد الله، وعلي وابن مسعود، وابن عباس وابن الزبير، وهو قول أكثر التابعين، وهو مذهب الشافعي وأحمد وأبي

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) في (ك): «رمضان».

حنيفة وغيرهم؛ لكن الشافعي وطائفة أخرجوا منه يوم النحر وأدخله فيه الأكثرون؛ لأنه يوم الحج الأكبر.

فصل

لما كان الله تعالى قد وضع في نفوس المؤمنين حنينًا إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادرًا على مشاهدته في كل عام؛ فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركًا من السائرين والقاعدين؛ فمن عجز عن الحج في عام؛ قدر في العشر على عمل يعمله في بيته يكون أفضل من الجهاد؛ الذي هو أفضل من الحج. وقد قيل: شعر:

ليالي العشر أوقات الإجابة
فبادروا رغبةً تلحق ثوابه
ألا لا وقت للعمال فيه
ثواب الخير أقرب للإجابة
من أوقات الليالي العشر حقًا
فشمر وأطلبنّ فيها الإنابة

رُوي عن عبد الملك بن عمير عن رجل إما من الصحابة أو من التابعين أن آتيًا أتاه في منامه في العشر من ذي الحجة فقال: ما من مسلم إلا يغفر الله له في هذه الأيام كل يوم خمس مرار إلا أصحاب الشاء يقولون: مات ما موته يعني أصحاب الشطرنج، وهذا فيه الزجر عن اللعب بالشطرنج.

عباد الله، إن إخوانكم في هذه الأيام قد عقدوا الإحرام، وقصدوا البيت الحرام، وملأوا الفضاء بالتكبير والتهليل، والتحميد والإعظام؛ لقد ساروا وقعدنا، وقَرُبوا وبَعُدنا؛ فإن كان لنا معهم نصيب سعدنا ورحمنا.

شعر:

انقطعنا ووصلتم فاعلموا
فاشكروا المنعمَ يا أهل منى

قد خسرنا وربحتم فَصِلوا
بفضول الربح من قد غُبنا

سار قلبي خلفَ أحمالِكم
غير أن العذرَ عاق البدنا

ما قطعتم واديًا إلا وقد
جئته أسعى بأقدام المنى

أنا مذ غبتم على تذكاركم
أتُرى هل عندكم ما عندنا

القاعد لعذر شريك السائر، وربما سبق السائر بقلبه السائرين بأبدانهم، وحُكي عن بعضهم؛ أنه رأى في المنام عشية عرفة في الموقف كأن قائلًا يقول: أترى هذا الزحام على هذا الموقف فإنه لم يحج منهم أحد إلا رجل تخلف عن الموقف فحج بهمته فوهب له أهل الموقف.

فيا معشر المتخلفين عن الركب السابقين؛ حجوا بقلوبكم إلى رب العالمين، وسلوا أن يجعلنا في هذا (العشر)[1] من المقبولين، وأن لا

---

(١) في (ك): «الشهر».

يقطعنا عن بابه فإنه مجيب السائلين، وقد تقدم في المجلس العشرين ما للمنقطعين من الأعمال التي تجعلهم مع الواصلين.

وروى ابن الجوزي في كتاب «النور» بسنده عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ في ليالي العشر غفر الله له**»[(١)] وذكره المعافى في «تفسيره» وزاد: «**ومن قرأها في سائر الأيام كان له نور يوم القيامة**». قال النووي في «التقريب والتيسير» له: إن حديث أبي بن كعب في فضل سور القرآن موضوع؛ أخطأ من ذكره من المفسرين.

عباد الله هذه أيام العشر فرصة للعاقل، وحجة على الغافل، وهي موسم التجار وأرباب الاكتساب، وأوقات الحظوة والثواب، فإياك أن تتباطأ فيها وازدد يقظة وتنبيهًا، وتأهب والعمر مقبل، وكن ممن أنذر فقبل؛ فمن لم يجتهد في أول العمر أدركه الهرم، ولم ينفعه عند مصابه التحسر والندم. شعر:

اعف عني وأقلني عثرتي
يا غياثي لملمات الزمن
لا تعاقبني فقد عاقبني
ندمٌ أقلق روحي في البدن
لا تُطير وسنا عن مقلة
أنت أهديت لها طيب الوَسن

---

(١) ذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ٣١١) وقال: فيه عبد القدوس بن حبيب؛ متروك.

إن تـؤاخـذني فـمـن ذا ارتـجـى

وإذا لـم تـعـف عـن ذنـبـي فـمـن

روي عن أبي الدرداء أنه قال: عليكم بصيام أيام العشر، وإكثار الدعاء والاستغفار والصدقة فيها؛ (فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الويل لمن حرم أيام العشر، وعليكم بيوم التاسع خاصة)[١]؛ فإن فيها من الخيرات أكثر من أن يحصيها العادون»[٢].

فصل

أيام العشر أعلام القصر؛ فضلت[٣] بالأنجم الزهر، ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ حببت إلى الله تعالى فيها العبادة، وشكر فيها على الزيادة لما جنيت مقارف الريب وحببت مشارق الرتب (فلها)[٤] فضيلة الإحلال والإحرام، (بالإجلال)[٥] والاحترام؛ فالعشر عشر أنامل النسك، فالشعائر المبينة فيه منه كالإبهام للإيمان، وكل كف زيّنه البنان فقد زان؛ فطوبى لمن قام فيها واستقام، عند زلة الأقدام بالطغام. الطغام بالطاء المهملة؛ هو أوغاد الناس وغوغائهم، وأراذلهم وسقاطهم.

وروي عن جعفر بن سليمان أنه قال: رأيت ثابت البناني في أيام

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (٤٧٠).

(٣) بعدها في (ق): «فضلت كتفضيل».

(٤) مثبت من (ق).

(٥) في (ك): «خليلك».

العشر يقطع حديثه في مجلس الذكر يقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد إنها أيام الذكر هكذا كان الناس يصنعون.

سجع على قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ قل للمشغولين بالفساد، الواقفين مع العناد، إلى متى ظلم العباد، كم مسْتلَبٍ ما نال المراد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، أما عاد العذاب على عادٍ، أما أمرض وما عاد، أين من ادعى الربوبية أو كاد، كاده الجبار فيمن كاد، بينا هم في ظلم المظالم، سُلب على أقبح فِعله الظالم؛ فبات يقرع سِن نادم، ولكن لما عثر الجواد أخذوا والله في مضيق، وأعقبه الموت بريقه، وبقي متحيرًا في طريقه، لا ماء ولا زاد.

كأنك بك قد بلغتك النوبة، وصُرعت صرعةً تعجزك الأوبة، وقمت تعرض حينئذ سلع التوبة، ولكن وقت الكساد؛ فلا تغتر بمالك وقصرك، ونهيك وأمرك. يا طائر الهوى، ستؤخذ من وِكْرك وما تعجز الصياد، من لك إذا سئلت عن خَللك، وجوزيت بأقبح عملك، تالله إن تبت اليوم من زللك؛ فكل عَشرك أعياد، كم أُرشدك إلى رشادك وأنت على فسادك كم ادعوك إلى إسعادك وأنت مع سُعادك، ضُرب بوق رحيلك، وما اهتممت بزادك.

أنا في وادٍ وأنت في وادٍ، لقد بالغت لك في النصائح، وقمت منذرًا عُقبى القبائح، والطريق واضح، والعَلَم لائح، ومن يضلل الله فما له من هاد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، واكشف عن قلوبنا حجب الهوى والغفلة، وهب لنا أعمالًا تصلح للرحيل والنُقلة، وطهر سرائرنا من كدر حُب الفاني، وفك عنا أقياد الكسل والتواني، وارفع عن شؤننا ظلام كل شين، وأرنا الآخرة بنور اليقين رأي العين، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا أرحم الراحمين.

المجلس الثالث والعشرون

في فضائل يوم عرفة مع عيد النحر وما في ذلك من الأجر والوفر

الحمد لله الذي استدعى من شاء إلى زيارة بيته العتيق، ومنّ وسهَّل للسائلين إلى حرمه مستوعَر الطريق، وحرك عزم القاصد إلى بابه وأعانه بالتوفيق، ووعد الطائفين القبول، وهو بإنجاز الوعد خليق، وأزعج قاصديه عن مساكنهم، وأخرجهم عن أماكنهم بالتشويق، فرضوا من أهلهم وفريقهم بالبعاد والتفريق، وسارت بهم النوق عن الربع الأنيق، وجُذبت بهم النجائب من كل بلد سحيق؛ فأقبلوا بين ماش على قدميه؛ استسعاه يقين التصديق، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق.

أحمده حمد من آمن به وعرفه، وأشكره على إدراك ذي الحجة ويوم عرفة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثل في اسم أو صفة، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله بالرحمة، وبالرأفة وصفه، صلى الله عليه وعلى كل من تابعه وسلم تسليمًا كثيرًا.

اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، واغفر في هذا اليوم ذنوبنا كلها، واجعلنا ممن أغمد سيوف الجد في طاعتك فأكلّها، ونهض لك بأعباء الصدق والتقى وأفلها، وكثر من عزائمنا على تقواك أفلها، واحرس عقود نياتنا للخير عن غيرٍ يقصد حَلَّها، وأسكنا مساكن استكانة

لك؛ فاز من حلها، وارزقني الصواب في الفعل والقول، ولا قوة إلا بك ولا حول (واغفر لي)[1] وللحاضرين، ولكل المسلمين أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل

عباد الله؛ إن يومكم هذا يوم عظيم قد عظّم الله أمره، ورفع على سائر الأيام قدْره، وأزال عن التائب إليه فيه إصره، ووهب للمجاهدين عزه ونصره؛ أقسم الله تعالى به فقال: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾.

وقد روى أبو أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال: «**الشفع يوم عرفة ويوم النحر، والوتر ليلة النحر**»[2]، وقيل: الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة رواه جابر عن النبي ﷺ[3] وقال قوم من أهل «التفسير» في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣]: الشاهد والمشهود يوم عرفة، رواه الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ[4]، وقيل: الشاهد يوم التروية،

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) الطبراني في «الكبير» (٤/ ١٨٠) وقال الهيثمي (١١٤٩١): فيه واصل بن السائب؛ متروك.

(٣) رواه أحمد (١٤٥٥١)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٢٢٨٦). قال الهيثمي (١١٤٩٠): رجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة. قال شعيب الأرنؤوط: هذا إسناد لا بأس برجاله، وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر.

(٤) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦٦٤) والذي فيه «الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم الجمعة».

والمشهود يوم عرفة، رُوي عن سعيد بن المسيب.

ومن فضائله أن الله تعالى أنزل فيه ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وفي «الصحيحين»[١] عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ﵁ فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرءون آية في كتابكم لو[٢] نزلت علينا معشر اليهود؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وأي آيةٍ؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ (عشية عرفة يوم عرفة)[٣].

قال شيخ السنة البغوي[٤]: قال ابن عباس: كان ذلك خمسة أعياد؛ جمعة وعرفة، وعيد اليهود وعيد النصارى والمجوس، ولم تجتمع أعياد أهل الملل في (يوم)[٥] قبله ولا بعده. وروى الترمذي[٦] عن ابن عباس نحو حديث «الصحيحين» المتقدم وقال: فيه نزلت -يعني الآية ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾- في يوم عيدين؛ يوم جمعة ويوم عرفة.

واجتمع لرسول الله ﷺ في ذلك اليوم عز الإسلام، ودخل الناس في

---

(١) البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٢) بعده في (ك): «آلله» وهي مقحمة في السياق.

(٣) مثبت من (ق).

(٤) «تفسير البغوي» (١/ ١٠).

(٥) مثبت من (ق).

(٦) الترمذي (٣٠٤٤) وقال: حسن غريب من حديث ابن عباس وهو صحيح.

دين الله أفواجًا، وأسلمت العرب وأهل مكة والطائف وأهل البوادي، وطهر الله الحجاز من الشرك والكفر إلا بقايا يهود في خيبر مقرين فيها بالجزية، ومنع الكفار من الحرم، وخطب الناس وودّعهم في ذلك اليوم فقال: «**إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا في هذا الموقف**»(١)؛ فلذلك سميت حجة الوداع ومات بعدها كما تقدم.

وقال الشيخ عبد القادر في «الغنية»: ثم مكث رسول الله ﷺ بعد نزولها أحد وثمانين يومًا ثم قبضه الله تعالى إلى رحمته وكرامته ورضوانه، يروى ذلك عن ابن عباس انتهى والله أعلم.

وروى هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك يا عمر؟**» قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا؛ فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، قال: «**صدقت**»؛ فعاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية إحدى وثمانين يومًا ومات ﷺ(٢). انتهى. ومن فضائل يوم عرفة؛ أن الله تعالى يباهي بالحاج الملائكة، ويعم بالغفران فيه كما ثبت في أفراد مسلم(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه من النار من يوم عرفة، وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة**

---

(١) من حديث سراة بنت نبهان رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٤٣٠) قال الهيثمي (٥٦٤٥): روى أبو داود طرفا منه ورواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات.

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ١٠).

(٣) مسلم (١٣٤٨).

فيقول: ما أراد هؤلاء».

وروى ابن الجوزي في «التبصرة»(١) بسنده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم عرفة ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا؛ فيباهي بهم الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق؛ أُشهدكم أني قد غفرت لهم، فتقول الملائكة: رب فيهم ضعفاء فلان وفلانة فيقول الله ﷻ: قد غفرت لهم**» فقال رسول الله ﷺ: «**فما من يوم أكثر عتقاء من النار من يوم عرفة**» .

وروى في كتاب «النور»(٢) بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبقى أحد يوم عرفة في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا غفر له**» فقال رجل لأهل مُعرِف يعني أهل عرفة يا رسول الله أم للناس عامة؟ قال: «**بل للناس عامة**» وذكره في «التبصرة» أيضًا، وذكره الشيخ عبد القادر في «الغنية»(٣) ولفظه عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى ينظر إلى عباده يوم عرفة؛ فلا يدع أحدًا في قلبه**

---

(١) «التبصرة» (٢/ ١٢٣) والحديث رواه أبو يعلى (٢٠٩٠) وابن حبان (٣٨٥٣) وفي سندهما محمد بن مروان. قال الهيثمي (٥٥٥٣): فيه محمد بن مروان العقيلي وثقه ابن معين وابن حبان وفيه بعض كلام وبقية رجاله رجال الصحيح. قال الشيخ حسين سليم أسد: رجاله ثقات

(٢) ذكره الهندي في «كنز العمال» (١٢٠٩٤) وقال: رواه ابن أبي الدنيا في فضل عشر ذي الحجة وابن النجار عن ابن عمر، وفيه الوليد بن القاسم بن الوليد قال ابن حبان: لا يحتج به

(٣) من حديث ابن عمر رواه الديلمي كما في «كنز العمال» (١٢٠٩٣).

مثقال ذرة من إيمان إلا غفر الله له» قال نافع: قلت لابن عمر للناس جميعًا أم لأهل عرفة؟ فقال: بل للناس جميعًا.

وذكر الشيخ نصر الدين ابن الملقن الشافعي في تخريج أحاديث الرافعي، قال: (حديث أنه ﷺ لم يصم يوم عرفة بعرفة متفق عليه[١] من رواية أم الفضل لبابة بنت الحارث)[٢]، قال: حديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«صيام يوم عرفة؛ يكفر السنة الماضية والباقية»** رواه مسلم[٣] من رواية أبي قتادة رضي الله عنه.

حديث يروى أنه ﷺ نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة رواه أبو داود وابن ماجة والنسائي[٤] من رواية مهدي (الهجري)[٥] عن أبي هريرة قال يحيى بن معين: هذا لا أعرفه، قال العقيلي: ولا يتابع عليه، والهجري؛ بفتح الهاء والجيم، ثم راء نسبة إلى هجر بلد من بلاد اليمن.

وقال أبو السعادات في «جامع الأصول»: عن ميمونة رضي الله عنها أن الناس شكوا في صيام رسول الله ﷺ يوم عرفة؛ فأرسلت إليه بحلاب، وهو واقف في الموقف؛ فشرب والناس ينظرون إليه. وهذا الحديث رواه البخاري ومالك وأبو داود[٦]. وحُكي عن أبي الحسن ابن شاذان قال:

---

(١) البخاري (١٥٧٥)، ومسلم (١١٢٣).
(٢) مثبت من (ق).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أبو داود (٢٤٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (٢٨٣١)، وابن ماجة (١٧٣٢).
(٥) مثبت من (ق).
(٦) البخاري (١٨٨٨)، ومسلم (١١٢٤)، وأبو داود (٢٤٤١)، ومالك (٣٦٨) رواية محمد بن الحسن.

سمعت علي بن عبد العزيز يقول: كنت عديلًا لأبي عبيدة القاسم بن سلام يعني صاحب الغريب سنة من السنين؛ فلما صرت إلى الموقف قصدت إلى ركي[(١)] فتطهرت، ونسيت نفقتي عنده فلما صرت إلى المأزمين[(٢)] قال لي أبو عبيدة: اشتري لنا تمرًا أو زبدًا فخرجت لابتاعه فذكرت النفقة، فرجعت عودي (على)[(٣)] يدي إلى أن وافقت الموضع فإذا النفقة بحالها فأخذتها ورجعت، وكنت قد صادفت الوادي مملوءًا قردة وخنازير وغير ذلك؛ فجزعت منهم، ثم أني رجعت إلى أبي عبيدة قبيل الصبح فسألني عن أمري فخبّرته وذكرت له القردة قال: تلك ذنوب بني آدم تركوها وانصرفوا.

ومن فضائل يوم عرفة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنوا ﷻ ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء»** أخرجه مسلم، والنسائي، وابن ماجة[(٤)]، وفي لفظ للنسائي: **«عبدًا أو أمة»** ولهذه الزيادة والتخريج كُررت. وخرج الإمام أحمد[(٥)] حديث أبي هريرة عن

---

(١) الركي؛ بفتح الراء وكسر الكاف وبعدها شدة؛ البئر المطوية. «فتح الباري» (١٠/ ٧٧)، النهاية في «غريب الحديث» (٢/ ٦٣٤).

(٢) موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرنة. «معجم البلدان» (٥/ ٤٠).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) مسلم (١٣٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٣٩٩٦)، وابن ماجة (٣٠١٤)

(٥) أحمد (٨٠٣٣) قال الهيثمي (٥٥٤٧): رجاله رجال الصحيح.

النبي ﷺ «**إن الله تعالى يباهي بأهل عرفات يقول: انظروا إلى عبادي شُعثًا غُبرًا**» قال الشيخ ضياء الدين: كذلك رواه الإمام أحمد على رسم الصحيح.

وروى ابن أبي الدنيا[١] بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تطاول على أهل عرفات يباهي بهم الملائكة فيقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شُعثًا غُبرًا؛ أقبلوا يضربون إليَّ من كل فج عميق اشهدوا أني قد غفرت لهم إلا التبعات، ثم إن القوم أفاضوا من عرفات إلى جمع فعادوا في الرغبة والطلب إليه فقال تعالى: يا ملائكتي عبادي عاودوني في الطلب والرغبة؛ اشهدوا أني قد وهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألني، وتكفلت بالتبعات التي بينهم**» وفي إسناده صالح المري عن يزيد الرقاشي.

وروي ابن أبي الدنيا عن أبي محمد، عن صالح، عن عبد الله بن وهب قال: أخبرني مخرمة عن أبيه قال: سمعت محمد بن المنكدر يزعم أنه سمع أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول: نعم اليوم؛ يوم ينزل الله فيه إلى سماء الدنيا قالوا: أي يوم (ذلك)[٢]؟ قالت: يوم عرفة.

ومن فضائل يوم عرفة ما روى الحافظ عبد الغني[٣] بسنده عن ابن

---

(١) رواه أبو يعلى (٤١٠٦) وفي سنده صالح المري ويزيد الرقاشي. قال الهيثمي (٥٥٦٩): فيه صالح المري؛ ضعيف.

(٢) في (ك): «ينزل».

(٣) ذكره الهندي في «كنز العمال» (١٢١٠١) وعزاه لأبي الشيخ في «الثواب»

عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم عرفة هبط الله إلى السماء الدنيا؛ فينظر إلى خلقه فيقول: انظروا إلى عبادي يباهي بهم الملائكة، انظروا إلى عبادي شُعثًا غُبرًا؛ أرسلت إليهم رسولًا فصدقوا رسولي، وأنزلت إليهم كتابًا؛ فآمنوا بكتابي؛ اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم كلها على عوضها لأربابها**».

وذكر أيضًا بسنده[(١)] عن الوليد قال: أخبرني أبو بكر بن أبي مريم، عن الأشياخ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ يدنو إلى سماء الدنيا عشية عرفة؛ فيُقبل على ملائكته ألا لكل وفد جائزة؛ وهؤلاء (وفدي)[(٢)] شُعثًا غُبرًا؛ أعطوهم ما سألوا، وأخلفوا لهم ما أنفقوا حتى إذا كان عند غروب الشمس أقبل عليهم فقال: ألا إني قد وهبت مسيئكم لمحسنكم، وأعطيت محسنكم ما سأل؛ أفيضوا باسم الله**».

وروى ابن ماجة[(٣)] عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال (غداة جمع لبلال: «**يا بلال أسكت الناس أو أنصت (الناس)[(٤)] ثم قال: إن الله قد تطاول عليكم في جمعكم هذا؛ فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل؛ ادفعوا بسم الله**».

---

(١) نقله ابن الرسام من «لطائف المعارف» (١/ ٢٨١) ولم أقف عليه بعد البحث.

(٢) في (ق): «عبادي».

(٣) ابن ماجة (٣٠٢٤) قال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد ضعيف. أبو سلمة هذا لا يعرف اسمه، وهو مجهول. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) سقط من (ق)، والمثبت من سنن ابن ماجة. وكتب فوقها في (ق): حرف «م» فلعله إشارة إلى هذا السقط.

ومن فضائله ما روى الإمام مالك في «موطئه»[١] عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال)[٢]: «**ما رؤي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر، ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذلك إلا لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر قيل: وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه قد رأى جبريل، وهو يزع الملائكة**».

قال في «الكاشف»: طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعي عن أبي الدرداء وعائشة وعنه عاصم الأحول وجماعة. وقال في المطالع: معنى يزع أي يكفهم، يأمر وينهى؛ أي يقدم (هذا)[٣] ويؤخر هذا وهو الوازع، قال في «المجمل»: وزعت الرجل عن الأمر كففته، وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]؛ أي يحبس أولهم على آخرهم. ويروى عن جويرية قالت: كان حكيم بن حزام يقف بعرفة بمائة رقبة، ومائة بدنة فيعتق عشية عرفة، وينحر البدن يوم النحر، وكان يقول في دعائه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نعم الرب والإله أُحبه وأخشاه.

وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو يعلم أهل الجمع بمن حلوا؛ لاستبشروا بالفضل بعد المغفرة**»[٤].

---

(١) الموطأ (٩٤٤) رواية يحيى الليثي.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٥٣/ ١١٠٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٩)، =

ومن فضائله: ما روى عبد الله بن الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة والطبراني في «معجمه»[(١)] ورواية أبي داود مختصرة عن عباس بن مرداس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء؛ فأجابه الله أني قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضًا؛ فأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها قال: يا رب فأنك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيرًا من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم فلم يجب تلك العشية بشيء؛ فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء؛ فأجابه أني قد غفرت لهم، قال: ثم تبسم رسول الله ﷺ فقال بعض أصحابه: يا رسول الله إنك تبسّمت في ساعة لم تكن تبسم فيها فقال: **«تبسمت من عدو الله إبليس؛ لما علم أن الله تعالى قد استجاب لي أخذ يدعو بالويل والثبور، ويحثوا التراب على رأسه»**.

وحكي عن ابن الجارود قال: كنا خرجنا في طلب العلم فمررنا عشية عرفة أنا وصاحب لي بمدينة قوم لوط، فقلت أنا لصاحبي أو قال لي: ندخل هذه السكك، ونحمد ربنا على ما عافانا مما ابتلاهم به، قال:

= وابن عدي في «الكامل» (١٧٦٦) في ترجمة محمد بن يونس الجمال وقال: غير محفوظ، محمد بن يونس يسرق الحديث.

وقال الهيثمي (٥٦٥٢): في إسناده من لم أعرفه.

(١) رواه أحمد (١٦٢٥٢)، وأبو داود (٥٢٣٤)، وابن ماجة (٣٠١٣)، والطبراني كما في «نصب الراية» (٣/ ٥٩) قال البوصيري: في إسناده عبد الله بن كنانة قال البخاري: لم يصح حديثه، ولم أر من تكلم فيه بجرح ولا توثيق. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف ابن كنانة بن العباس بن مرداس مبهما.

فبينا نحن نطوف في تلك السكك عند غروب الشمس إذ نحن برجل؛ كوسج[١] أشعث أغبر على جمل أحمر فوقف علينا فسألنا من أنتم ومن أين أنتم؟ فأخبرناه فلما أراد أن يجوز قلنا له: ممن أنت؟ فتغافل فقلنا الثانية، فتغافل فقلنا: لعلك إبليس؟ فقال: أنا إبليس.

قلنا: يا ملعون من أين أقبلت أو من أين أتيت؟ قال: هذا وجهي من الموقف يعني عرفات رأيت اليوم ثم من كان يذنب منذ خمسين سنة حتى كنت قد شفيت صدري منه؛ فاليوم تنزلت عليه الرحمة؛ فلم أصبر في ذلك حتى وضعت التراب على رأسي وجئت هاهنا انظر إليهم يعني المعذبين من قوم لوط يَسكنُ ما بي.

ومن فضائله: ما روي أبو بكر بن أبي عاصم[٢] في «كتاب الصوم» عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صوم يوم عرفة؛ كفارة سنتين»** ورواه الطبراني وعنده: **«غفر له ذنوب سنتين»** .

قال القاضي شمس الدين بن مفلح في «الفروع»: والمراد تكفير الصغائر، وحكاه في «شرح مسلم»[٣] عن العلماء فإن لم تكن صغائر رجي التخفيف من الكبائر؛ فإن لم تكن رفعت درجات.

---

(١) هو الذي لا لحية له. انظر «تاج العروس» (١/ ١٤٨٩).

(٢) أبو يعلى (٧٥٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٧٩/ ٥٩٢٣). قال المنذري (١٥١٩) وتبعه الهيثمي (٥١٤١): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(٣) «الفروع» لابن مفلح (٥/ ٩٠)، وشرح مسلم للنووي (٨/ ٥١).

وروى الإمام أحمد[١] عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه دخل على عائشة، وهي صائمة يوم عرفة، والماء يرش عليها فقال لها عبد الرحمن: أفطري فقالت: أُفطر وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن صوم يوم عرفة يكفر العام الذي قبله، والعام الذي بعده»** .

وفي سُنن ابن ماجة[٢] عن قتادة بن النعمان عن النبي ﷺ أنه قال: **«من صام يوم عرفة؛ غفر له سنة أمامه، وسنة بعده»** .

وقيل: إن السر في ذلك؛ لفضله وخاصية هذه الأمة به كفر ذنوب السنتين، ويوم عاشوراء يكفر ذنوب سنة؛ لأنه كان للأمم قبلنا ولنا؛ فزاد عرفة عليه في الفضل والتكفير. وروى الحافظ عبد الغني عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما من السنة أحب إلي من أن أصوم يوم عرفة[٣] . وروى أيضًا عن عطاء بن أبي رباح قال: من صام يوم عرفة؛ كان له كأجر ألفي يوم.

---

(١) رواه أحمد (٢٥٠١٤). قال الهيثمي (٥١٤٠): رواه أحمد، وعطاء الخراساني لم يسمع من عائشة بل قال ابن معين: لا أعلمه لقي أحدا من أصحاب النبي ﷺ، وبقية رجاله رجال الصحيح. قال المنذري (١٥١٨): رواه أحمد ورواته ثقات محتج بهم في الصحيح إلا أن عطاء الخراساني لم يسمع من عبد الرحمن بن أبي بكر.

(٢) رواه ابن ماجة (١٧٣١) قال البوصيري: إسناده ضعيف؛ لاتفاقهم على ضعف إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة. نعم قد جاء له شاهد صحيح. وصححه المنذري (١٥١٧).

(٣) رواه ابن الجعد (٥١٢).

فصل

واعلم أنه لا يسعد بعرفة إلا أهل المعرفة، ولا ينفع الوقوف بالصفا إلا لمن صفا، نحن اليوم هاهنا نتشبه بالواقفين هناك بعرفة، ومن تشبه بقوم فهو منهم، فعلينا أن نتشبه بأفعالهم مهما أمكننا ذلك؛ لعل الله تعالى أن يرزقنا ما رزقهم فهم اليوم واقفون وقوف محرم، فإن لم نوافقهم في الإحرام؛ فنوافقهم في الاحترام، وإن لم يمكننا موافقتهم في الوقوف على المروة والصفا، فلنقف على قدم المروة والصفا، وإن أعرضنا عن الاضطباع بالإزار تجافينا عن (الاضطباع)[1] من الأوزار، وإن عجزنا عن الوقوف بالخيف (برزنا للمخوف)[2]، وأعرضنا عن الحيف، وإن لم نحظ عامنا بالحجة وقفنا على الطريق والمحجة، وإن عدمنا الوقوف على الأعضاء وقفنا على شرائع الوقفة والرضا، وإن لم نقف عامنا بمزدلفة؛ وقفنا بنفوس متقربة مؤتلفة.

وحكي عن رابعة العدوية أنها وقفت في بعض حججها على جبل عرفات فدعت وسبحت ثم أنشدت تقول، شعر:

عـرفـانُـهُ عـرفـاتـي والـمـنـى مـنـي
ومـوقـفـي مـنـه بـيـن الـخـوف والـحـذر

زادي رجـائـي بـه الـشـوق راحـلـتـي
والـمـاء مـن عـبـراتـي والـهـوى سـفـري

---

(١) في (ق): «الاضطلاع».

(٢) في (ك): «بدرنا للخوف».

صفاء سِري صفائي حين أذكره
والفكر سعيي بين الركن والحجر

(ذكره ابن رجب في آخر مجلس من خروج الحاج)[(١)].

فصل في أدعية يوم عرفة وأخبار الصالحين فيه

وروي الإمام أحمد والترمذي[(٢)] واللفظ له عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، ولفظ أحمد كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شيء قدير**».

وروى البيهقي في «الدعوات» وابن الجوزي[(٣)] عن علي رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ عشية عرفة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، اللهم اغفر لي ذنبي، ويسر لي**

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه أحمد (٦٩٦١)، والترمذي (٣٥٨٥)، والذي فيه (دعاء يوم عرفة) وقال: حديث غريب من هذا الوجه وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني؛ ليس بالقوي عند أهل الحديث. قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف محمد بن أبي حميد.

(٣) البيهقي في «الدعوات» (٤٦٩)، وفي سنده موسى بن عبيدة؛ ضعيف.

أمري، واشرح لي صدري، اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر، ومن شتات الأمر، ومن عذاب القبر، اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل، وشر ما يلج في النهار، وشر ما تهب به الريح، وشر بوائق الدهر».

وعن الحسين بن الحسن المروزي صاحب ابن المبارك قال: سألت سفيان بن عيينة عن تفسير قول رسول الله ﷺ: **«أكثر ما كان من دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي بعرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»**[١] فقلت: (هي كلمة)[٢] ذكر وليس بدعاء فقال لي: عرفت حديث مالك بن الحويرث؟ فقلت: نعم، حدثتنيه أنت عن منصور، عن مالك بن الحويرث، قال: ذلك يأتي على هذا يعني يفسر لك هذا؛ ألا تراه يقول تعالى: إذا شغل عبدي ثنائي وذكري عن مسألتي؛ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، ثم قال: عرفت ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى ابن جدعان يطلب نائله وفضله؟ فقلت: لا، قال: (قال له هذين البيتين)[٣]:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك إن شيمتك الحياءُ
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفاه من تعرُّضه الثناءُ

---

(١) تقدم صـ ٦٧٠ .

(٢) في (ق): «إنما هذا كله».

(٣) في (ك): «شعر».

وقال النووي في «التبيان»: عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الرب ﷻ: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي؛ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**» رواه الترمذي[1] وقال: حديث حسن.

وروى الحافظ شيرويه الديلمي في كتاب «التجلي في المنامات ومن رأى الحق ﷻ في المنام» بسنده عن أبي الحارث الأوسي ﷺ قال: رأيت في منامي كأني واقف بين يدي الله تعالى فقال: عبدي سل حاجتك فقلت: يا رب تعلم حاجتي فقال: أنا أعلم، وكيف لا أعلم وأنا كونتها وكمنتها في صدرك، ولكن أحب أن أُسأل فالمسارعة في اتباع محبتي منك (أولى)[2] من التعلق بمحبتك فإن كان؛ سارعت إلى محبتي منك أنا إلى محبتك أسرع ما سبق منك إليّ.

وروى الطبراني[3] بسنده عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**ما دعا عبد بهذه الدعوات عشية عرفة ألف مرة إلا لم يسأل ربه شيئًا إلا أعطاه إياه إلا قطيعة رحم أو مأثم**» وهي: «**سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض حكمته، سبحان الذي في النار سلطانه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحان الذي في القبور قضاؤه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في الهواء روحه، سبحان**

---

(١) الترمذي (٢٩٢٦).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) ابن أبي شيبة (٢٩٨٢٣)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٢٧/ ١٠٥٥٤)، وأبو يعلى (٥٣٨٥)، ومداره على عزرة بن قيس قال الهيثمي (٥٥٤٨): عزرة بن قيس؛ ضعفه ابن معين.

الذي رفع السماء، سبحان الذي وضع الأرض، سبحان الذي لا ملجأ منه إلا إليه».

وذكره الشيخ (عبد العزيز)[١] الديريني في «طهارة القلوب» عن ابن مسعود ﷺ ولفظه: ما من عبد يدع الله يوم عرفه بهذه الدعوات ثم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه؛ سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض حكمه، سبحان الذي في القبور قضاؤه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحان الذي في النار سلطانه، سبحان الذي في القيامة عدله، سبحان الذي رفع السماء، سبحان الذي بسط الأرض، سبحان الذي (لا منجا)[٢] ولا ملجأ منه إلا إليه انتهى، ولم يذكر عددًا (فظاهره)[٣] (أن)[٤] يحصل ذلك بمرة واحدة والله أعلم.

وقال العلامة ابن القيم ﷺ في «الهدي»[٥]: وكان من دعاء النبي ﷺ يوم عرفة في الموقف: «**اللهم لك الحمد كالذي نقول، وخير مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي وإليك مآبي، ولك رب**

---

(١) في (ك): «عز الدين» وهو خطأ.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ك): «فظاهر هذه».

(٤) ليست في النسختين، والسياق يقتضيها.

(٥) هذا الحديث والذي بعده في «زاد المعاد» (٢/ ٢١٣) والحديث رواه الترمذي (٣٥٢٠) عن علي بن أبي طالب وقال: غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي. قال العراقي (١/ ٢٠٩): إسناده ضعيف.

تراثي[١] اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر، وشتات الأمر اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجئ به الريح» وذكره الترمذي.

ومما ذكر من دعاءه ﷺ «اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبه؛ أسألك مسألة المسكين، وابتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عيناه، وذل جسده، ورَغِم أنفه لك اللهم لا تجعلني بدعائك شقيًا، وكن بي رءوفًا رحيمًا يا خير المسؤلين ويا خير المعطين» ذكره الطبراني[٢].

ومن فضائله: ما ذكره الشيخ عبد القادر في «الغنية»[٣] بسنده عن ابن عباس قال: يجتمع البحري والبري -يعني إلياس والخضر- كل عام بمكة قال ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: بلغنا أنه يحلق أحدها رأس صاحبه فيقول أحدهما للآخر قل: بسم الله، لا يأتي بالخير إلا الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله، وما

---

(١) هو ما يخلفه الإنسان لورثته. «فيض القدير» (٢/ ١٣٢).

(٢) الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٧٤/ ١١٤٠٥) و«الأوسط» (٦٩٦) قال الهيثمي (٥٥٤٩): فيه يحيى بن صالح الأبلي قال العقيلي: روى عنه يحيى بن بكير مناكير، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢٧٣)، وابن عدي (٢/ ٣٢٨). كلاهما في ترجمة الحسن ابن رزين. قال ابن عدي: وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر. وقال ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٣٠٥) بعد أن عزاه لابن الجوزي: واه جدا.

بكم من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، قال ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «**من قالها في كل يوم؛ أَمِنَ مِن الحرق والغرق والسرق، وكل شيء يكرهه**».

وذكر[1] أيضًا بسنده عن علي قال: يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات جبريل، وميكائيل، (وإسرافيل، والخضر، فيقول جبريل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرد ميكائيل)[2]؛ فيقول لجبريل عليه السلام: ما شاء الله كل نعمة من الله؛ فيرد عليه إسرافيل: ما شاء الله الخير كله بيد الله فيرد عليهم الخضر ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله (ثم يتفرقون)[3]، ولا يجتمعون إلى قابل في ذلك اليوم.

[تكميل حول حياة الخضر]

وهذا القول يتمسك به من قال بحياة الخضر وإلياس، وأنهما باقيان معمران، وإليه ذهب جماعة من العلماء الفقراء الصوفية.

والقول الثاني: أنهما ماتا، وهو قول الإمام أحمد والبخاري ومن وافقهما والله أعلم وإليه يرجع الأمر كله انتهى.

وحُكي عن علي بن الموفق قال: حججت في بعض السنين؛ فنمت ليلة عرفة بمسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء

---

(١) رواه ابن عساكر مرفوعا (١٦/ ٤٢٧) وذكره المزي في «تهذيب الكمال» (١٣/ ٣١٥) وقال: حديث منكر، وإسناد مجهول.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

فنادى أحدهما الآخر: يا عبد الله فقال: لبيك يا عبد الله، قال: أتدري كم حج بيت ربّنا في هذه السنة؟ قال: لا أدري قال: حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدري كم قُبل منهم؟ قال: لا، قال: قُبل منهم ستة أنفس قال: ثم ارتفعا في الهواء (وغابا عني)[١] فانتبهت فزعًا، واغتممت غمًّا شديدًا وأهمَّني أمري فقلت: إذا قُبل ستة أنفس من أكون أنا في ستة أنفس؛ فلما أفضت من عرفة، وبت عند المشعر الحرام جعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قُبل منهم؛ فحملني النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيأتهما فنادى أحدهما صاحبه، وأعاد عليه ذلك الكلام ثم قال: أتدري ماذا حكم الله في هذه الليلة؟ قال: لا، قال: فإنه وهب لكل واحد من الستة؛ مائة ألف، قال: فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف.

(وقد تقدم في)[٢] فضل الحج (القول بالتنبيه على هذه المسألة والمقالة، وأن الحجاج)[٣] كل عام ستمائة ألف؛ فإن نقصوا أكملهم الله بالملائكة والله أعلم. شعرٌ (لسان حال المتخلف)[٤]:

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد
سرتم جُسوما وسرنا نحن أرواحًا

---

(١) مثبت من (ق).
(٢) مثبت من (ق).
(٣) مثبت من (ق).
(٤) مثبت من (ق).

إنا أقمنا على عُذر وقد رحلوا
ومن أقام على عذر كمن راحا

ومن فضائل يوم عرفة: أن الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم كما قال ﷺ: «**الحج عرفة**»[(١)] ويوم عرفة؛ هو يوم العتق من النار، (يعتق فيه من النار)[(٢)] من وقف بعرفة، ومن لم يقف بها من أهل الأمصار من المسلمين الموحدين للملك العزيز الجبار؛ فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدًا لجميع المسلمين.

مسألة: ولا بأس بالتعريف قال العلامة ابن قدامة في فصل من كتابه «المغني»[(٣)] ناقلًا عن القاضي أبي يعلى أنه قال: ولا بأس بالتعريف عشية عرفة بالأمصار، وقال الأثرم: سألت أبا عبد الله عن التعريف بالأمصار يجتمعون في المساجد يوم عرفة؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس؛ قد فعله غير واحدٍ. وروى الأثرم عن الحسن قال: أول من عرَّف بالبصرة ابن عباس رضي الله عنه قال أحمد: أول من فعله ابن عباس وعمرو بن حريث، وقال الحسن: وبكر وثابت ومحمد بن واسع كانوا يشهدون المسجد يوم عرفة.

قال أحمد رحمه الله: لا بأس به؛ إنما هو دعاء وذكر (الله)[(٤)] فقيل له:

---

(١) من حديث عبد الرحمن بن يعمر رواه الترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وابن ماجة (٣٠١٥) وابن خزيمة (٢٨٢٢) قال الأعظمي: إسناده صحيح.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) المغني (٢/ ٢٥٠).

(٤) مثبت من (ق).

تفعله (أنت)؟[١] فقال: أما أنا فلا، وروي عن يحيى بن معين أنه حضر مع الناس عشية عرفة انتهى.

قال القاضي شمس الدين بن مفلح في «الفروع»[٢]: ولا بأس بالتعريف (عشية عرفة)[٣] بالأمصار؛ نص عليه خلافًا لأبي حنيفة ومالك. وقال: إنما هو دعاء وذكر قيل له: تفعله أنت؟ قال: لا، وأول من فعله ابن عباس وعمرو بن حُريث، وعنه يستحب ذكره (شيخنا ابن تيمية رحمه الله خلافًا للجميع)[٤].

نقل عبد الكريم بن الهيثم قيل له: يكثر الناس قال: وإن كثروا قلت: ترى أن يذهب إلى المدينة يوم عرفة على فعل ابن عباس قال: سبحان الله ورخص في الذهاب ولم ير (شيخنا ابن تيمية رحمه الله زيارة بيت المقدس)[٥] ليقف به أو عيد النحر ولا التعريف بغير عرفة، وأنه لا نزاع فيه بين العلماء وأنه (منكر)[٦]، وفاعله ضال، وكأنه والله أعلم يريد النهي عن الذهاب لأجل ذلك (فقط)[٧]. انتهى، وقال عطاء الخرساني رحمه الله: إن استطعت أن تخلوا عشية عرفة بنفسك فافعل.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) «الفروع» (٣/ ٣١٦).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) في (ق): «بعضهم».

(٥) في (ق): «بعضهم زيارة القدس».

(٦) مثبت من (ق).

(٧) في (ك): «بالقدس».

فصل

ما أحسن أوقات العبادة وأنوار ساعات الزيادة كيف واليوم أشرف أيام الدنيا وأعظمها، وأجلها قدرًا عند الله وأكرمها، فيا سعادة من حصل له في هذا الوقت الإخلاص، وعمل فيه على الخلاص، وجعل نفسه في خدمة الله واقفة، وتشبه بالواقفين بعرفة فما أجله من وقت وما أبركه على من اغتنمه قبل وفاته، واستدركه وتعرف إلى الله فيه لينجيه من كل هلكة ويسكنه الجنة دار السعادة والملكة.

موعظة: لله در أقوام فارقوا ديارهم، وعانقوا افتقارهم، وآثروا غبارهم وجعلوا الرجاء شعارهم، يدعون عند البيت قريبًا سميعًا، ويقفون بين يديه بالذل جميعًا، ويسعون في مراضيه سريعًا، وقد ودعوا مطلوب شهواتهم توديعًا؛ هجروا الكدر، وهاجروا إلى الصفا وقصدوا المروة وأمّوا الصفا، وحذروا الرد وخافوا الجفا، وعلقت أطماعهم بمن هو حسبهم وكفى. شعر:

نـــاد زوَّاري أنـــا أدعـــوهـــم
نـحـو بـيـتـي لـيـنـالـوا شـرفًـا
فـهـمـوا وفـدي إذا مـا نـزلـوا
بـحـريـمـي إذا دنـوا مـزدلـفـا
ولـهـم عـنـدي مـزيـد ولـهـم
مـن نـوالـي مـا أحـبـوا طُـرَفـا
فـارقـوا أوطـانـهـم إذ سـلـكـوا
نـحـو بـابـي يـطـلـبـون الـزُلَـفـا

فـلـهـم مـنـي مـهـمـا أمَّـلـوا
سـلـفًا يُـنـمـى ويُـثـنـى خَـلَـفـا

يا حسنَهم قد نزعوا المخيط، (وأقلعوا عن التفريط)[1]، وملأوا بالتضرع البسيط، وأقبلوا إلى باب الملك المحيط؛ فارقوا لأجل مولاهم أولادهم، وأعروا من رقيق (الثياب)[2] أجسادهم، وتركوا في رضا محبوبهم ومرادهم؛ فأصبحوا قد أعطاهم، وأضحوا قد أفادهم؛ ناداهم وهم في الأصلاب والأرحام، واستصلحهم لزيارة بيته الحرام، وأكرمهم بالغفران فيا نعم الإكرام وأنتم قد قعدتم عن ذلك المقام وقد شاركتموهم في الإيمان والإسلام، فارغبوا بالتضرع كما رغبوا إلى الملك العلام؛ فإنه معروف بالفضل، موصوف بالإحسان والإنعام، أين من أدرك مثل يومكم من إخوانكم وقومكم، أين المغترون بطول الأمل؟ أما حلوا في ألحادهم بالعمل؛ ما نفعهم علو النسب، ولا دفع عنهم الحسب؛ بل ندم من اقترف منهم الخطايا (واكتسب)[3].

فبادروا رحمكم الله ما بقي من يومكم هذا؛ فإنه مُغْتَنَم، وعظموا قدره فإنه معظم محترم؛ هو يوم الأبرار وتطهير الأسرار، ومحو الذنوب والأوزار، والإعتاق من النار والفوز بالجنة دار القرار؛ ليفوز هناك السعيد برؤية العزيز الجبار، الغفور الرحيم، الستار السميع البصير، الواحد القهار.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ق): «المخيط».

(٣) في (ك): «والكسل».

فصل

كل هذا الفضل ليوم عرفة أي يوم كان من الأيام؟ فإن وافق يوم الجمعة؛ زاد في الإكرام والإعظام، قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في «الإيضاح»: إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل أهل الموقف، ويروي عن طلحة بن عبيد الله ما معناه إذا كانت الوقفة يوم الجمعة أو يوم عرفة فقد روى ابن حبان في «صحيحه»(١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تطلع الشمس على يوم أفضل من يوم الجمعة**»، وفيه أيضًا حديث تميم بن أوس: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة**(٢)».

قيل(٣): قد ذهب بعض العلماء إلى تفضيل يوم الجمعة على يوم عرفة محتجًّا بهذا الحديث. وحكى القاضي أبو يعلى رواية عن أحمد رحمه الله أن ليلة الجمعة أفضل من ليلة القدر وسيأتي الكلام على مجلس خاص بفضائل يوم الجمعة وليلة الجمعة أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

والصواب؛ أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم عرفة ويوم (النحر)(٤) أفضل أيام العام، وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة، ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة مزية على سائر الأيام من وجوه متعددة:

---

(١) ابن حبان (٢٧٧٠). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) لعل صوابها الجمعة؛ فالذي في «صحيح ابن حبان» إنما هو في فضل يوم الجمعة، ومن حديث أبي هريرة (٢٧٧٢).

(٣) نقل المصنف هذه المسألة من «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٥٤) بتصرف يسير.

(٤) في (ك): «العيد».

أحدها: اجتماع اليومين الذين هما أفضل الأيام.

الثاني: أنه اليوم الذي فيه ساعة محققة الإجابة، وأكثر الأقوال أنها آخر ساعة بعد العصر كما سيأتي الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى، وعلى هذا القول فأهل الموقف إذ ذاك كلهم واقفون للدعاء والتضرع في ذلك الوقت المرجو لساعة الإجابة فيه سيما في ذلك الموقف العظيم.

الثالث: موافقته يوم عرفة ليوم وقفة رسول الله ﷺ.

الرابع: أن فيه اجتماع الخلائق في أقطار الأرض للخطبة وصلاة الجمعة، ويوافق ذلك اجتماع أهل عرفة بعرفة، فيحصل اجتماع المسلمين في مساجدهم وموقفهم من الدعاء والتضرع ما لا يحصل في يوم سواه.

الخامس: أن يوم الجمعة يوم عيد، ويوم عرفة يوم عيد لأهل عرفة؛ ولذلك كره لمن بعرفة صومه، وفي النسائي[1] عن أبي هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفة»، وفي إسناده نظرٌ؛ لأن مهدي بن حرب الجزري ليس بمعروف، ومداره عليه، ولكن ثبت في الصحيح

---

(١) النسائي في «الكبرى» (٢٨٣٠)، وأبو داود (٢٤٤٠)، وابن ماجة (١٧٣٢)، والحاكم (١٥٨٧) وصححه على شرط البخاري. قال المناوي في «فيض القدير» (٩٤٨٤): وردوه بأنه وهم؛ إذ مهدي ليس من رجاله بل قال ابن معين: مجهول وقال العقيلي: لا يتابع عليه لضعفه. وقال ابن القيم: علة هذا الحديث مهدي مجهول، وروي بأسانيد جياد أنه لم يصم يوم عرفة بها، ولم يصح عنه. قال ابن حجر: صححه ابن خزيمة ووثق مهديا.

حديث أم الفضل تقدم، والمقصود أنه إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة فقد اتفق عيدان معًا.

السادس: أنه موافق ليوم إكمال الدين؛ أكمل الله تعالى فيه دينه لعباده المؤمنين وإتمام النعمة عليهم كما ثبت في «صحيح البخاري»[(١)] عن طارق بن شهاب قال: جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، آية تقرءونها في كتابكم... الحديث.

السابع: إنه موافق ليوم الجمع الأكبر والموقف الأعظم يوم القيامة، فإن القيامة تقوم يوم الجمعة كما قال النبي ﷺ: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرًا إلا أعطاه**»[(٢)] .

ولهذا شرع الله تعالى لعباده يومًا يجتمعون فيه فيذكرون المبدأ والمعاد، والجنة والنار، وادخر الله لهذه الأمة يوم الجمعة إذ فيه المبدأ والمعاد، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ في فجره سورة السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]؛ لاشتمالهما على ما كان وما يكون في هذا اليوم؛ من خلق آدم وذكر المبدأ والمعاد، ودخول الجنة والنار، وكان يذكر الأمة في هذا اليوم بما كان فيه، وما يكون فهكذا يتذكر الإنسان بأعظم مواقف، وهو يوم عرفة؛ الموقف الأعظم بين يدي الرب سبحانه

---

(١) تقدم تخريجه قريبا.

(٢) من حديث أبي هريرة رواه مسلم (٨٥٤)، والفقرة محل الاستشهاد، وهي «وفيه تقوم الساعة» لم يذكرها المصنف رحمه الله.

تعالى في هذا اليوم بعينه، ولا ينتصف حتى يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم.

الثامن: أن الطاعة الواقعة من المسلمين يوم الجمعة أكثر منها في سائر الأيام حتى إن أكثر أهل الفجور ليحترمون يوم الجمعة وليلته، ويرون أن من يتجرأ فيه على معاصي الله عجل الله عقوبته ولم يمهله، وهذا أمر قد استقر عندهم وعلموه بالتجارب، وذلك لعظم اليوم وشرفه عند الله واختيار الله له من بين سائر الأيام، ولا ريب أن للوقفة فيه مزية على غيره.

التاسع: أنه موافق ليوم المزيد في الجنة، وهو اليوم الذي يجمع فيه أهل الجنة في واد فيح، وينصب لهم منابر من لؤلؤ، ومنابر من ذهب، ومنابر من زبرجد والياقوت على كثبان المسك؛ فيزورون ربهم تبارك وتعالى، ويتجلى لهم فيرونه عيانًا، ويكون أسرعهم موافاة؛ أعجلهم رواحًا إلى المسجد، وأقربهم منه أقربهم من الإمام؛ فأهل الجنة يشتاقون إلى يوم المزيد لما ينالون فيه من الكرامة، وهو يوم الجمعة فإذا وافق يوم عرفة كان لهم مزية واختصاص وفضل ليس لغيره.

والعاشر: أنه يدنوا الرب تبارك وتعالى (عشية)[1] عرفة من أهل الموقف، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟ أشهدكم أني قد غفرت لهم، ويحصل مع دنوه منهم تبارك وتعالى ساعة الإجابة التي لا يرد فيها سائلًا يسأله خيرًا فيقربون منه بدعائه والتضرع إليه في تلك

---

(١) في (ك): «يوم».

الساعة، [ويقرب منهم تعالى نوعين من القرب؛ أحدهما: قرب الإجابة المحققة في تلك الساعة][1] . والثاني: قربه الخاص من أهل عرفة، ومباهاته بهم ملائكته؛ فتستشعر قلوب أهل الإيمان هذه الأمور فتزداد قوة إلى قوتها، وفرحًا وسرورًا وابتهاجًا، ورجاء لفضل ربها وكرمه؛ فبهذه الوجوه وغيرها فضلت وقفة الجمعة على غيرها.

قال: وأما ما استفاض على ألسنة العوام بأنها تعدل ثنتين وسبعين حجة؛ فباطل لا أصل له عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم أجمعين- انتهى كلامه.

وقد تقدم ما نقله الشيخ محي الدين النووي -رحمة الله عليه- في «الإيضاح» له في مناسك الحج وما روي (عن)[2] مالك من نقل ذلك كما سبق والله أعلم.

قال: زين الدين بن رجب في «لطائفه»، وفي «المسند»[3] عن النبي ﷺ أنه قال في يوم الجمعة: **«هو أفضل عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى»**. وروي: **«أن الله تعالى يغفر يوم الجمعة لكل مسلم»**[4].

---

(١) سقط من النسختين، والمثبت من «زاد المعاد» (١/ ٥٤).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر رواه أحمد (١٥٥٨٧)، وابن ماجة (١٠٨٤) قال البوصيري: إسناده حسن. أ هـ وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٧٩).

(٤) سيأتي تخريجه قريبا.

فصل في العيد وليلته

قال ابن الجوزي في كتاب «النور»[(١)]: وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى ليلة النحر ركعتين، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب خمس عشرة مرة؛ فإذا فرغ قرأ آية الكرسي و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ كل واحدة خمس عشرة مرة ثلاث مرات؛ فإذا فرغ استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة ثلاث مرات؛ جعل الله اسمه في أصحاب الجنة، وغفر له ذنوب السر، وذنوب العلانية، وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة، وكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، وإن مات فيما بينه وبين الجمعة مات شهيدًا».

(وقال الغزالي في «الإحياء» في كتاب أسرار الصلاة قال سفيان الثوري: يستحب أن يصلي بعد صلاة عيد الأضحى ست ركعات، وبعد صلاة عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وقال: هو من السنة)[(٢)].

العيد؛ هو موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بمولاهم إذ فازوا بإكمال طاعته، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ

---

(١) ذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ٥٣) وقال: في إسناده أحمد بن محمد بن غالب؛ وضاع

(٢) مثبت من (ق)، وقال العراقي (١/ ١٦٢): لم أجد له أصلا في كونه سنة، وفي الحديث الصحيح ما يخالفه، وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها، وقد اختلفوا في قول التابعي من السنة كذا، وأما قول تابعي التابع كالثوري فهو مقطوع.

وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] .

قال بعض العارفين: ما فرح أحدٌ بغير الله إلا بغفلته عن الله؛ فالغافل يفرح بلهوه وهواه (والعاقل يفرح بمولاه)[1]، وأنشد سمنون المحب في المعنى:

وكان فؤادي خاليًا قبل حُبكم
وكان بذكر الخلق يلهو ويمرحُ
فلما دعى قلبي هواك أجابه
فلست أراه عن فنائك يبرحُ
رُميت ببعد منك إن كنتُ كاذبًا
وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرحُ
وإن كان شيء في البلاد بأسرها
إذا غبت عن عيني لعيني يلمحُ
فإن شئت واصلني وإن (شئت)[2] لم
تصل فلست أرى قلبي لغيرك يصلحُ

وروي أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال: «**إن الله قد أبدلكم بيومين خيرًا منهما؛ يوم الفطر والأضحى**»[3]؛

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) من حديث أنس رواه أحمد (١٢٨٥٠)، وأبو داود (١١٣٤). وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٠٠٤).

فأبدل الله تعالى هذه الأمة بيومي اللعب واللهو يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو.

ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد؛ عيد يتكرر كل أسبوع، وعيدان يأتيان في كل عام مرة مرة من غير تكرر في السنة؛ فأما العيد المكرر فهو يوم الجمعة، وهو عيد للأسبوع، وهو مرتب على إكمال الصلوات المكتوبات، وأن الله تعالى فرض على المؤمنين في اليوم والليلة خمس صلوات، وأيام الدنيا تدور على سبعة أيام؛ فكلما كمل دور أسبوع من أيام الدنيا، واستكمل المسلمون صلواتهم.

شرع لهم في يوم استكمالهم -وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق، وفيه خلق آدم وأدخل الجنة وأخرج منها، وفيه ينتهي أمر الدنيا فتزول، وتقوم الساعة فيه، وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة- وجعل ذلك لهم عيدًا، ولذلك نهى عن إفراده بالصيام، وفي شهود الجمعة شبه من الحج، ويُروى: أنها حج المساكين.

وقال سعيد بن المسيب: شهود الجمعة أحب إلي من حجة نافلة. والتبكير إليها يقوم مقام الهدي على قدر السبق، وشهود الجمعة يوجب تكفير الذنوب إلى الجمعة الأخرى (إذا سلم ما بين الجمعتين من الكبائر، كما أن الحج المبرور يكفر ذنوب تلك السنة إلى الحجة الأخرى)[١]. وقد رُوي: إذا سلمت الجمعة فقد سلمت الأيام على ما سيأتي الكلام على الجمعة، وفضلها وفضل ليلتها إن شاء الله تعالى.

---

(١) مثبت من (ق).

وأما العيدان اللذان يتكرران في كل عام إنما يأتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة.

فأحدهما: عيد الفطر من صوم رمضان، وهو مرتب على كمال الصيام، وهو الركن الثالث من أركان الإسلام ومبانيه؛ فإذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم استوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار كما تقدم ذلك في فضل رمضان.

والعيد الثاني: عيد النحر فهو أكبر العيدين وأفضلهما، وهو مرتب على إكمال الحج، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام ومبانيه؛ فإذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم، وإنما يكمل الحج بيوم عرفة والوقوف بعرفة فإنه ركن الحج الأعظم؛ فهذه أعياد المسلمين في الدنيا كلها عند إكمال طاعة مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من الأجر و«الثواب».

ويحكى أن قومًا مروا بدير راهب فقالوا له: متى عيد أهل هذا الدير؟ قال: يوم يغفر لأهله، وقد قيل: أن في ليلة العيد تفرق خِلع العتق والمغفرة على العبيد؛ فمن ناله منها شيء فله عيد وإلا فهو مطرود بعيد.

هذه أعياد الدنيا، وأما أعياد الآخرة للمؤمنين في الجنة؛ ففي زيارتهم لربهم ﷻ فيزورونه فيكرمهم غاية الإكرام، ويتجلى لهم فينظرون إليه فما أعطاهم شيئًا هو أحب إليهم من ذلك، وهي الزيادة التي قال الله تعالى فيها: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

ولهذا قيل: ليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه، وذلك غاية قصده

ومطلوبه. شعر:

إن يـومًـا جـامـعًـا شـمـلـي بـهـم
ذاك عـيـدي لـيـس لـي عـيـدٌ سـواهُ

لا يـطـيـب الـعـيـش لـي إلا بـهـم
يـوم يـرضـى عـنـهـم فـيـه الإلـهُ

وقد قيل: كل يوم كان للمسلمين عيدًا في الدنيا؛ فهو عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم يتجلى لهم فيه؛ فيوم الجمعة في الجنة يدعى يوم المزيد، ويوما الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة؛ هذا لعموم أهل الجنة، وأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيًّا.

الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعياد؛ (فصارت أيامهم في الآخرة كلها أعياد)[١].

ويروى عن الحسن البصري أنه قال: كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد، وكل يوم قطعه المؤمن في طاعة مولاه وشكره وذكره فهو له عيد، وقد تقدم أن يوم عرفة من أفضل أيام الدنيا.

وذهبت طائفة من العلماء إلى أن يوم النحر أفضل الأيام لحديث عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ قال: «**أعظم الأيام عند الله يوم النحر**»[٢].

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه أحمد (١٩٠٩٨)، وابن خزيمة (٢٨٦٦)، وابن حبان (٢٨١١)، والحاكم (٧٥٢٢) وصححه وأقره الذهبي. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

قال الذهبي رحمه الله في «الكاشف»: عبد الله بن قرط الثمالي أمير حمص صحابي.

وقال ابن منده: كان اسمه شيطان بن قرط، فسماه رسول الله ﷺ عبدالله... وذكر له هذا الحديث.

إخواني، من فاته في هذا العام القيام بعرفة فليقم لله بحقه الذي عرفه، ومن عجز عن المبيت بمزدلفة فليبت بعزم على طاعة الله، وقد قربه وأزلفه، من لم يمكنه القيام بأرجاء الخيف؛ فليقم لله بحق الرجاء والخوف، من لم يقدر على نحر هديه بمنى؛ فليذبح هواه وقد بلغ المُنى، من لم يصل إلى البيت لبعده فليقصد رب البيت؛ فإنه أقرب إلى من دعاه ورجاه من حبل الوريد، نفحات هذه الأيام نفحة من نفحات الأُنس من رياض القدس على كل قلب أجاب إلى ما دُعي.

يا همم العارفين، بغير الله لا تقنعي، يا عزائم الناسكين، بجميع أنساك الناسكين اجمعي؛ بحب مولاك أفردي، وبين خوفه ورجائه أقرني، وبذكره تمتعي، يا أسرار المحبين، بكعبة الحب طوفي واركعي، وبين صفاء الصفا، ومروة المروة اسعي وأسرعي، وفي عرفات العرفان قفي وتضرعي، ثم إلى مزدلفة الزلفى فأوقعي ثم إلى منى نيل المنى فارجعي، فإذا قربوا القرابين؛ فقربي الأرواح ولا تمنعي؛ لقد وضح اليوم الطريق ولكن قد قل السالك على التحقيق، وكثر المدعي.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وأعد علينا من بركات عيدنا، وارحمنا يوم الحساب، ونطق جلودنا، وارزقنا سعادة من عندك

تظهر سَعُودنا، وجد علينا بفضلك يا غاية مقصودنا، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.

المجلس الرابع والعشرون

في الأضاحي وفضلها وذكر أيام التشريق ومحلها

الحمد لله الذي قضى فأنفذ قضاءه وقدَّر، وأورد الأشياء كما شاء وأصدر، وتعظَّم في وحدانيته وجلَّ وتكبر، وراعى خلقه بلطفه الوافر ودبَّر، وأحكم ما فعل وصدق فيما أخبر، وبنى الأجساد ثم أمات وأقبر، أنشأ المخلوقات تُبدي عجائب الحِكم لمن تدبر، ليس فيها شيء إلا ويُظهر حكمة حين يُسبر، حكم كما شاء فأغنى وأفقر، وضع ورفع فهذا مُعظَّم وهذا مُحقَّر، وقهر من شاء بالذل وهذا بالعز يُقهر، وهذا ينام عن خدمته وهذا بطاعته يسهر، وهذا أعمى عن الهدى وهذا قد أبصر، وهذا مجتهد وهذا قد قصر، وهذا يعصي وهذا ينهى عن المنكر، وإنما باين بين خلقه ليُحمد ويُشكر.

شرَّفنا بعشر ذي الحجة وعيدنا وأعلم وأشهر، قَبِل الهدي والضحايا ممن قلَّد له وأشعر، أمر زائر بيته بكثرة ذكره عند المشعر، وتَقبَّل حج الراكب وقابل بالتَّلقي الماشي الأغبر، وكمّل شرف امتنانه بيوم النحر وهو يوم الحج الأكبر، وقال تعالى فيما أخبر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

أحمده والحمد من مواهبه، وأشكره على الهُدى وتسهيل مذاهبه، واستعينه على أوصاب[1] الزمان ووقْع مصائبه، وأشهد أن لا إله إلا الله

---

(١) هي الأمراض والأوجاع. «القاموس المحيط» (١/ ١٨١).

وحده لا شريك له، في إظهار آياته وعجائبه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى، ونصره بالرعب على مُغالبه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأقاربه السالكين على مذاهبه، ما دار الفَلك واستنارت إشراق كواكبه، وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، واجعل اللهم عيدنا عوَدنا إلى بابك، واكتبنا عندك من أحبابك وعُد علينا بجزيل إحسانك وثوابك، وقبول ضحايانا، وذلك الفضل منك وأولى بك، وأملأ فارغ (قلوبنا و)[1] أوقاتنا بتلاوة كتابك؛ فإنه لا حول ولا قوة لنا إلا بك، وانفعني والحاضرين وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل

قال الله تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قيل: أراد صلاة العيد، وقال قتادة: هي صلاة الأضحى. وقيل: صلاة الصبح بالمزدلفة قاله مجاهد، وقيل: الصلوات الخمس قاله مقاتل، وقيل: معناه الشكر قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ معناه اذبح يوم النحر، وهو قول الجمهور. وقيل: هو وضع اليمين على الشمال في الصلاة. وقيل: رفع اليدين في التكبير إلى النحر قال النبي ﷺ: «**رفع اليدين في الصلاة إستكانة**»[2] قاله المعافى في «تفسيره»، وقيل: زينة الصلاة؛ رفع اليدين

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه الحاكم (٣٩٨١)، والبيهقي (٢٣٥٧)، ولم يصححه الحاكم وقال الذهبي في «التلخيص»: فيه إسرائيل بن حاتم صاحب عجائب لا يعتمد عليه، =

وهو إظهار مقام العبودية. وقيل: معناه ارفع يديك بالدعاء إلى نحرك، ولهذا كان المستحب رفع اليدين في (الدعاء إلى)[1] اتجاه الوجه والمقاربة بينهما. وقيل: معناه صلِّ لله وانحر له؛ فإن ناسًا يصلون لغيره وينحرون لغيره. قاله القرطبي.

قال ذو النون المصري رحمه الله: معناه اذبح هواك في قلبك؛ يعني بذلك مخالفة النفس عن هواها؛ فذلك ذبح لها، وبه تبلغ جنة المأوى (قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١])[2] وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦] والبدن؛ هي الإبل العِظام الصِحاح.

وقوله: ﴿مِن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي من أعلام دينه. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ النفع في الدنيا، والأجر في الآخرة.

وقوله: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ أي قيامًا على ثلاث قوائم وقرأ أُبي والحسن ومجاهد ﴿صَوَآفَّ﴾ بالياء أي: صافية خالصة لله تعالى لا شريك له فيها. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت بعد النحر؛ فوقعت

= وأصبغ بن نباتة شيعي متروك عند النسائي. قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١/ ٢٧٣): إسناده ضعيف جدا.

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

جنوبها على الأرض ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر إباحة ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ قيل: القانع؛ الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل، والمعتر الذي يسأل. قوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي نعمة منا ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ لكي تشكروا إنعام الله عليكم.

وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ [الحج: ٣٧]، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن؛ لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله تعالى فأنزل الله هذه الآية. قال مقاتل: لن يُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أي يُرفع إليه منكم؛ الأعمال الصالحة والتقوى والإخلاص، وما أريد به وجه الله تعالى. ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ يعني البدن ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الموحدين لله تعالى.

فصل

الأضحية سنة مؤكدة لا تجب إلا بالنذر غير واجبة، رُوي ذلك عن أبي بكر وعمر، وبلال (وابن مسعود)[1] رضي الله عنهم وبه قال سويد بن غفلة وسعيد بن المسيب، وعلقمة والأسود، وعطاء والشافعي، وإسحاق وأبي ثور وابن المنذر.

وقال ربيعة ومالك، والثوري والليث، والأوزاعي وأبو حنيفة: هي

(١) في النسختين (أبي مسعود)، والصواب المثبت الموافق لما في كتب الفقه. انظر «الشرح الكبير» لابن قدامة (٣/ ٥٨١).

واجبة، واستدلوا على ذلك بما روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن كان له سعة ولم يضح؛ فلا يقربنَّ مصلانا**» رواه الإمام أحمد، وابن ماجة، وأبو داود، والترمذي، والنسائي(١).

وعن مخنف بن سليم أن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس، إن على أهل كل بيت في كل عام أضحيةٌ وعتيرةٌ**»(٢) قال الخطابي: العتيرة؛ الشاة تذبح في رجب هذا الذي يليق بتفسير الحديث، والعتيرة في الجاهلية؛ هي الذبيحة تذبح للأصنام فيصب دمها على رأسها.

ونص الشافعي ﷺ في الأم: أنها لا تجب إلا بالتزام أي على الصحيح المشهور، وقيل: هي فرض كفاية؛ فلو تركها أهل بلد أثموا كالجماعات والآذان على رأي ذكره القاضي حسين قاله شهاب الدين الأذرعي في شرح المنهاج له، واستدل من قال أن الأضحية سنة مؤكدة

---

(١) رواه أحمد (٨٢٥٦)، وابن ماجة (٣١٢٣)، والحاكم (٧٥٦٥) وصححه وأقره الذهبي. قال البوصيري: في إسناده عبد الله بن عياش، وهو وإن روى له مسلم فإنما أخرج له في المتابعات والشواهد، وقد ضعفه أبو داود والنسائي، وقال أبو حاتم: صدوق. وقال ابن يونس منكر الحديث، وذكره ابن حبان في «الثقات» أ هـ.
والحديث صححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع»: (٦٤٩٠). قال ابن حجر في الفتح (٣/١٠) بعد عزوه لأحمد وابن ماجة: رجاله ثقات لكن اختلف في رفعه ووقفه والموقوف أشبه بالصواب قاله الطحاوي وغيره انتهى. والحديث من أفراد ابن ماجة كما أفاده البوصيري؛ فعزو المصنف له للترمذي وأبي داود غير جيد.

(٢) رواه أبو داود (٢٧٨٨)، والترمذي (١٥١٨) وقال: حسن غريب، وابن ماجة (٣١٢٥)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٤٢١).

وليست واجبة؛ بما روى الدارقطني[1] بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث كتبت عليَّ، وهن لكم تطوع**»، وفي رواية: «**الوتر والنحر وركعتا الفجر**»، قال الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الهادي الحنبلي رحمه الله: «**حديث ثلاث هن علي فريضة**» رواه أحمد من رواية أبي جناب وهو يدلس عن عكرمة عن ابن عباس، وروي من وجه آخر لا يثبت، ولأن النبي ﷺ قال: «**من أراد أن يضحي فدخل العشر؛ فلا يأخذ من شعره ولا بشرته شيئًا حتى يضحي**» رواه مسلم[2] فعلقه على الإرادة، والواجب لا يعلق على الإرادة، ولأنها ذبيحة لم يجب تفريق لحمها؛ فلم تكن واجبة كالعقيقة.

قال في «المغني»[3]: وحديث الموجبين قد ضعفه أصحاب الحديث ثم نحمله على تأكيد الاستحباب كما قال ﷺ: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**»[4] وقال ﷺ: «**من أكل من هاتين الشجرتين؛ فلا يقربنَّ مصلانا**»[5] وقد رُوي عن أحمد في اليتيم يضحى عنه وليه إذا كان

---

(١) رواه أحمد (٢٠٥٠)، والدراقطني (٢/ ٢١)، والبيهقي (٤٢٤٨) ومداره على أبي جناب الكلبي قال البيهقي: اسمه يحيى بن أبي حية ضعيف وكان يزيد بن هارون يصدقه ويرميه بالتدليس. قال الهيثمي (١٣٩٨٠): أبو جناب الكلبي؛ مدلس، وبقية رجالها عند أحمد رجال الصحيح. وأفاد ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ١١٨) بعد بحث؛ ضعف الحديث من جميع طرقه.

(٢) من حديث أم سلمة رواه مسلم (١٩٧٧).

(٣) المغني (١١/ ٩٥).

(٤) من حديث أبي سعيد رواه البخاري (٨٢٠)، ومسلم (٨٤٦).

(٥) من حديث معاوية بن قرة عن أبيه رواه النسائي في «الكبرى» (٦٦٨١)، والطبراني =

موسرًا، قال أبو الخطاب: وهو يدل على أنها واجبة، قال: والصحيح أن هذا على وجه التوسعة لا على سبيل الإيجاب؛ فإن نذرها وجبت لقول رسول الله ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله؛ فليطعه**»[1]، وهذا نذر طاعة، والله أعلم. انتهى

قال ابن القيم رحمه الله في الهدي: وكان من هدي النبي ﷺ أنه لم يكن يَدعُ الأضحية. انتهى.

وقال أبو البركات ابن تيمية في «المنتقى»[2] محتجًّا على عدم وجوبها، وأنها سنة مؤكدة عن أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أملحين أقرنين -يعني في لونهما بياض-؛ فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما فذبحه بنفسه ثم قال: «**اللهم هذا عن أمتي جميعًا؛ ممن شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ**» ثم يُؤتى بالآخر فيذبحه ويقول: «**هذا عن محمد وآل محمد**» ؛ فيطعمهما جميعًا

= في «الكبير» (١٩/ ٣٠) و«الأوسط» (٦٠٧٤).

ومن حديث أنس رواه أبو يعلى (٤٢٩١) قال الهيثمي (١٩٩١): فيه سلام بن أبي خبزة؛ ضعيف جدا. وقد ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم؛ أبو بكر وبشير الأسلمي، وأبي أمامة، وأبي ثعلبة، وخزيمة بن ثابت، وعبد الله ابن زيد، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، ومعقل بن يسار؛ ذكرهم الهيثمي (٢/ ١٢٥) باب فيمن أكل ثوما أو نحوه ثم أتى المسجد.

(١) من حديث عائشة البخاري (٦٣١٨).

(٢) كما في «نيل الأوطار» للشوكاني (٥/ ١٧٠).

المساكين، ويأكل هو وأهله منهما رواه أحمد(١).

فصل

في الحث على الأضحية وفضلها

وما ورد من الأخبار والآثار في ذلك

روى ابن ماجة، والترمذي(٢) وقال: حديث حسن صحيح غريب عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**ما عمل ابن آدم يوم النحر عملًا أحب إلى الله تعالى من هراقة دمٍ، وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله ﷻ بمكان قبل أن يقع للأرض؛ فطيبوا بها نفسًا**».

وروى الإمام أحمد، وابن ماجة(٣) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قلت أو قالوا: يا رسول الله ما الأضاحي؟ قال: «**سنة أبيكم إبراهيم**» قالوا:

---

(١) رواه أحمد (٢٧٢٣٤)، والحاكم (٣٤٧٨) وصححه، وتعقبه الذهبي فقال في «التلخيص»: فيه زهير بن محمد التميمي؛ ذو مناكير، وابن عقيل ليس بالقوي. قال الهيثمي (٥٩٦٧): إسناد أحمد والبزار حسن.

(٢) رواه الترمذي (١٤٩٣)، وابن ماجة (٣١٢٦) وقال الترمذي: حديث حسن غريب. قال المنذري: رووه من طريق أبي المثنى واسمه سليمان بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عنها، وسليمان واه وقد وثق.أ هـ وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع»: (٥١١٢).

(٣) رواه أحمد (١٩٣٠٢)، وابن ماجة (٣١٢٧) قال البوصيري: في إسناده أبو داود، اسمه نفيع بن الحارث؛ متروك اتهم بوضع الحديث.

ما لنا فيها؟ قال: «**بكل شعرة حسنة**» قالوا: فالصوف؟ قال: «**بكل شعرة من الصوف حسنة**».

وروى الدارقطني[(١)] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أُنفقت الورِق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد**».

وروي ابن زنجويه في «الترغيب والترهيب»[(٢)] بسنده عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يا فاطمة ابنة محمد؛ قومي فاشهدي أضحيتك؛ فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أما إنه يُجاء بدمها ولحمها؛ فيوضع في ميزانك بسبعين ضعفًا**». وفيه أيضًا بسنده عن الليث عن طاوس أنه قال: ما أنفق الناس نفقة أعظم من دم يهراق في هذا اليوم إلا رحمًا محتاجة يصلها يعني يوم النحر. وروى بسنده عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول قال: بع قميصك واشتر أضحية.

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أهراق دمًا في اليوم العاشر من ذي الحجة؛ كان أول قطرة من أضحيته يغفر الله له ولعياله، ولمن أُطعم من نُسكه، ويبعث يوم القيمة آمنًا، وتكون في ميزانه أثقل من جبل أُحد**»[(٣)].

وقال بعض السلف: لو أن رجلًا ضحى بأضحية وتصدق آخر بملء

---

(١) الدارقطني (٤/ ٢٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧٣٣٤)، وفي «الكبرى» (١٨٧٩٣) وقال: تفرد به محمد بن ربيعة عن إبراهيم الخوزي وليسا بالقويين. أهـ وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع»: (٥٠٢٨).

(٢) لم أقف عليه مطبوعا، والحديث رواه البيهقي (١٨٩٤٣) وضعفه بعمرو بن خالد. وقال المنذري (١٦٦٢): حسن بعض مشايخنا حديث علي هذا.

(٣) لم أقف عليه بعد البحث.

جلدها ذهب لما بلغ فضل من ضحى، وتقدم قوله ﷺ: «**من كان له سعة ولم يضح؛ فلا يقربن مصلانا**»[١]، وهذا إبعاد وتوبيخ لمن تركها مع القدرة عليها.

واختار إمامنا أحمد؛ أن الأضحية أفضل من الصدقة بثمنها، قيل له: أيما أفضل عندك يضحي أو يتصدق بثمنها؟ قال: لا، بل يضحي، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: يُضحي أفضل عندي إذًا تذهب هذه السُّنة؛ يدع الناس الأضحى إن كان غيره أفضل.

ورُوي عن ابن عباس مرفوعًا قال: «**من أهراق دمًا في الأضحى؛ غفر الله له ذنوبه، وذنوب عياله ومن أطعم من نسكه أو تصدق به أوسع الله عليه (معيشته ما عاش، وهون عليه سكرات الموت)**[٢]**، وأوسع له في قبره، وفتح له بابًا إلى الجنة تروح روحه إلى أن يوقظ من رقدته**»[٣].

ومن كتاب روض الرياحين عن الشيخ عن أبي الربيع المالقي -رحمة الله عليه- قال: سمعت بامرأة من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها، وكان من دأبنا أن لا نزور امرأة؛ فدعت الحاجة إلى زيارتها؛ للإطلاع على كرامة اشتهرت عنها؛ فكانت تدعى بالفضة فنزلنا القرية التي هي بها تلك المرأة؛ فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنًا وعسلًا؛ فاشترينا قدحًا جديدًا لم يوضع فيه شيء فمضينا إليها وسلمنا عليها، ثم

---

(١) تقدم تخريجه قريبا.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) لم أقف عليه بعد البحث.

قلنا لها: نريد أن نرى هذه البركة التي ذكرت لنا عن هذه الشاة التي عندكم؛ فأعطتنا الشاة فحلبناها في القدح؛ فشربنا لبنًا وعسلًا.

فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة، فقالت: نعم كانت لنا شويهة، ونحن قوم فقراء، ولم يكن لنا شيء فحضر العيد فقال لي زوجي -وكان رجلًا صالحًا-: نذبح هذه الشاة في هذا اليوم فقلت له: لا تفعل؛ فإنه قد رخص لنا في الترك والله يعلم حاجتنا إليها؛ فاتفق أن استضافنا في ذلك اليوم ضيف، ولم يكن عندنا قِراه، فقلت له: يا رجل هذا ضيف، وقد أمرنا بإكرامه؛ فخذ تلك الشاة فاذبحها؛ فلما أراق دمها (قفزت)[1] شاة على الجدار؛ فنزلت إلينا إلى البيت فخشيت أن تكون قد انفلتت منه؛ فخرجت لأنظرها فإذا هو يسلخ الشاة، فقلت له: يا رجل عجبًا، وذكرت له القصة فقال: لعل الله أن يكون قد أبدلنا خيرًا منها؛ فكانت تلك تحلب اللبن، وهذه تحلب اللبن والعسل بركة إكرامنا الضيف.

وعن سفيان بن عيينة قال: حج صفوان بن سليم، ولم يكن معه إلا سبعة دنانير؛ فاشترى بها بدنة فضحى بها فقيل له: ليس معك إلا السبعة دنانير تشتري بها بدنة؟ فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ أفلا اشتري الخير من الله بسبعة دنانير.

وعن (سنان)[2] بن مسلم قال: ضحيت بكبش ثم نمت؛ فرأيت في

---

(١) في (ك): «فرأت» والصواب المثبت.

(٢) في (ك): «بنان».

المنام كل إنسان راكبًا على أضحيته، وأصحاب الجزور يعني الإبل قدام الناس، وأصحاب البقر خلفهم، وأصحاب الغنم خلفهم فلما كان العام المقبل قلت: أنا موسر فاشتريت بقرة وضحيت بها؛ فرأيت في المنام أني راكب عليها، وأصحاب الجُزُر أمامي، وأصحاب الكباش خلفي؛ فلما كانت السنة الثالثة اشتريت بدنة، وضحيت بها؛ فرأيت أني راكب عليها قدام الناس. ذكره الشيخ علاء الدين اللبودي رحمه الله في الترغيب والترهيب للحافظ التيمي.

(وقال الشيخ عبد القادر في «الغنية» قال النبي ﷺ: «**أحسنوا ضحاياكم؛ فإنها مطاياكم يوم القيامة**)[1] » وقال سراج الدين ابن الملقن الشافعي في «البدر المنير»[2] حديث: «**عظموا ضحاياكم؛ فإنها على الصراط مطاياكم**» غريب، قال ابن الصلاح: غير معروف ولا ثابت فيما علمناه. قلت: أسنده صاحب مسند الفردوس بلفظ: استفرهوا بدل عظموا؛ أي ضحوا بالفتية القوية السمينة.

ورُوي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) «البدر المنير» (٩/ ٢٧٣) ونص كلام ابن الملقن: هذا الحديث لا يحضرني من خرَّجه بعد البحث الشديد عنه. أ هـ وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٣٨) وقال: لم أره-يعني الرافعي- وسبقه إليه-يعني الغزالي- في الوسيط، وسبقهما في النهاية. قال ابن الصلاح: هذا الحديث غير معروف ولا ثابت فيما علمناه انتهى قلت-أي ابن حجر-: أخرجه صاحب مسند الفردوس (٢٦٨) من طريق ابن المبارك عن يحيى ابن عبيد الله بن موهب عن أبيه عن أبي هريرة، ويحيى؛ ضعيف جدا.

وَفۡدٗا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦] ثم قال: وهل يكون الوفد إلا ركبانًا على نجائبهم؟ ونجائبهم ضحاياهم؛ يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها (أرحلتها)[١] الذهب، وأزمتها[٢] الزبرجد، ثم ينطلق بهم إلى الجنة حتى يقرعوا بابها.

وذكر الحافظ زكي الدين المنذري في «الترغيب والترهيب» عن حسن ابن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ضحى طيبة بها نفسه محتسبًا لأضحيته؛ كانت له حجابًا من النار**» رواه الطبراني في «الكبير»[٣]، قال الشيخ سراج الدين ابن الملقن في أحاديث الرافعي[٤]: وفي الطبراني الكبير من حديث أبي داود النخعي الكذاب الوضاع عن عبد الله بن حسن عن أبيه عن جده مرفوعًا: «**من ضحى طيبة بها نفسه؛ محتسبًا لأضحيته؛ كانت له حجابًا من النار**».

وذكر الحافظ أبو الفضل محمد بن الحبك المفتي البخاري في كتابه المسمى بـ«شرعة الإسلام» إنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيار أمتي الذين يضحون، وكل دار لا يهراق فيها دم؛ فإنها تشتكي إلى الله فيسمع شكواها؛ فينزع الله البركات من تلك الدار، ويدخل فيها المصائب**» فكم

---

(١) في (ك): «راحلتها». وهي جمع رحل وهي ما يوضع على ظهر البعير.

(٢) جمع زمام وهو الحبل الذي يقاد به البعير.

(٣) الطبراني في «الكبير» (٣/ ٨٤/ ٢٧٣٦)، وضعفه المنذري في «الترغيب» (١٦٦٤). وقال الهيثمي (٥٩٣٧): فيه سليمان بن عمرو النخعي؛ كذاب.

(٤) «البدر المنير» (٩/ ٢٧٦).

من أناس بخلوا فبقوا في الحسرة والندامة.

وعنه ﷺ أنه قال: «**ألا إن الأضحية هي المنجية؛ تنجي صاحبها من شر الدنيا والآخرة**»[1].

وعن علي أنه قال: إذا ضرب العبد قربانه على الأرض وذبحه؛ فأول قطرة تقطر من دمها كانت كفارة لذنبه، ورفع الله تعالى له بكل شعرة على الأضحية درجة في الجنة؛ في تلك الدرجة خيمة من لؤلؤ مجوفة فيها الحور العين، ويركب على قربانه يوم القيامة، ويكون في وفد الرحمن الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

وعنه ﷺ أنه قال: «**من ضحى أضحيته فإذا خرج من قبره يراه قائمًا على رأس القبر؛ فإذا شعره من قضبان الذهب، وعيناه من يواقيت الجنة، وقرناه من الذهب فيقول: من أنت وأي شيء أنت؟ فما رأيت شيئًا قط أحسن منك؟ فيقول: أنا قربانك الذي قربتني في الدنيا، ثم يقول: اركب على ظهري فيركب عليه، ويذهب بين السماء والأرض إلى ظل العرش**»[2].

وذكر في «الغنية» أيضًا أنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن داود عليه السلام قال: إلهي ما ثواب من ضحى من أمة محمد ﷺ؟ قال: ثوابه أن يعطى بكل شعرة منها عشر حسنات، ويُمحى عنه عشر سيئات، ويرفع له عشر**

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

درجات، فقال: إلهي ما ثوابه إذا شق بطنها؟ قال: إذا انشق القبر عنه؛ أُخرجه آمنًا من الجوع والعطش، وأهوال القيامة، يا داود؛ له بكل بضعة من لحمها طير في الجنة كأمثال البخت، وكل كِراع منها مركب (في)[1] الجنة، وبكل شعرة على رأسها جارية من الحور العين، أما علمت يا داود؛ أن الضحايا هي المطايا، وأن الضحايا تمحوا الخطايا، وتدفع البلايا، مر بالضحايا؛ فإنها فداء المؤمن كفداء إسحاق من الذبح».

(وروى بسنده عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قرب أضحيته يوم النحر لينحرها؛ قربه الله تعالى إلى الجنة؛ فإذا نحرها؛ غفر الله له بأول قطرة تقطر من دمها، وجعلها الله تعالى مركبا إلى المحشر، ويعطى بعدد شعرها، وصوفها حسنات)[2]**»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أمر بكبش أقرن يطأ في سواد، وينظر في سواد، ويبرك في سواد فأتي به فضحى به فأضجعه وذبحه وقال: «**بسم الله؛ اللهم تقبل من محمد، ومن أمة محمد**»[4]، والمراد بالسواد؛ كثرة شحمه ولحمه، وقيل: كان أسود العينين واليدين والركبتين. انتهى.

وعن أنس قال: ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين؛ فرأيته واضعًا يديه على صفاحهما يسمي ويكبر؛ فذبحهما بيده. رواه الجماعة

---

(١) في (ق): «من مراكب».

(٢) مثبت من (ق).

(٣) لم أقف عليه بعد البحث.

(٤) رواه مسلم (١٩٦٧)، وأبو داود (٢٧٩٢)، وأحمد (٢٤٥٣٥).

البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة[1]، وحديث عائشة المتقدم رواه مسلم وأحمد وأبو داود، وفيه قال لعائشة: «**هلمّي المُدية**» ثم قال: «**اشحذيها بحجر**» ففعلت... الحديث.

وروى ابن الجوزي في «الحدائق»[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «**يا فاطمة؛ قومي إلى أضحيتك فاشهديها؛ فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر الله لك ما سلف من ذنوبك**» قلت: يا رسول الله هذا لنا خاصة أهل البيت أم لنا وللمسلمين عامة؟ قال: «**بل لنا وللمسلمين عامة**»، وهذا الحديث دليل أن المستحب للمضحي حضور ذبح أضحيته إذا لم يذبحها بنفسه.

ووقت الذبح يوم العيد بعد صلاة العيد أو قدرها إلى آخر يومين من أيام التشريق، وهذا قول عمر وعلي، وابن عمر وابن عباس وأنس رضي الله عنهم، قال أحمد: أيام النحر ثلاثة أيام عن غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة.

ورُوي عن علي آخره آخر أيام التشريق، وهو مذهب الشافعي، وقول عطاء والحسن، وروي عن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: «**أيام منى**

---

(١) رواه البخاري (٥٢٤٥)، ومسلم (١٩٦٦)، وأبو داود (٢٧٩٤)، والترمذي (١٤٩٤) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٤٣٨٧)، وابن ماجة (٣١٢٠)، وأحمد (١٣٢٢٥).

(٢) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (١٢٠٢)، وأشار إليه البيهقي عقب حديث (١٨٩٤٤). قال الهيثمي (٥٩٣٤): فيه عطية بن قيس؛ فيه كلام كثير وقد وثق.

كلها (منحر)[1]»[2]، وقال ابن سيرين: لا تجوز إلا في يوم النحر خاصة؛ لأنها وظيفة عيد فلا تجوز إلا في يوم واحد كأداء الفطرة يوم الفطر. وقال سعيد بن جبير، وجابر بن زيد كقول ابن سيرين في أهل الأمصار، وكقولنا في أهل منى.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعطاء بن يسار؛ تجوز الأضحية في هلال المحرم، وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف ﷺ: كان الرجل من المسلمين يشتري أضحية؛ فيسمنها حتى يكون (آخر)[3] ذي الحجة فيضحي بها. رواه الإمام أحمد في مسنده[4] وهذا الحديث عجيب. وقال أيام الأضحى التي أجمع عليها ثلاثة أيام.

ولنا أن النبي ﷺ نهى عن ادخار لحوم الأضاحي أكثر من ثلاثٍ ولا يجوز ادخار الأضحية إليه، ولأن اليوم الرابع لا يجب الرمي فيه؛ فلم تجز الأضحية فيه كالذي بعده، ووقت الذبح النهار دون الليل. نص عليه

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه ابن حبان (٣٨٥٤)، وأحمد (١٦٧٩٧). قال الهيثمي (٥٥٤٠): رجاله موثقون. انتهى قال ابن كثير في التفسير (١/ ٣٢٤): وهذا منقطع فإن فيه سليمان بن موسى؛ هو الأشدق؛ لم يدرك جبير بن مطعم.

(٣) مثبت من (ق).

(٤) لم أجده في مسند أحمد، ورواه البيهقي (١٩٠٣٩) وقال: وحديث أبي أمامة حكاية عمن لم يسم. انتهى قال ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ١٠): وصله أبو نعيم في المستخرج من طريق أحمد بن حنبل، عن عباد بن العوام أخبرني يحيى بن سعيد وهو الأنصاري.

الإمام أحمد، وعنه يجوز ليلًا.

فصل

يستحب استحسان الأضحية واستسمانها، وروى الحافظ ضياء الدين المقدسي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ أن النبي ﷺ قام يوم عرفة فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: «**يا أيها الناس؛ اشتروا من هذه الأضاحي فاستسمنوها، ولا تماكسوا في أثمانها؛ فإنما تجزرونها لله، ولا يذبح أضاحيكم إلا طاهر، ولا يأكل منها إلا مؤمن، واحضروها إذا ذبحتم فإنه يغفر لكم عند أول قطرة من دمها تسيل في الأرض، وهو في حرز الله حتى يؤتى صاحبها أجرها يوم القيامة بكل قطرة من دمها، وبضعة من لحمها، وشعرة وصوفة حتى عظامها وأعصابها؛ تجدوها يوم القيامة حسنات في صحفكم وثقلًا في موازينكم**»، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] . قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تعظيمها استسمانها، واستعظامها المراد به استحسانها؛ فلأن ذلك أعظم لأجرها وأكثر لنفعها.

وأفضل الأضاحي: البدنة ثم البقرة ثم الشاة، ثم شرك في بدنة ثم شرك في بقرة، وبهذا قال أحمد وأبو حنيفة والشافعي. وقال مالك: الأفضل الجذع من الضأن، ثم البقرة ثم البدنة؛ لأن النبي ﷺ ضحى بكبش ولا يفعل إلا الأفضل، ولو علم الله فيهم خيرًا منه لفُدي به

(١) لم أقف عليه في المطبوع من الأحاديث المختارة للضياء المقدسي.

(إسحاق)[١]، واستدل الأئمة بما ثبت عن النبي ﷺ في الجمعة أنه قال: «**من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا (أقرن)[٢]، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب (دجاجة)[٣]، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة**»[٤]، ولأنه ذبح يتقرب به إلى الله تعالى فكانت البدنة فيه أفضل كالهدي فإن الإمام مالكًا قد سلم فيه، ولأنها أكثر ثمنًا ولحمًا وأنفع.

وروى أبو حفص عمر بن شاهين عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**خير الكفن (الحُلة)[٥]، وخير الضحايا الكبش الأقرن**» رواه الترمذي وابن ماجة[٦]، ولم يقل الترمذي الأقرن.

---

(١) اختلف العلماء في الذبيح الذي فُدي على قولين؛ فذهب البعض إلى أنه نبي الله إسحاق، ونصره القرطبي، والأكثر على أنه نبي الله إسماعيل، وهو قول الجمهور ونصره ابن كثير فقال: هو الصحيح المقطوع به. انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠) وتفسير القرطبي (١٥/ ١٠١).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٨٤١)، ومسلم (٨٥٠)

(٥) مثبت من (ق).

(٦) من حديث عبادة بن الصامت رواه أبو داود (٣١٥٦)، وابن ماجة (١٤٧٣)، والحاكم (٧٥٥١) وصححه وأقره الذهبي، وفي سنده عند الثلاثة حاتم بن أبي نصر وهو مجهول. ومن حديث أبي أمامة الباهلي رواه الترمذي (١٥١٧)، ابن ماجة (٣١٣٠)، وفي سنده عفير بن معدان قال الترمذي: حديث غريب و عفير بن معدان؛ يضعف في الحديث.

مسألة (والأفضل)[١] في الأضحية من الغنم في لونها (البياض)[٢] لما رُوي عن مولاة أبي ورقة ابن سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «دم عفراء أزكى عند الله من دم سَوداوين»[٣]، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: دم بيضاء أحب إلى الله من دم سوداوين[٤]، ولأنه لون أضحية النبي ﷺ الأملح، وهو الذي فيه بياض وسواد، ثم ما كان أحسن لونًا فهو أفضل، والذكر كالأنثى، (وقيل: هو أفضل)[٥]، وقدم في الفصول هي أفضل. قاله في الفروع، وسواء أراد قُربة أو بعضهم لحمًا نص عليه؛ لأن القيمة إقرار نص عليه. قال في الفروع: وتجزئ ليلا نص عليه، وعنه لا؛ اختاره الخلال، وأنه رواية الجماعة والخرقي وغيره.

قال الشيخ سراج الدين ابن الملقن[٦]: حديث النهي عن الذبح بالليل؛ رواه الطبراني في أكبر معاجمه من رواية ابن عباس أن النبي ﷺ نهى أن يضحى ليلًا، وإسناده ضعيف؛ بسبب سليمان الخبائري المتروك

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك): «البيضاء».

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٥/ ١٥)

(٤) رواه البيهقي (١٨٨٧٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢٤٧٧)، وقال: ويرفع بعضهم ولا يصح. وبنحوه مرفوعا رواه أحمد (٩٣٩٣)، والحاكم (٧٥٤٣) وفي سندهما أبي ثفال قال الهيثمي (٥٩٤٣): فيه أبو ثفال قال البخاري: فيه نظر. انتهى واسم أبي ثفال ثمامة بن وائل بن حصين. قال ابن حجر في التقريب: مقبول.

(٥) مثبت من (ق).

(٦) «البدر المنير» (٩/ ٣١٠) والحديث في «المعجم الكبير» (١١/ ١٩٠) قال الهيثمي (٥٩٨٠): فيه سليمان بن سلمة الخبائري؛ متروك

الكذاب، وجهالة آخر معه (وتبدى)[١] بلفظ من رواية عطاء بن يسار مرسلًا بسند واهٍ.

مسألة: ولا يجزئ إلا الجذع من الضأن، وهو ما له ستة أشهر، ودخل في السابع. قال أبو القاسم: وسمعت أبي يقول: سألت بعض أهل البادية كيف تعرفون الضأن إذا أجذع؟ قال: لا تزال الصوفة قائمة على ظهره ما دام حملًا؛ فإذا نامت الصوفة على ظهره؛ علم أنه قد أجذع، ويجزئ الثُني من غيره، وثني الإبل؛ ما كمل خمس سنين، ومن البقر ما له سنتان، ومن المعز ما له سنة، وبه قال أحمد ومالك والليث، والشافعي وأبو عبيد وأبو ثور وأصحاب الرأي. وقال ابن عمر والزهري: لا يجزئ الجذع؛ لأنه لا يجزئ من غير الضأن فلا يجزئ منه كالجمل.

وعن عطاء والأوزاعي قالا: يجزئ الجذع من جميع الأجناس؛ لما روى مجاشع بن سليم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الجذع يوفي ما يوفي هذا الثُني**» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة[٢]، ولأنه يجزئ من بعض الأجناس فأجزأ من غيرها كالثني، والدليل على إجزاء الجذع من الضأن حديث مجاشع وأبي هريرة وغيرهما، والدليل على أن الجذع من غيرها لا يجزئ قول رسول الله ﷺ: «**لا تذبحوا إلا مُسنة فإن عسر عليكم؛ فاذبحوا الجذع من الضأن**»[٣].

---

(١) كذا في (ق، ك) ولعل صوابها «وروي».

(٢) أبو داود (٢٧٩٩)، والنسائي (٤٣٨٣)، وابن ماجة (٣١٤٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٤٢٨).

(٣) من حديث جابر رواه مسلم (١٩٦٣).

وقال أبو بردة ابن نيار للنبي ﷺ: عندي جذعة أحب إليَّ من شاتين فهل تجزئ (عني)[١] ؟ قال: «**نعم، ولا تجزئ عن أحد بعدك**» متفق عليه[٢]، وحديث مجاشع محمول على الجذع من الضأن لما ذكرنا. وقال إبراهيم الحربي: إنما يجزئ الجذع من الضأن؛ لأنه ينزو فيلقح فإذا كان من المعز لا يلقح حتى يكون ثنيًا.

مسألة: ولا تجزئ الأضحية بالعوراء البيِّن عورها، والمريضة التي لا يرجى برؤها، والعضباء التي ذهب (أكثر)[٣] أذنها أو قرنها؛ لأن هذه العيوب الأربعة لا يعلم بين الأئمة خلافًا في أنها تمنع الإجزاء، وذلك لما روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «**أربع لا تجوز في الأضاحي: العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين عرجها، والعجفاء التي لا تنقي**» رواه أبو داود والنسائي والترمذي[٤].

ومعنى العوراء البين عورها؛ هي التي قد انخسفت عينها وذهبت لأنها قد ذهبت عينها والعضو مستطاب؛ فإن كان على عينها بياض ولم تذهب جازت التضحية بها؛ لأن عورها ليس ببين ولا ينقص ذلك لحمها، والعجفاء؛ الضعيفة المهزولة التي لا تنقي، وهي التي لا مخ في عظامها

---

(١) في (ك): «غيره».

(٢) من حديث البراء بن عازب البخاري (٩١٢)، ومسلم (١٩٦١).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) من حديث البراء بن عازب رواه أبو داود (٢٨٠٢)، والنسائي (٤٣٧١)، والترمذي (١٤٩٧) وقال: حسن صحيح.

لهزالها والنقي هو المخ، وأما العرجاء البين عرجها؛ هي التي عرجها فاحش، وذلك يمنع من الإلحاق بالغنم فتسبقها الغنم إلى المرعى والكلأ فترعاه ولا تدركهن؛ فينقص لحمها؛ فإن كان عرجًا يسيرًا لا يفضي بها إلى ذلك أجزأت.

وأما العضب فهو ذهاب أكثر الأذن أو القرن كما تقدم، وذلك يمنع الإجزاء أيضًا وبه قال النخعي وأبو يوسف ومحمد وهو مذهب الإمام أحمد. وقال أبو حنيفة والشافعي: تجزئ مكسورة القرن، وقال مالك: إن كان قرنها يدمي لم يجز وإلا جاز، وقال عطاء ومالك: إذا ذهبت الأذن كلها لم يجز، وإن ذهب يسير جاز، واحتجوا بأن قول النبي ﷺ: «**أربع لا تجوز (في الأضاحي)**[١]» يدل على أن غيره يجزئ.

وفي حديث البراء عن عبيد بن فيروز قال: قلت (للبراء)[٢]: فإني أكره النقص من القرن ومن الذنب، فقال: أكره لنفسك ما شئت، وإياك أن تضيق على الناس. ولأن المقصود اللحم ولا يؤثر ذلك فيه.

واحتج المانعون بما روي عن علي رضي الله عنه قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن نضحي بأعضب الأذن (والقرن)**[٣]». قال قتادة: فسألت سعيد بن المسيب فقال: نعم، العضب النصف فأكثر من ذلك، رواه النسائي وابن ماجة[٤]. وعن علي رضي الله عنه قال: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف**

---

(١) مثبت من (ق) والحديث تقدم تخريجه قريبا.

(٢) مثبت من (ق). (٣) مثبت من (ق).

(٤) النسائي (٤٣٧٧)، وابن ماجة (٣١٤٥)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة (٦٧٨).

العين والأذن» رواه أبو داود والنسائي[(١)]، وهذا منطوق يقدم على المفهوم.

ويجزئ التضحية بالخصي؛ لأن النبي ﷺ ضحى بكبشين موجوئين[(٢)] والوجاء؛ هو رض الخصيتين وما قلعت خصيتاه أو سلتتا فهو كالموجوء؛ لأنه في معناه، وتجزئ الجماء التي ليس لها قرن، والصماء وهي الصغيرة الأذن والبتراء التي لا ذنب لها سواء كان خلقة أو مقطوعة، وذلك لأن هذا النقص لا ينقص اللحم ولا يخل بالمقصود ولم يرد به نهي؛ فوجب أنه يجزئ. وتكره المشقوقة الأذن والمثقوبة وما قطع شيء منها لما روى عن علي رضي الله عنه قال: **«أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن، ولا نضحي (بمقابلة)[(٣)] ولا بمدابرة ولا خرقاء ولا شرقاء»**.

قال: قال زهير: قلت لأبي إسحاق ما المقابلة؟ قال: يقطع طرف الأذن، قلت: فما المدابرة؟ قال: يقطع مؤخرة الأذن، قلت: فما الخرقاء؟ قال: تشق الأذن، قلت: فما الشرقاء؟ قال: تُشق أذنها للسمة. رواه أبو داود والنسائي.

---

(١) أبو داود (٢٨٠٤)، والترمذي (١٤٩٨)، والنسائي (٤٣٧٢)، وابن ماجة (٣١٤٣) قال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) من حديث عن عائشة وأبي هريرة رواه الحاكم (٧٥٤٧)، وسكت عليه هو والذهبي. ومن حديث جابر رواه أبو يعلى (١٧٩٢) قال حسين سليم: إسناده حسن.

(٣) مثبت من (ق).

قال القاضي: الخرقاء التي انثقبت أذنها، قال في «المغني»[1]: وهذا النهي نهي تنزيه لا تحريم، ويحصل الإجزاء بها لا نعلم فيه خلافًا، ولأن اشتراط السلامة من ذلك يشق إذ لا يكاد يوجد سالم من هذا كله.

وروى الإمام (أحمد)[2] وأبو داود، والبخاري[3] في «تاريخه» بالسند عن يزيد ذي مصر قال: أتيت عتبة بن عبد السلمي فقلت: يا أبا الوليد إني خرجت ألتمس الضحايا؛ فلم أجد شيئًا أو سنًّا تعجبني غير ثرماء فما تقول ألا تجزئني أضحي بها؟ قال: سبحان الله تجوز عنك ولا تجوز عني، فقال: نعم إنك تشك ولا أشك، إنما نهى رسول الله ﷺ عن المصفّرة، والمستأصلة، والبخقاء، والمشيعة، والكسراء. والثرم سقوط الثنية والمصفرة المستأصلة أذنها قطعًا سميت بذلك؛ لأن صماخها صفر أي خلا من الأذن (والصماخ ثقب الأذن)[4]، والمستأصلة قرنها من أصله، والبخقاء بالباء الموحدة والخاء المعجمة؛ هي العوراء، والبخق العور. والمشيعة التي لا تتبع الغنم عجفًا وضعفًا والكسراء التي تُنقي والله أعلم.

مسألة[5]: ولا يجوز في الأضحية غير بهيمة الأنعام، وإن كان أحد

---

(١) «المغني» (١١/ ١١٠).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) أحمد (١٧٦٨٩)، وأبو داود (٢٨٠٣)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣٢٠٥) قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٤) مثبت من (ق).

(٥) «المغني» لابن قدامة (١١/ ١٠٠).

أبويه وحشيًا لم يجزئ أيضًا، وحكي عن الحسن بن صالح أن بقرة الوحش تجزئ عن سبعة، والظبي عن واحد. وقال أصحاب الرأي: ولد البقرة الإنسية يجزئ وإن كان أبوه وحشيًا. وقال أبو ثور: إذا كان منسوبًا إلى بهيمة الأنعام، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٨]؛ وهي الإبل والبقر والغنم، وهذه مسائل علم يحتاج إليها المضحي، ومن يسأل عنها ويدين الله؛ فيغنيه النظر فيها عن كثير من الكتب المختصرة، التي لا توجد هذه المسائل فيها مُسطَّرة، ويكفي هذا القدر هنا، ومن طلب المزيد على ذلك نظره في مواضعه، وتلمحه بمطالعة مطالعه.

فصل

وإذا علم العبد أن الأضحية بهذا الفضل الكبير؛ هان عليه ما بذل من ماله القليل والكثير؛ لينال الفوز والربح الوافر، ويتقرب إلى الله تعالى بذلك في الباطن والظاهر فهو العالم بالنيات وما في الضمائر، والمجازي لعباده على هذه المتاجر؛ بما أخفى لهم من قرة أعين للناظر، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر مثله في الخاطر؛ فقم أيها العبد وثابر، واغتنم هذا الموسم ببذلك الفاني للباقي، واصبر وصابر؛ لتجوز وتفوز وتشاهد، وأنت شاهد للجمال الفاخر، ويكشف لك الحجاب عن وجهه، ويتجلى لك في الجنة ذات القصور العوامر، ويجلس القوم على كثبان المسك وأعلى المنابر.

عباد الله، هذا موسم الضحايا؛ لتكفير الذنوب والخطايا، والفوز بهذه العطايا، وله هذا الفضل العظيم، والجود الوافر العميم، والإحسان من الرب الكريم؛ ليفوز المطيع منا بجنات النعيم، وهذه أيام التشريق؛ فشارك واغتنم رفقة خير الفريق، وتشبه بهم فالقوم نعم الرفيق؛ فلعلك أن تعتق من نار الحريق، وتدخل الجنة وتشرب من الرحيق ختامه مسك، وهو للطائعين يليق.

فصل في أيام التشريق

وما ورد فيها من الحث على ذكر الله والمحبة له والتشويق

قال الله تعالى: ﴿ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ يعني بالذكر والتكبير أدبار الصلوات، وعند الجمرات؛ يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات، ويستحب ذلك من أول العشر إلى آخر أيام التشريق كما تقدم وقوله ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣] يعني أيام التشريق، وهي أيام منى الثلاث بعد يوم الأضحى.

وروى الدارقطني[١] عن أنس: أن النبي ﷺ نهى عن صوم خمسة أيام من السنة؛ يوم الفطر ويوم الأضحى، وثلاثة أيام التشريق. ذكره

---

(١) الدراقطني (٢/ ٢١٢) قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٤/ ٣٥٢): في إسناده محمد ابن خالد الطحان؛ ضعيف.أ هـ ورواه أبو يعلى (٢٩١٣) والحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (٣٤٨) وفي سندهما يزيد الرقاشي زاهد ضعيف كما قال ابن حجر في التقريب (٧٦٨٣).

أبو البركات ابن تيمية في «المنتقى»، وأما الأيام المعلومات فهي أيام العشر، وعليه أكثر العلماء يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] . قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر، وجعلها معدودة لقلتها في أيام عمرك كقوله تعالى في شهر رمضان أيامًا معدودات؛ لقلتها من بين الشهور، وكما قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، وقيل: إنما سميت معدودة؛ لأنها تعد من أيام الحج فيفرغ فيها مما عليه من أفعال الحج من رمي الجمار والبيتوتة بمزدلفة. وقال الزجاج: تستعمل المعدودات في اللغة للشيء القليل؛ فسميت بذلك لأنها ثلاثة أيام، فالأيام المعدودات؛ أيام التشريق، والذكر المأمور به فيها التكبير.

وسبب أمر الله تعالى المسلمين بالذكر في هذه الآية، والتي قبلها قوله ﷻ: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] على ما ذكر المفسرون، أن العرب كانت إذا فرغوا من حجهم وقفوا عند البيت، وذكروا مآثر آبائهم ومفاخرهم؛ فكان الرجل يقول: إن أبي كان يقري الضيف، ويطعم الطعام، وينحر الجزور، ويفك العاني، ويجز النواصي ويفعل كذا وكذا، يتفاخرون بذلك، ويقول الآخر: اللهم إن أبي كان عظيم القُبة، عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه؛ فأمرهم الله ﷻ بذكره، فقال: فاذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم (وبآبائكم)[1] وأحسنت إليكم وإليهم.

---

(١) مثبت من (ق).

وقال ابن عباس وعطاء والربيع والضحاك: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وهو قول الصبي في (أول ما يفقه، ويفصح الكلام)[١]: أبه أمه. وعن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء قال: قلت لابن عباس أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وقد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر أباه فقال ابن عباس: ليس كذلك، ولكن أن تغضب لله ﷻ إذا عُصي أشد من غضبك لوالديك إذا شُتما.

وقال مقاتل ﴿أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أي أكثر ذكرًا.

وفي «الموطأ» و«سنن أبي داود»[٢] واللفظ له عن أبي مرة مولى أم هانئ أنه دخل مع عبد الله بن عمرو على أبيه عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ فقرب إليهما طعامًا فقال: كُلْ، قال: إني صائم، فقال عمرو: كُلْ؛ فهذه الأيام التي كان رسول الله ﷺ يأمرنا بإفطارها، وينهى عن صيامها. قال مالك: وهي أيام التشريق.

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث نَبيشة الهُذَلي أن رسول الله ﷺ قال: «**أيام منى؛ أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى**» رواه البخاري أيضًا.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) لم أجده في «الموطأ»، ورواه أبو داود (٢٤١٨)، وأحمد (١٧٨٠٣) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) مسلم (١١٤١) ولم أجد الحديث عند البخاري من حديث نبيشة الهذلي، والبخاري لا يروي له في الصحيح مطلقا.

وفي رواية: أن النبي ﷺ بعث أيام منى مناديًا ينادي؛ لا تصوموا في هذه الأيام؛ فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله[١] وفي رواية للإمام أحمد[٢]: «**من كان صائمًا فليفطر؛ فإنها أيام أكل وشرب**».

وفي «صحيح مسلم»، و«مسند الإمام أحمد»[٣] عن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ بعثه، وأوس بن الحدثان فناديا: «**أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأيام منى أيام أكل وشرب**». قال في «المغني»[٤]: وروي عن عبد الله بن حذافة قال: بعثني رسول الله ﷺ أيام منى أنادي؛ أيها الناس إنها أيام أكل وشرب وبعال. إلا أنه من رواية الواقدي وهو ضعيف. قال في «المجمل»: والبعال؛ ملاعبة الرجل أهله.

قال في «المغني»[٥]: ولا يحل صيامها تطوعًا في قول أكثر أهل العلم، وعن ابن الزبير أنه كان يصومها، ورُوي نحو ذلك عن ابن عمر والأسود بن يزيد، وعن أبي طلحة أنه كان لا يفطر إلا يومي العيدين، والظاهر أن هؤلاء لم يبلغهم نهي (النبي)[٦] ﷺ عن صيامها، ولو بلغهم

---

(١) من حديث عمرو بن خالدة الزرقي عن أمه رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٨٠٩).

(٢) رواه أحمد (٣٩/ ٤٥٢) ط الرسالة. قال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(٣) أحمد (١٥٨٣١)، ومسلم (١١٤٢).

(٤) «المغني» (٣/ ١٠٣) والحديث رواه الدراقطني (٢/ ٢١٢) وفي سنده الواقدي؛ علامة في المغازي متروك في الحديث.

(٥) «المغني» (٣/ ١٠٣).

(٦) مثبت من (ق).

لم يعْدُوه إلى غيره، وأما صومها للفرض ففيه روايتان:

إحداهما: لا يجوز لأنه منهي عن صومها؛ فأشبهت يومي العيدين.

والثانية: يصح صومها للفرض؛ لما روي عن ابن عمر وعائشة أنهما قالا: لم يُرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي. أي المتمتع إذا عدم الهدي أن يضحي[١]. قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم[٢]: لا يصح صومها بحال، وهو أظهر القولين في مذهب الشافعي، وبه قال أبو حنيفة وابن المنذر وغيرهما.

وقال جماعة من العلماء: يجوز صيامها لكل أحد تطوعًا وغيره؛ حكاه ابن المنذر عن الزبير بن العوام وابن عمر، وابن سيرين.

وقال مالك والأوزاعي وإسحاق والشافعي في أحد قوليه: يجوز صيامها للمتمتع إذا لم يجد الهدي، ولا يجوز لغيره.

وأيام التشريق؛ هي ثلاثة أيام بعد يوم النحر[٣] كما تقدم؛ هذا قول ابن عمر وأكثر العلماء، (وقال ابن سيرين: لا يجوز إلا في يوم النحر خاصة؛ لأنها وظيفة عيد)[٤]، لا يجوز إلا في يوم واحد كأداء الفطرة يوم الفطر. وقال سعيد بن جبير وجابر بن زيد كقول ابن سيرين في أهل الأمصار، وكقولنا في أهل منى، وعن أبي سلمة ان عبد الرحمن، وعطاء

---

(١) تقدم تخريجه قريبا.

(٢) شرح مسلم للنووي (٨/ ١٧).

(٣) بعدها في النسختين «وهي» والسياق بغيرها أليق.

(٤) مثبت من (ق).

ابن يسار تجوز التضحية إلى هلال المحرم.

وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: كان الرجل من المسلمين يشتري أضحية فيسمنها حتى يكون آخر ذي الحجة فيضحي بها، رواه الإمام أحمد في «مسنده»(١) وهذا الحديث عجيب، ورُوي عن ابن عباس وعطاء: أنها أربعة أيام؛ يوم النحر وثلاثة أيام بعده، والأول أظهر.

ومن الذكر المأمور به المشروع؛ التسمية والتكبير عند ذبح النسك؛ فإن وقت ذبح الهدايا والأضاحي يمتد إلى آخر أيام التشريق عند جماعة من العلماء، وهو رواية عن أحمد رحمه الله فيه، وبه قال الشافعي وأكثر الصحابة على أن الذبح يختص بيومين من أيام التشريق مع يوم النحر، وهو المشهور عن أحمد ومالك، وأبي حنيفة والأكثرين.

قال العلامة ابن قدامة في «العمدة»(٢): ووقت الذبح يوم العيد بعد صلاة العيد أو قدره إلى آخر يومين من أيام التشريق، وهذا بخلاف التكبير؛ فإنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق كما تقدم.

ومن الذكر المأمور به؛ ذكر الله تعالى على الأكل والشرب؛ فإن

---

(١) لم أقف عليه في مسند أحمد في طبعاته المختلفة ولا في الكتب الخادمة له مثل؛ مجمع الزوائد وغاية المقصد وإطراف المُسْنِد المعتَلِي بأطراف المسنَد الحنبلي، وذكره ابن قدامة في «المغني» (١١/ ١١٣): رواه الإمام أحمد بإسناده وقال: هذا حديث عجيب.

(٢) العمدة (١/ ٢٠٦).

المشروع في الأكل والشرب أن يسمى الله تعالى في أوله، ويحمده في آخره، وشكر الله على نعمه، وخصوصًا نعمة الأكل من لحوم بهيمة الأنعام في أيام التشريق وغيرها.

وهاهنا لطيفة، وهي أن تعلم أن الله تعالى قد أباح ذبح هذه البهائم المطيعة لله الذاكرة له لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وذلك إكرامًا لعباده المؤمنين حتى تتقوى بها أبدانهم، وتكمل لذاتهم في أكلهم اللحوم؛ فإنه من أجل الأغذية وألذها، مع أن الأبدان تقوم بغير اللحم من النباتات وغيرها، ولكن لا تكمل القوة والعقل واللذة إلا باللحم؛ فأباحها الله تعالى لبني آدم لتكون عونًا لهم على علوم نافعة، وأعمال صالحة يمتاز بها بنو آدم على البهائم، (وفي المسند مرفوعًا «رب بهيمة خير من راكبها)[1] وأكثر منه ذكرًا»[2].

وعن ابن عباس، أن الفرس يقول -إذا التقى الصفان-: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، قال الله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، ويُروى عن كعب الأحبار عن سليمان عليه السلام أنه قال: أتدرون ما تقول هذه العصافير في تجاويبها فيما بينها قبل طلوع الشمس؟ قالوا: لا، قال: فإنها تقدس ربها، وتسأله قوت يومها.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) من حديث معاذ بن أنس رواه أحمد (١٥٦٦٧) قال الهيثمي (١٧١٥٦): إسناده حسن.

وقد ذكرت من تسبيح المخلوقات، ما يسر الخاطر في كتاب «معادن الجواهر»؛ فمن طلب المزيد على هذا نظر هناك، والقصد هنا الاعتراف بشكر من أنعم علينا هذه النعم، وعمَّنا بالجود والكرم؛ فأين شكر نعمة هذا المنعم عليك، وحمد ما سبق وسيق من فضله إليك فأنت يا ابن آدم قوام الوجود؛ لأنه لأجلك أوجد، ومن أجلك كُوّن، ولولا نبينا محمد ﷺ ما كنا ولا خلقنا؛ فبه حصل هذا التكريم من سابق الزمان القديم[(١)] ؛ فانظر بعين الاعتبار ما حصل لك ببركة النبي المختار عليه من الله السلام والتحية والإكرام.

قال الله تعالى -في ذكر ما أعد في الوجود لأجلك-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]؛ فالحبوب لقُوتك، واللحوم لقُوَّتك، والفواكه لفاكهتك، (واختلاف صبائغ أصباغ الألوان لنزاهتك، والمياه لريك)[(٢)]، والأشجار لظلك، والبنيان لكُنّك، والنهار لمعاشك، والليل لطيب فراشك، والثياب لرياشك، ونسيم الهواء (لانتعاشك)[(٣)]، وضياء الجو والفضاء لتصرفاتك ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ

(١) هذا الكلام فيه نظر؛ فإن الله ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والنبي هو الذي علمنا ألا نُطريَّه ونغالي فيه ونجاوز الحد في مدحه فقال -بأبي هو وأمي ناهيًا عن ذلك ومحذرًا منه-: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» رواه البخاري (٣٢٦١).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ك): «لراحتك».

ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]؛ فوالله لو قمنا له بالعبادة والطاعة مع عدد الأنفاس ما وفَّينا بشكر نعمه علينا بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال الله تعالى: (﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨])[١]، وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦] ؛ فالحذر الحذر من الغفلة عن الله تعالى، فمن كان غافلًا عن الله تعالى فالبهيم خير منه؛ إذا عصى الله تعالى وخالف أمره، وارتكب الفواحش (اللهم عافنا من ذلك)[٢] .

شعر في المعنى:

تُسر بما يفنى وتغتر بالمنى
كما سُرَّ باللذات في النوم حالمُ
نهارُك يا مغرور سهو وغفلةٌ
(وليلك)[٣] نومٌ والردى لك لازمُ
وتتعب فيما سوف تكره غِبَّه
كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

---

(١) مثبت من (ق).
(٢) مثبت من (ق).
(٣) في (ك): «ونومك».

فصل في سر النهي عن صوم أيام التشريق كما في الحديث السابق

ولأنها أعياد المسلمين مع يوم النحر؛ فلا تصام بمنى، ولا غيرها عند جمهور العلماء خلافًا لعطاء بقوله: إن النهي مختص بأهل منى، وإنما نهى عن التطوع بصيامها سواء وافق عادة أو لم يوافق، وفي النهي عن صيام هذه الأيام، والأمر بالأكل فيها سر حسن؛ وهو أن الله تعالى لما علم ما يلاقي العبد إلى بيته من مشاق السفر، وتعب الإحرام، وجهاد النفوس على قضاء المناسك؛ شرع لهم الاستراحة عقيب ذلك بالإقامة بمنى يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وأمرهم بالأكل فيها من لحوم نسكهم؛ فهم في ضيافة الله تعالى لطفًا من الله بهم، ورأفة ورحمة.

ويشاركهم أيضًا أهل الأمصار في ذلك؛ لأنهم شاركوهم في حصول المغفرة، والنصب لله، والاجتهاد في عشر ذي الحجة بالصوم، والذكر، والاجتهاد في العبادات، وفي التقرب إلى الله تعالى بإراقة دم الأضاحي فشاركوهم جميعًا في أعيادهم، واشترك الجميع في الراحة في أيام الأعياد بالأكل والشرب، كما اشتركوا جميعًا في أيام العشر في الاجتهاد في الطاعة والنصب، وصار المسلمون كلهم في ضيافة الله تعالى في هذه الأيام يأكلون من رزقه، ويشكرونه على فضله ونُهوا عن صيامها؛ لأن الكريم لا يليق به أن يجيع أضيافه؛ فكأنه قيل للمؤمنين في هذه الأيام: قد فرغ عملكم الذي عملتموه؛

فما بقي لكم غير الراحة فهذه الراحة بذلك التعب.

كما روي أنه قيل لذي النون المصري رَحِمَهُ اللَّهُ: لم سمِّي الموقف بالمشعر ولم يسم بالحرم؟ فقال: لأن الكعبة بيته والحرم حجابه، والمشعر بابه؛ فلما قصده الوافدون؛ أوقفهم بالباب الأول يتضرعون إليه، ثم أوقفهم بالحجاب الثاني، وهو المزدلفة؛ فلما نظر إلى تضرعهم؛ أمرهم بتقريب قربانهم؛ فلما قربوه وتطهروا من الذنوب أمرهم بالزيارة على الطهارة فقيل له: لم كره الصيام في أيام التشريق؟ فقال: لأن القوم زوار الله، وفي ضيافته، ولا ينبغي للضيف أن يصوم عند من أضافه فقيل له: يا أبا الفيض ما معنى تعلق الرجل بأستار الكعبة؟ قال: مثله كمثل رجل بينه وبين صاحبِ جناية؛ فهو يتعلق بذيل رجال يشفعون له أن يهب له جرمه؛ فهذه أيام ضيافتهم في (الدنيا)[1]، والجنة دار ضيافتهم في الآخرة.

كما في «صحيح البخاري»[2] في باب خاتم النبيين عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: **«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كرجل بنى دارًا (فأكملها)**[3] **وأحسنها إلا موضع لبنة؛ فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة»** وهكذا (رواه)[4] أبو هريرة عن النبي ﷺ.

---

(١) في (ك): «الجنة».

(٢) البخاري (٣٣٤١).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) في (ق): «في حديث».

وفيه[١] أيضًا في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من حديث جابر بن عبد الله قال: «**جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلًا؛ مثله كمثل رجل بنى دارًا، وجعل فيها (مأدبة)[٢] وبعث داعيًا؛ فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من (المأدبة)[٣]، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من (المأدبة)[٤]؛ فالدار الجنة، والداعي محمد؛ فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس**». مختصر منه.

وفي الترمذي[٥] عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلًا، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك؛ إنما مثلك (ومثل أمتك)[٦] كمثل ملك (اتخذ)[٧] دارًا، ثم بنى فيها بيتًا وجعل فيها (مأدبة)[٨]، ثم بعث رسولًا يدعو الناس إلى**

---

(١) البخاري (٦٨٥٢).

(٢) في (ق): «مائدة».

(٣) في (ق): «المائدة».

(٤) في (ق): «المائدة».

(٥) الترمذي (٢٨٦٠) وقال: هذا حديث مرسل؛ فيه سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر ابن عبد الله.

(٦) مثبت من (ق).

(٧) في (ك): «نجز».

(٨) في (ق): «مائدة».

طعامه منهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه؛ فالله هو الملك، والدار هي الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول (الله)[١]؛ فمن أجابك دخل في الإسلام، ومن دخل في الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها». وفي رواية «**من لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة**»[٢].

طوبى لمن أجاب دعوة مولاه ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١].

شعر:

يا نفسُ ويحك قد أتاكي هواكي
سيري فداعي الحق قد ناداكي
كم قد دُعيت إلى الرشاد فتُعرضي
وأجبت داعي الغيِّ حين دعاكي

ولهذا قيل في أوصاف العارفين: أبدانهم في الدنيا، وقلوبهم في الجنة كما قال بعضهم:

جسمي معي غير أن الروح عندكم
فالجسم في غربة والروح في (وطن)[٣]

أعياد الناس تنقضي، وأما أعياد العارفين فدائمة.

رُوي عن بعضهم أنه جاء إلى بعض العارفين فقال: أريد أن أكلمك

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) البخاري (٦٨٥٢).

(٣) في (ك): «تعب».

قال: اليوم لنا عيد فتركه، ثم جاءه يومًا آخر فقال له: مثل ذلك، (ثم يومًا آخر فقال له مثل ذلك)[١]، فقال له: ما أكثر أعيادك فقال: يا بطال أما علمت أن كل يوم لا تعصي الله تعالى فيه؛ فهو عيد.

أوقات العارفين كلها فرح وسرور، ومناجاة مولاهم وذكره؛ فهي أعياده كما قيل شعر:

أوقات ذكرك كلها أعياد
وجفاك عنا يُفتتُ الأكبادُ

يا من سبى كل الأنام جماله
فسواه ما للعالمين مرادُ

من نال أُنسك نال كل شفائه
وعليل هجرك ما له عُوّادُ

أبعدت من أشقيتَه وإلى الرضا
أدنيت عبدًا حظه الإسعادُ

كل الأنام عبيد ملكك إنما
ما يستوي العاصون والعبَّاد

مع أن كلا منهم أماله
من فيض فضلك دائمًا ترداد

وإليك قد قطع الرواحل إنس
لم تلهها مالٌ ولا أولادُ

---

(١) مثبت من (ق).

أَلِفوا الظمأ متى يحلو اللقا
روِيت بقربك منهم الأكباد
فإذا مننت عليهم لا تَنسنا
فلباب جودك كلنا قصادُ

فالمؤمن يعيش على الذكر، وعليه يموت وعليه يبعث. وقال ذو النون رحمه الله: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا الآخرة إلا بعفوه، ولا الجنة إلا برؤيته.

كما قيل شعر:

بذكر الله ترتاح القلوبُ
ودنيانا بذكراه تطيبُ
فيا بُشرى لمن يدنو إليه
ويرفع حجابه عنه الحبيبُ
وينظره عيانا قد تجلى
وطاب العيش وانجلت القلوبُ

اللهم نعِّمنا بقربك، ومتِّعنا بحبك، واجعل رضاك عنّا أعيادنا، ولا تشغلنا عنك بأهلنا وأولادنا، وأعطنا في الدارين مطلوبنا ومرادنا، واقطع عمن سواك ودادنا، واحفظ اللهم اعتقادنا، وارْوِ من حوض نبينا ﷺ أكبادنا، (اللهم صلي على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين)[1]، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا أرحم الراحمين.

---

(١) مثبت من (ق).

المجلس الخامس والعشرون

في وداع السنة

الحمد لله القويِّ القديم المتين الجبار، فلا يحتاج إلى وزير ومعين، الإله المعبود في كل وقت وحين، القديم الكبير رب العالمين، السميع فلا يعزب عن سمعه صوت المدنف[1] إذا أخذ في الأنين، البصير فلا يخفى على بصره جري الماء في العود، وحركات الجنين، مسير الشمس والقمر يتعاقبان لعلم عدد السنين، المحذر من يوم نصب الصراط ووضع الموازين، الرحيم الرءوف هو يجبر القلب الحزين، الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين؛ أحمده على توفير نعمٍ تترى، وأشكره إذ جعل مع العسر يسرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة أرجوا بها ثوابًا وأجرًا، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله؛ أرسله زاهدًا في الدنيا راغبًا في الأخرى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأزواجه وأشياعه إلى يوم الحسرة الكبرى وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، واختم عامنا هذا بغفران الخطايا والذنوب، واستر علينا ما أسلفنا من القبائح والعيوب، وتمِّم لنا كل مراد من الخير وكل مطلوب، وأعمر باليقين منا دوائر القلوب، وفرّج عنا جميع الكروب؛ فأنت الرب وكل منا عبد مربوب، وانفعني ومن حضر

---

(١) هو المريض المتعب. «المصباح المنير» (١/ ٢٠١).

بما قد يسرت من الأقوال، وتقبل مني ومنهم صالح الأعمال، ووفقنا في كل الخصال برحمتك يا كريم يا متعال برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل

عباد الله، إن هذا العام قد آن وداعه، وتعجل إلى الرحيل إسراعه، راحلٌ عنكم بما قد أودعتموه من أعمالكم، وشاهدٌ عليكم غدًا بأقوالكم وأفعالكم، فأيُّكم أصلح بالتقوى أيامه؟ وباين فيه أوزاره وآثامه، وأدرك بتحقيق الاجتهاد تمامه، وبادر انتهابه للخير واغتنامه، أين من أوقاته محروسة عن غير الأكدار؟ وأين هاجر المعاصي بعد الإمكان والاقتدار؟ وأين حافظ الأيام المعدودة في هذه الدار؟ وأين المجتهد في مراضي مولاه؟ فيا قوم البدار.

اسمع يا مفرطًا، وماضي عامه قد بقي القليل منه؛ اجتهد في زمنه الباقي واحرسه وصنه، وتحفظ في بقية ساعاته قولًا وفعلًا؛ فما تدري أترى هلال العام المقبل أم لا؟

فصل

العاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه؛ فإن بغته الموت رُؤي مستعدًا، وإن نال الأمل ازداد خيرًا.

من أحب تصفية الأحوال؛ فليجتهد في تصفية الأعمال. من علامة كمال العقل؛ علو الهمم، والراضي بالدُون دني. شعر:

ولـم أر فـي عـيـوب الـنـاس شيـئًـا
كـنـقـص الـقـادريـن عـلـى الـتـمـام
بـقـدر الـجـد تُـكـتـسـب الـمـعـالـي
ومـن طـلـب الـعـلا سـهـر الـلـيـالـي
تـروم الـخـلـد ثـم تـنـام لـيـلًا
يـغـوصُ الـبـحـر مـن طـلـب الـلآلـي

كم من متأخر سبق، ومتقدم تأخر فلم يلحق؛ فالسعيد من اغتنم أيام حياته قبل موافاة وفاته؛ فإنه لا يدري ما يحدث في المستقبل. كما قيل بيت:

إن الـلـيـالـي والأيـام حـامـلـة
ولـيـس يـعـلـم غـيـر الله مـا تـلـد

قال الله تعالى(: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤])(١).

وقد قيل: من قبَّل فم اللذة عضته أسنان الندامة، ما نال الكرامة إلا من قال للكرى مه والكري النعاس، ومن غرس كاس النعاس كاس؛ فمن استدعى النوم والغفلة، فما حصَّل زادًا للنقلة، ومن طرد عنه الكرى شد المئزر في جنح الليل وسرى، ومن نفى عنه النعاس كاس، وقد قيل: ما نِيل سعود بقعود، ولا راحة براحة ولا حلاوة إلا بمرارة. شعر:

(١) باقي الآيات مثبت من (ق).

تهون علينا في المعالي نفوسنا

ومن يخطب (الحسناء)[١] لم يغله المهرُ

فأين أنتم يا خطاب الجنة، ويا أصحاب الأنفس المطمئنة ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

شعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويعظم في عين الصغير صغارها

ويصغر في عين العظيم العظائم

الصغير الهمة يرى اليسير من العمل كثيرا، والكبير الهمة يرى الكبير منه يسيرا

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] معناها: يخافون أن لا يُقبل منهم ذلك، كما في صحيح البخاري[٢] عن ابن مسعود؛ إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا يعني أطاره فطار ما عنده خوف من ذلك، ولا جزع ولا يبالي.

ويستحب للعبد أن يختم عامه بتوبة واجتهاد، ويستفتح بمثل ذلك

---

(١) في (ك): «العلياء».

(٢) البخاري (٥٩٤٩).

العام المقبل بحسن (الارتياد)[١]، وقد رُوي في كتاب «الترغيب والترهيب» عن ابن عباس رضي الله عنهما استحباب صوم آخر يوم من السنة، وذكر ابن الجوزي رحمه الله في كتاب «النور»[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صام آخر يوم من ذي الحجة، وأول يوم من المحرم؛ فقد ختم السنة الماضية بصوم، وافتتح السنة المقبلة بصوم؛ جعله الله كفارة خمسين سنة**» قال في «الترغيب والترهيب»: ويجوز العمل في الفضائل بالحديث الضعيف؛ لاحتمال صحته، وقد تقدم ذلك، والصوم في الحقيقة أجره كثير.

ورأيت في آخر كتاب (المناسك)[٣] له: رُوي عن عبد الرحمن بن حبيب بن بسطام أنه قال: بلغني أنه من قال في آخر يوم من ذي الحجة: اللهم ما عملت من عمل في هذه السنة مما نهيتني عنه ولم ترضه ولم تفشه، وحلمت عني بعد قدرتك على عقوبتي، ودعوتني إلى التوبة بعد جرآتي على معصيتك، اللهم إني استغفرك منها فاغفرها لي، وما عملت فيها مما ترضاه، ووعدتني عليه الثواب؛ فتقبله مني، ولا تقطع رجائي منك يا كريم. إلا غفر الله له ما كان فيها مما ندم منه، وتقبَّل عمله، وضاعف له ثوابها ويقول الشيطان: واويلتاه تعبنا السنة حتى أجمع (هذه الذنوب)[٤] يهدمها في ساعة؛ فاجتهدوا فيما بقي، وقد تقدم (في أول

---

(١) في (ك): «الازدياد».

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) في (ق): «الناسك بعد قضاء المناسك».

(٤) مثبت من (ق).

الكتاب)[١] ما روي عن عبد الرحمن بن بسطام المذكور في دعاء أول السنة في فضائل شهر الله المحرم في محله، وموضعه من هذا الكتاب المبارك.

فصل

واعلموا -وفقنا الله وإياكم أجمعين وجميع المسلمين-؛ أن الأعمال بخواتيمها فالسعيد من بادر الأوقات، واغتنم فرصة المُهلة في هذه الأيام والساعات، فكل ما هو آتٍ آت، وقد منّ الله تعالى على جماعة من التوابين بحسن الأعمال، قبل دنوا الآجال، (﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وعطاؤه واسع وإحسانه قديم)[٢]، منهم جماعة ذكرهم العلامة ابن قدامة في كتاب التوابين، ولو تتبع هذا (لكان)[٣] لا يُحصى كثرة، وضاق هذا الكتاب عنه، ولكن أذكر هاهنا نبذًا يسيرة تكون إلى ما ضاهاها، (وشابهها)[٤] مشيرة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «الحدائق»: قالت رابعة العدوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لسفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنما أنت (في)[٥] أيام معدودة؛ فإن ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل، وأنت تعلم فاعمل.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ك): «الكتاب».

(٤) في (ق): «شاكلها».

(٥) مثبت من (ك).

وكان أبو بكر ابن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إن أحدهم لو سقط منه درهم لظل يومه يقول: إنا (لله)[١]، ذهب درهمي، وهو يذهب يومه، ولا يقول ذهب يومي ما عملت فيه.

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد قال: حدثنا أبي عن العلاء بن زياد قال: ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم يقول: يا أيها الناس إني يوم جديد، وأنا على ما يعمل فيَّ شهيد، وإني لو (آبت)[٢] شمسي لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة.

(قال ابن أبي الدنيا في كتاب «العمر والشيب» قال سفيان الثوري: من لعب بعمره ضيع أيام حرثه، ومن ضيع أيام حرثه؛ ندم أيام حصاده.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قيل يا رسول الله من خير الناس؟ قال: «**من طال عمره، وحسن عمله**» قيل: فأي الناس شر؟ قال: «**من طال عمره وساء عمله، وضيق شره ولم يرج خيره)**[٣]»[٤].

قال أبو العتاهية:

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ق): «قد غبت».

(٣) مثبت من (ق).

(٤) حديث أبي بكرة رواه رواه الطبراني في الصغير(٨١٨) و«الأوسط» (٥٤٤٩) والحاكم في «المستدرك» (١٢٥٦) قال الهيثمي (١٧٥٤٨): إسناده جيد.
وليس في روايته: «وضيق شره ولم يرج خيره» ولكنها فقرة من حديث طويل لابن عباس رواه عبد بن حميد (٦٧٥).

ألا نحن في دار قليل بقاؤها
سريع تعديها وشيك فناؤها
تزود من الدنيا التقى والنُّهى فقد
تنكرت الدنيا وحان انقضاؤها
غدا تخرب الدنيا ويذهب أهلها
جميعا وتطوي أرضها وسماؤها
ترق من الدنيا إلى أي غاية
سموت إليها فالمنايا ورادها
ومن كلفته النفس فوق كفافها
فما ينقضي حتى الممات عناؤها

قال أنشدني إسماعيل بن عبد الله العجلي:

لهفي على عمرٍ ضيعت أوله
وعال آخره الأسقام والهرم
كم أقرع السن بعد الفوت من ندم
وأين يبلغ قرع السن والندم
لا تأهبت حين العمر مقتبل
والنفس في حدة والعزم مجتذم

قال في «المجمل»: الإجذام؛ بالذال المعجمة هو سرعة السير؛ لأنه يقول والنفس في حدة، يعني: الصبا، والعزم سريع السير والقوى.

وروي ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللهُ في كتاب الوجل والتوثيق بالعمل عن مطرف رَحِمَهُ اللهُ أنه كان يقول: يا أخوتاه اجتهدوا في العمل؛ فإن يكن الأمر كما ترجون من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات، وأن يكن الأمر شديد

كما نخاف ونحاذر، لم نقل ربنا ارجعنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل، نقول: قد عملنا فلم يكن ينفعنا ذلك، وقال في كتاب العمر قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ لجلسائه: يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد قال: يا معشر الشباب؛ فإن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يبلغ قال: وأنشدني بعضهم:

ألا فمهد لنفسك قبل موت
فإن الشيب تمهيد الحِمام
وقد جد الرحيل فكن مجدًا
لحظ الرجل في دار المقام

وكان يزيد بن معاوية النخعي يقول: يا أيها الناس؛ إن الدنيا جعلت قليلا، ولم يبق منها إلا قليل من قليل.

وعن عمر بن ذر رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قرأت كتاب سعيد بن جبير إلى أبي: يا أبا عمر كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة.

عن مالك بن ضيغم قال: ما سمعت أبي ينشد بيتًا من الشعر إلا هذه الأبيات:

قل للمؤمل والمنايا شرع
ماذا يغرك يا ابن من لم يخلد
يا ابن الذين تقطعت أوصالهم
ترجوا البقاء وأنت غير مُخلَّدِ
وأبوك قبلك كان يأمل ما ترى
حتى أتته منيةٌ لم تردِ

وقال أبو العتاهية رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك:

يا نفس أين أبي وأين أبو أبي
وأبوه عدي لا أبالك فاحسب

عدي فإني نظرت فلم أجد
بيني وبين أبيك آدم من أبِ

أفأنتِ ترجين السلامة بعدهم
مهلًا هديت لسمت وجه المطلبِ

قد مات ما بين الجنين إلى
الرضيع إلى الفطيم الأشيبِ

فإلى متى هذا أراني لاعبًا
وأرى المنون إذا أتت لم تلعبِ

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الأيام والليالي» قال: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن رجل من قريش قال: كتب رجل إلى أخ له: أما بعد، فأحسن ضيافة يومك الذي أنت فيه، وزوده منك برا قبل شخوصه عنك، وأشفق من طلوع التنغيص عليك من بعض ساعاته، والسلام أنشدني الحسين بن عبد الرحمن للمغيرة بن حبناء:

يطاوعني[1] يوم جديد وليلة
هما أفنيا عُمري وكل فتى بالي

إذا ما سلخت الشهر أهللت مثله
كفى مبليا سلخ الشهور وإهلالي

---

(١) كذا في الأصل والذي في المطبوع من كتاب «كلام الأيام والليالي» لابن أبي الدنيا (١/ ٣٩) «يطارحني».

ورُوي عن الحسن قال: الدنيا ثلاثة أيام؛ أما أمس فقد ذهب بما فيه، وأما غدًا فلعلك لا تدركه، واليوم لك فاعمل بما فيه.

حدثني محمد بن قدامة الجوهري، حدثنا سعيد بن محمد الثقفي قال: سمعت القاسم بن غزوان يذكر قال: كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم
وكيف يطيق النوم حيران هائم؟
فلو كنت يقظان الغداة لخرقت
مدامع عينيك الدموع السواجم
بل أصبحت في اليوم الطويل وقد دنت
إليك أمور مفظعات عظائم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتشغل بالمنى
كما غر باللذات في الليل حالم
و تشغل فيما سوف تكره غيهض
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وروي عن الحسن البصري أيضًا قال: إنما الدنيا ثلاثة أيام مضى أمس بما فيه، وغدًا لعلك لا تدركه؛ فانظر ما أنت عامل في يومك.

وعن الحسن أيضًا رحمه الله قال: يا ابن آدم لا تحمل همَّ سنة على يوم كفى يومك بما فيه؛ فإن تكن السنة من عمرك يأتيك الله فيها برزقك، وإن لا تكن من عمرك فأراك تطلب ما ليس لك.

قال: زعم محمد بن الحسين قال: حدثني سعيد بن مسلم الحنفي حدثني أبو مسلم بن سعيد قال: كنا جلوسًا في مجلس من مجالس أبي حنيفة فمر بنا أعرابي كهيئة المهموم فسلم فانطلق، ثم أقبل علينا فقال: يا معشر العرب، قد سئمت من تكرار الليالي والأيام ودورها عليّ، ثم أقبل علينا فهل من شيء يدفع عني سأمي ذلك أو يسليني عني بعض ما أجد من ذلك، ثم ولى غير بعيد فقال: واهًا لقلوب نقية من الآثام، واهًا لجوارح مسارعة إلى طاعة الرحمن، أولئك الذين لم يَملوا الدنيا بتوسلهم منها بالطاعة إلى ربهم، ولم يكرهوا الموت إذا نزل بهم بما يرجون من البركة من تلقاء سيرهم، وكلا الحالين لهم حال حسنة إن قدموا على الآخرة قدموا على ما قدَّموا من القُربة، وإن تطاولت بهم المدة قدموا ليوم الرحلة، قال: فما سمعت موعظة أشد إسكانة في القلوب منها؛ ما ذكرتها إلا هانت عليّ الدنيا وما فيها. قال سليمان بن يزيد العدوي شعر:

ويحدو الجديدان الجديد إلى البلى
وكم من جديد قد أباد وبددا
وكم أبلينا من جدة وبشاشة
وعمر طويل أفنياه وبددا
كم كدرا من لذة وغضارة
وكم فجعا إلفا بإلف وأفردا

وكم أحدثا من عَبرة بعد حبرة
بكى مكاوي حرة لن تبردا
وكم من جديد صيَّراه إلى البلى
ومن ذي شباب صيراه مفندا
وكم من عظيم الملك أشرس باذخ
تعاوره العصران حتى تبلدا
وكم عامر لم يبق فيهن ساكن
ولاقى خراب الدهر ما كان شيدا
وكم قصدا من مترف ذي مهابة
وساقا إلى حوض المنايا فاوردا
فأمسى ذليلًا خده متعفرًا
وزايل ملكًا لا يرام وسؤددا
وكم آمن قد روعاه بفجيعة
وأمر عجيب قرباه وأبعدا
يكران تترى بالمواعظ فيهما
وما نفعا إلا الرشيد المسددا
فكل امرئ يومًا سيجرى بفعله
وكل موفًى زاده ما تزودا

وروى[1] بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «ما طلعت شمس قط إلا

---

(١) من حديث أبي الدرداء مرفوعا رواه أحمد (٢١٧٦٩) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل خليد العصري. قال الهيثمي (٤٦٧٦): رجاله رجال الصحيح. أ هـ وصححه الحاكم (٣٦٦٢) وأقره الذهبي.

بجنبتيها ملكان يناديان -إنهما ليسمعان من على وجه الأرض غير الثقلين-: يا أيها الناس؛ هلموا إلى ربكم، إنما قال وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، وما غربت شمس قط إلا وبجنبتيها ملكان يناديان -وأنهما ليسمعان من على وجه الأرض غير الثقلين-: اللهم أعط لمنفقٍ خلفًا، وعجِّل لممسكٍ تلفا» .قال أبو عوانة ﵁ رواية رفع بعض أصحابنا. وعن أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ: «ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة إلا ولله ﷿ فيها صدقة؛ يمن بها على من يشاء من عباده، وما منّ الله على عبد بمثل أن يُلْهمه ذكره»[1].

وبه حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا ابن زياد الطائي قال: حدثنا المحاربي عن بدر بن عثمان عن الحويرث نصر العامري عن شهر بن حوشب قال: ما مضى يوم من الدنيا إلا يقول عند مضيه: أيها الناس أنا الذي قدمت عليكم جديدًا، وقد حان مني تصرم؛ فلا يستطيع محسن أن يزداد فيَّ إحسانه، ولا يستطيع مسيء إن أساء يستعتب فيَّ من إساءة، والحمد لله الذي لم يجعلني اليوم العقيم. ثم يذهب قال بدر: ويقول مثل ذلك.

وأنشد محمود الوراق شعر:

مضى أمسك الماضي عليك[2] معدلا

وأعقبه يوم عليك جديد

---

(١) جزء من حديث ابن عمر رواه البزار (٣٨٩٠) قال الهيثمي (٣٤١٨): فيه حسين بن عطاء ضعفه أبو حاتم وغيره وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ ويدلس.

(٢) بعده في كثير من المصادر «شهيدا» وانظر المدهش لابن الجوزي (١/ ٤٨١).

فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة
فثن بإحسان وأنت حميد
فيومك إذا اغتنمته عاد نفعه
عليك وماضي الأمس ليس يعود
ولا تدع فعل الخير منك إلى غد
لعل غدًا يأتي وأنت فقيد

قال: وأنشدني الحسين بن عبد الرحمن قال: أنشدني رجل من قريش:

يختلف الليل والنهار على
عمرٍ قصيرٍ موفَّر الأملِ
ما جددا أبليا وما رفعا
حطا وما طاولاهُ لم يطلِ

حكاية: عن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان حبر من الأحبار؛ دائبًا في العبادة قليل الغفلة فأتاه رجل فقال له: كيف نشاطك؟ قال: إني لأكثر ذكر الموت؛ لا يفتر ذكره ساعة من نفسي حتى أني لأضع قدمي على درجتي فما أظن أني أرفعها حتى أموت، وأرفعها فما أظن أني أضعها حتى أموت، قال له الرجل: فأي الليل والنهار تصلي؟ فقال الحبر: ما ظننت أن عبدًا سمع بالجنة والنار، فتأتي عليه ساعة من ليل أو نهار لا يصلي فيها، قال: وهكذا يكون الاستعداد، لمن أيقن بالمعاد، وعلم أن ما عنده آيل إلى نفاد، وما عند الله باق، وهو غاية المراد.

واعلم أيها السالك المتجنب طرق المهالك، أن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أراد عبدًا

بخير هيأ له الأسباب، ويسر عليه الصعاب؛ فأدناه من الوقوف بالباب، ورفع عن قلبه الحجاب، اللهم اكشف حجاب الغفلة عن قلوبنا ووفقنا لنيل مطلوبنا.

كما حُكي عن بعض الصالحين، أنه حصل له ضيق شديد؛ فرأى النبي ﷺ في المنام فقال له: يا فلان؛ لا تغتم ولا تحزن إن كان غدًا ادخل على علي بن عيسى وزير الخليفة؛ فأقرئه مني السلام وقل له: بعلامة أنك صليت عليّ عند قبري أربعة آلاف مرة، يدفع لك مائة دينار عينا فلما أصبح ذهب إليه وقص هذه الرؤيا عليه؛ فاغرورقت عينا علي بن عيسى بالدموع، وقال صدق الله ورسوله وصدقت أنت يا رجل، هذا شيء ما كان علم به إلا الله ورسوله يا غلام؛ هات الكيس فأحضره بين يديه فأخرج منه ثلاثمائة دينار وقال: هذه المائة التي قال رسول الله ﷺ، وهذه مائة أخرى بشارة، وهذه مائة أخرى هدية لك؛ فخرج الرجل من عنده، ومعه ثلاثمائة دينار، وقد زال عنه همه وغمه وحزنه.

ومنَّ الله تعالى على الوزير المذكور؛ فترك الوزارة وعلو الرئاسة، وظلم السلطان (وعظمة)[1] الجبابرة، وذهب إلى مكة وجاور بها ببركة ذكر النبي ﷺ له، وتخصيصه بإرسال ذلك الرجل إليه؛ لما سبق له في علم الله تعالى (بما يؤول)[2] أمره إليه من الخير وحسن الخاتمة، وهذا الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن؛ وزير المقتدر بالله

---

(١) في (ق): «غلظ».

(٢) في (ك): «مما يدل».

والقاهر بالله، وكان صدوقًا ديّنا عفيفًا في ولايته، محمودًا في وزارته كثير البر والمعروف، وقراءة القرآن والصلاة والصيام، معروفًا بالبر والصيانة والديانة والصلاح، ذكره الخطيب البغدادي وابن عساكر وغيرهما، مات في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى (وكان يحب أهل العلم ومجالستهم ومذاكرتهم، ومات يوم الجمعة رَحِمَهُ اللَّهُ)[١].

فاجتهد أيها العبد في ساعات سنتك الباقية، وليكن التيقظ والتحفظ من آفات سنتك (الوافية)[٢]، واعتبر بمن باشرته أكف المرض، وقد بات في عافية، فأزالت نعمته وكدرت عيشته الصافية؛ إنما الأيام معدودة (والسلامة)[٣] عواري مردودة.

أين لذة فرحك بعد ترحك؟ وأين سرور مرحك بعد مجترحك؟ أين من أسخط مولاه بنيل ما يهواه؟ أين من أفنى عمره في خطاياه؛ فتذكر أنت أيها الغافل مصارعهم، وانظر مواضعهم هل نفعهم رفيق رافقوه أو منعهم؟ أما خلوا بخلالهم، أما انفردوا بأعمالهم، فستصير في مصيرهم؛ فتدبر أمرك، وستسكن في مثل مساكنهم فأعمر قبرك.

يا مسرورًا بمنزله الرحب الأنيق ستفارقه، يا مشمئزًّا من التراب ستعانقه، (يا ناسيًا رحيل وقد حث سائقه)[٤]، اعتبر بمن سبقك فإنما بعض الخلق سابقه.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ق): «لواقية».

(٣) في (ك): «والساعة».

(٤) مثبت من (ق).

شعر:

ألا أيها الباكي على الميت بعده
رويدك لا تعجل فإنك لاحقه
رويدك لا تنس المقابر والبِلى
وطعم حبس الموت الذي أنت ذائقه
أرى صاحب الدنيا مقيمًا بجهله
على ثقة من صاحب لا يوافقه
هي الدار دار يُستذل عزيزها
وإن كان ذا جيش عظيم سرادقه

يا من أفاق في النفاق، وما أفاق من سُكْر الشقاق، يا من قد أحدقت به في حدائق لهوه من المنون محدقات الأحداق، هذه سنة قد تقضت بالسِنة أيامها، وشهور ذهب بالغرور انتظامها، وأوقات فاتك يا غافل اغتنامها، وساعات في غير طاعات تعجل انصرامها؛ فحاسب نفسك هل قمت فيها بما وجب عليك؟ وشكرت إحسان الله الواصل كل وقت وساعة إليك، أم كنت فيها مشغولًا باللهو واللعب؛ معرضًا عما لله عليك من الحقوق ويجب.

فحسابك لها اليوم يخفف عنك الحساب غدًا، وتوبتك تَجُبُّ ما قبلها من الذنوب الموقعة في الردى؛ فقد دعاك مولاك إلى سبيل الهدى، وقال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] فماذا يقعدك عن رفقة الصالحين؟ وهل ترضى لنفسك يا مسكين أن تقعد في مقام الجهال المعتدين؟ أما علمت أنك

غدًا كما تدين تدان، يا من دأبه المعاصي يُسِرها ويُبدي، وزمانه ينقضي بما لا يُفيد ولا يُجدي، أترى إذا ناداك الموت فبماذا نفسك تفدي؟؛ اشتغل في خلاص نفسك لا تقل ما لي وعندي.

شعر:

رأيتك في النقصان مذ أنت في المهدِ
تُقربك الأيام من ساعة اللحدِ
أتطمع أن يشجى لفقدك فاقدِ
لعل سرور الفاقدين مع الفقدِ

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، واغفر لنا خطايًا قد اجتمعت على طول الزمان، ولا تسلبنا حلاوة الإيمان، وارزقنا في ختام عامنا هذا العفو والغفران، وكفِّر عنا ما سلف فيه من الذنوب والعصيان، برحمتك يا رحيم يا رحمان، يا قديم الإحسان، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين (يا ذا الجلال والإكرام توفنا على الإسلام)[1].

---

(١) مثبت من (ق).

المجلس السادس والعشرون

في فضل يوم الجمعة أحد أعياد المسلمين، ويوم حج المساكين

الحمد لله الملك الحق المبين، الرحيم الرءوف المعين، القدير القوي المتين، الفاطر الباري أحسن الخالقين؛ خلق آدم من سلالة من طين؛ فكمّل خلقه في يوم الجمعة، وجعله عيد المسلمين، وجعل بعد ذلك نسله من سلالة من ماء مهين، واصطفى من ذريته الأولياء والنبيين، واختار من جميع الخلائق أجمعين محمدًا سيد الأولين والآخرين، ورفع أمته على سائر الأمم والمخلوقين، وشرَّفهم بيوم الجمعة على العالمين، وجعله بفضله ورحمته حج المساكين؛ أحمده على أوقات شريفة مُنحناها، وفضائل منيفة أعطاناها، وأشكره على نعم لا نقوم بشكر أدناها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ إله حرك الأقدام إلى طاعته واستسعاها.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ أرسله والشيطان قد اغتال النفوس وأغواها؛ فنسخ نور هداه ظلمات الضلال ومحاها صلى الله عليه صلاة يحبها ويرضاها، وعلى آله وأصحابه، وأزواجه وأتباعه؛ ما محت دبور صباها وسلم تسليمًا كثيرًا. اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وبارك لنا في أيامنا وجُدْ علينا بمحو آثامنا، وسهل محجة الصراط لأقدامنا، وألهمنا الإخلاص في أفعالنا والصدق في كلامنا،

وانفعني ومن حضر؛ فأنت النافع، واجعلنا ممن يبادر إلى مراضيك ويسارع، برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل

عباد الله؛ إن الله ﷻ شرَّفكم بيوم الجمعة فعظموه، وكرّمكم به فكرّموه، واختصكم به من بين سائر الأمم، وادخره لكم كما قدر وحكم، وكمل خلق أبيكم آدم فيه في آخر ساعة، وفيه تقوم (القيامة و)[1] الساعة، وهو يوم المزيد للمؤمنين يشاهدون فيه وينظرون رب العالمين، وكذلك المشاهدة في أيام أعيادهم، وبعض المؤمنين يعطيهم فوق ذلك غاية مرادهم؛ حتى إن منهم من يزوره في اليوم مرتين ويشاهده، وتقر بذلك منه العين، فيافوز من نال من ربه رضاه، وشاهد نور وجهه وأعطاه ما تمنَّاه، اللهم لا تحرمنا ذلك يا رب العالمين.

وقد كانت العرب العاربة يسمون يوم الجمعة عروبة، والسبت (شبارة)[2] والأحد أول، والاثنين أهون، والثلاثاء جبار، والأربعاء دبار، والخميس مؤنس، وأول من سمي عروبة الجمعة كعب بن لؤي، وأهل الجنة يسمونه يوم المزيد؛ لنيل مؤمِّلهم من الله تعالى غاية ما يريد.

وأنشد بعض شعراء الجاهلية في هذه الأيام وأسمائها شعر:

أؤمــل أن أعـــيش وأنَّ يــومــي
بــأول أو بــأهــون أو جــبــار

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك): «شفار» ولعل الصواب «شبار».

التــالــي دبــار فــإن أفُــتْــه
فــمــؤنــس أو عــروبــة أو شــبــار
ولا يبقى على الجدثان شخص
ستطوينا الليالي والنهار

وهذه الأبيات كذا قرأتها، وسمعتها بهذا اللفظ على سيدنا وشيخنا جمال الدين ابن المحاسن يوسف بن خطيب المنصورية الشافعي بحماة المحروسة رحمه الله تعالى، وذكرها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (وقيل: فعيَّن في شعره هذا أسماء هذه الأيام، وخاف موافاة الحمام، هذا وهو في الجاهلية، فأنتم أحق بهذا الاهتمام، يا أهل الإسلام)[١].

في تسميته بيوم الجمعة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه فيه جمع آدم عليه السلام كما رُوي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أتدري ما الجمعة؟**» قلت: لا، قال: «**فيه جمع أبوك**»[٢] -يعني تمام خلق آدم عليه السلام- في يوم الجمعة.

وفي كتاب «العرش»[٣] لأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة في صفة خلق آدم عليه السلام قال: حدثنا محمد بن بكار، وأبو معشر عن نافع مولى لآل الزبير، عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أراد الله أن يخلق آدم؛ بعث ملكًا من الملائكة من حملة

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٣٧)، و«الأوسط» (٨٢١). قال الهيثمي (٣٠٦٠): رجاله ثقات. أهـ وصححه الحاكم (١٠٢٨) وأقره الذهبي.

(٣) «العرش» (٣٧).

العرش إلى الأرض؛ فلما أهوى بيده ليأخذ منها قالت له الأرض: أسألك بالذي أرسلك؛ أن لا تأخذ مني اليوم شيئًا يكون للنار فيه نصيب غدًا، قال: فتركها فلما رجع إلى ربه قال: ما منعك أن لا تأتني بما أمرتك؟ فقال: يا رب سألتني بك أن لا آخذ منها شيء يكون للنار غدًا فيه نصيب فأعظمت أن أرد شيئًا سألني بك.

قال: ثم أرسل آخر من حملة العرش؛ فلما أهوى ليأخذ منها قالت له ما قالت للأول فتركها، ثم رجع إلى ربه فقالت له مثل ما قال للأول حتى أرسل حملة العرش كلهم كل ذلك يقول مثل ذلك؛ فيرجعون إلى ربهم فيقول مثل ذلك. قال: حتى أرسل ملك الموت؛ فلما أهوى ليأخذ منها شيء قالت له الأرض: أسألك بالذي أرسلك أن لا تأخذ مني اليوم شيئًا يكون للنار فيه نصيب غدًا، فقال ملك الموت: إن الذي أرسلني إليك أحق بالطاعة منك.

قال سبط ابن الجوزي: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض؛ فجاء بَنوه على قدر ذلك، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك**»[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**» انفرد بإخراجه مسلم[2]، وبهذا

---

(١) من حديث أبي موسى رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥) وقال: حسن صحيح.

(٢) تقدم تخريجه صـ ٦٨٣ .

سمي يوم الجمعة لجمع آدم فيه.

الثاني: أنه سُمِّي بذلك لاجتماع الناس لصلاة الجمعة فيه.

والقول الثالث: سُمَّي بذلك لأنه اليوم الذي فرغ فيه من خلق الأشياء وسمى كعب بن لؤي عروبة الجمعة؛ لاجتماع قريش إليه فيه. وقيل: إن أول من سماه الجمعة الأنصار ﷺ قاله ابن سيرين؛ وذلك أنهم قالوا: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك؛ فهلموا نجعل لنا يوم نجتمع فيه نذكر الله تعالى فيه ونصلي فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى؛ فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكَّرهم؛ فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه، وذبح لهم شاة واحدة لقلتهم فتغدوا منها وتعشوا؛ فأنزل الله تعالى في ذلك آية الجمعة كما سيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على فضلها وخصائصها وأحكامها بعد.

وفي الجمعة ثلاث لغات؛ ضم الجيم والميم، وهي قراءة (الجماعة)[1]، وضم الجيم مع إسكان الميم، وبها قرأ السلمي وأبو رجاء وعكرمة والزهري، وابن أبي ليلى وابن أبي عبلة والأعمش، وضم الجيم مع فتح الميم، وبها قرأ أبو مجلز وأبو العالية والنخعي، وفتح الميم معناه الذي يجمع الناس كما تقول، رجل لعنة إذا كان يكثر اللعن أي: لعنة الناس، وضحكة الذي يكثر الضحك.

وقيل: سمي الجمعة؛ لاجتماع قالب آدم وروحه بعد أن كان ملقى

---

(١) في (ق): «الجمهور».

أربعين سنة. وقيل: لاجتماع آدم وحواء عليهما السلام لما خلقها الله تعالى من ضلع آدم عليه السلام. وقيل: لاجتماع آدم وحواء بعد الفرقة الطويلة بعد نزولهما من الجنة فيه. وقيل: لأنه تقوم فيه القيامة، وهو يوم الجمع كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩] ؛ فهذه سبعة أقوال بالأقوال الثلاثة السابقة، وقد تقدم أنه فيه ينتهي أمر الدنيا فتزول وتقوم الساعة فيه، وفيه أدخل آدم عليه السلام الجنة وفيه أخرج منها.

وقد جاء أنه هو يوم موت الصالحين فيه، وفيه قبض آدم عليه السلام، وفيه قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفيه ضرب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، إلا أنه مات ليلة الأحد، وفيه قتل الحسين بن علي رضي الله عنه، وفيه توفي العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وفيه مات ابن سيرين واسمه محمد بن سيرين وهو أحد علماء البصرة، وكان له اليد الطولى في تفسير الرؤيا.

وسيأتي في فضيلة يوم الجمعة ما روي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ؛ وقاه الله فتاني القبر**»(١)، وعن جابر عن النبي ﷺ قال: «**من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة؛ أجير من عذاب الله عز وجل يوم القيامة، وطبع عليه طابع الشهداء**»(٢). وفيه مات إمامنا أحمد بن حنبل، وفيه

---

(١) رواه أحمد (٦٦٤٦)، والترمذي (١٠٧٤) وقال: حديث غريب ليس إسناده بمتصل. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. والذي في المصدرين «فتنة القبر».

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٥) وقال: غريب من حديث جابر، ومحمد تفرد به عمر بن موسى وهو مدني فيه لين. والذي في الحلية: «أجير من عذاب القبر».

توفي الحسن البصري ليلة الجمعة، وفيه توفي أبا القاسم الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه توفي الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وروى ابن الجوزي في «الحدائق» عن الإمام أحمد[1] بسنده عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة وليلة الجمعة؛ إلا وقاه الله فتنة القبر»** إسناده متصل.

وروى الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول»[2] عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات يوم الجمعة؛ وقاه الله فتنة القبر»** وأخرجه أبو نعيم الحافظ[3] من حديث محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة؛ أجير من عذاب القبر، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء»**.

حكاية في فضل صلاة الجمعة: يُحكى أن رجلًا من سمرقند تاب إلى الله تعالى، وكان يزوره العلماء والأمراء والأكابر فقيل له: بما بلغت هذه المنزلة؟ فقال: كنت أسمع أنه من كان في أوامر الله تعالى؛ كفاه الله أمر دينه ودنياه، فلما كان في بعض الأيام حملت حنطة إلى الرحى فلما وضعت الحنطة على الحمار هرب مني وجاءني جار لي فقال: إن النوبة لك في الماء؛ فإن سقيت أرضك وإلا فاتك الماء في هذه السنة، وكانت ليلة الجمعة، فقلت: أصلي الجمعة وأؤدي فرضي، وأترك هذا كله والله

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا والذي فيه عن ابن عمرو.

(٢) «نوادر الأصول» (٤/ ١٦١)

(٣) تقدم تخريجه قريبا

تعالى ينظر في أمري؛ فصليت الجمعة ورجعت، وإذا الحنطة قد طحنت والخبز مخبوز، والأرض قد سُقيت.

فقال: كان جارنا قد ذهب إلى الرحى فطحن جولقنا[١]، وهو يظن أنه جولقه؛ فلما حمله إلى داره عرفته زوجته فأخذته وخبزته، وأما الحمار فإنه ذهب إلى الصحراء؛ فقصدته الذئاب فهرب منها إلى القرية، ودخل مربطه سالمًا، وأما الأرض فجاء إليها من أرض جارنا الماء فرويت. قال: فلما رأيت ذلك الحال كذلك قلت: ما أصدق ما قال من كان لله تعالى كان الله تعالى له، ومن أصلح لله تعالى أمرًا أصلح الله أموره، يا رب صلاة الجمعة قد حافظت عليها؛ فأصلحت أموري كلها بحفظي لها فكيف إذا حافظت على فرائضك كلها؟؛ فتركت الدنيا وأقبلت على خدمة المولى فهكذا كل من أقبل على الله تعالى أقبل الله تعالى عليه، ومن أعرض عن الله أعرض عنه.

وروي أن «**الجمعة حج المساكين**»[٢] .

(وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عما يروونه يوم الجمعة حج المساكين)[٣]، فأجاب الحمد لله هذا مأثور معناه من عجز عن الحج فذهابه إلى المسجد يوم الجمعة كالحج، ليس معناه سؤال الناس لهم،

---

(١) الجولق: وعاء من الأوعية معروف مُعَرَّبٌ. «لسان العرب»، مادة جلق.

(٢) تقدم تخريجه وبعدها في النسختين «الترمذي وقال: هذا حديث غريب، وليس إسناده بمتصل»، وأظنها من أخطاء النساخ فالكلام لا علاقة له بالحديث السابق له، والحديث لم يخرجه أحد من الستة.

(٣) مثبت من (ق).

وروى ابن الجوزي في كتاب «النور»[١] بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى ليس بتارك أحدًا من المسلمين يوم الجمعة إلا غفر له»**.

قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في الأوسط مرفوعًا بإسناد حسن قال الشيخ: وروى الشيخ عبد القادر رحمه الله في «الغنية»[٢] أخبرنا أبو نصر عن النبي ﷺ قال: **«إن لله تعالى ستمائة ألف عتيق من النار في كل يوم ويوم الجمعة أربعة وعشرون ساعة في كل ساعة ستمائة ألف عتيق من النار»**.

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة»**[٣] انتهى وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في فضائله بعد، ذكره ابن الجوزي)[٤].

---

(١) الطبراني في «الأوسط» (٤٨١٧). قال الهيثمي (٢٩٩٨): رجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني. اهـ واسمه عبد الملك بن يحيى بن بكير. قال الألباني في الضعيفة (١٢/ ٤٦٧): لم أعرفه أ هـ قال الشيخ نايف بن صلاح في تراجم شيوخ الطبراني روى عن أبيه وعنه الطبراني في معاجمه وعلي بن عامر مات سنة سبع وتسعين ومائتين. انظر ترجمته في تاريخ الإسلام (٢٢/ ١٩٨) والضعيفة (١٢/ ٤٦٧).

(٢) من حديث أنس رواه محمد بن عبد الله الأصبهاني في مجلس في رؤية الله (٥٩٧) وهو عند أبي يعلى (٣٤٨٤) قال الهيثمي (٣٠٠٨): رواه أبو يعلى من رواية عبد الصمد بن أبي خداش عن أم عوام البصري ولم أجد من ترجمهما.

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

(٤) مثبت من (ق).

وثبت في «الصحيحين»[١] عن النبي ﷺ أنه قال: **«نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم؛ فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع؛ اليهود غدًا، والنصارى بعد غد»**، وفي «صحيح مسلم»[٢] عن أبي هريرة (وحذيفة)[٣] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أضل الله من كان قبلنا عن الجمعة، وكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى (يوم الأحد)[٤]؛ فجاء الله بنا فهدانا للجمعة؛ فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخِرون من أهل الدنيا، الأوّلون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق»**.

وفي «المسند»، و«السنن»[٥] من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة؛ فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ»** قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت -يعني بليت-؟ قال: **«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**، ورواه الحاكم وابن حبان في «صحيحهما».

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٨٣٦)، مسلم (٨٥٥).

(٢) مسلم (٨٥٦).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) في (ك): «بعد غد».

(٥) أحمد (١٦٢٠٧)، أبو داود (١٥٣١)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجة (١٦٣٦)، وصححه الحاكم (١٠٢٩)، وابن حبان (٩١٠).

وفي «جامع الترمذي»[(١)] من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**»، قال: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم.

وفي «صحيحه»[(٢)] أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا: «**سيد الأيام يوم الجمعة**» وروى مالك في «الموطأ»[(٣)] عن أبي يوم هريرة: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أُهبط منها وفيه تيب عليه، وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي (مصيخة)[(٤)] يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس؛ شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم، وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه. قال كعب: ذلك في كل سنة يوم فقلت: بل كل جمعة؛ فقرأ التوراة فقال صدق رسول الله ﷺ.

قال أبو هريرة: ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب فقال: قد علمت أية ساعة هي. قلت: فأخبرني بها قال: هي آخر ساعة في يوم الجمعة فقلت: كيف وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يصادفها مسلم وهو يصلي**» وتلك الساعة لا يصلى فيها؟ فقال ابن سلام: ألم يقل

---

(١) الترمذي (٤٨٨)، والحاكم (٣٩٩٩).

(٢) الحاكم (١٠٢٦) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(٣) «الموطأ» (٢٤١) والمثبت هو الموافق لما في «الموطأ».

(٤) في (ك): «مصخية».

رسول الله ﷺ: «من جلس مجلسًا ينتظر الصلاة؛ فهو في صلاة حتى يصلي».

وقوله: مصيخة أي مستمعة مقبلة على ذلك، وقيل: مستمعة مشفقة؛ كذا فسره الحافظ المنذري في حواشي سنن أبي داود. وفي «مسند الشافعي»[١] رحمه الله من حديث أنس بن مالك قال: أتى جبرائيل النبي ﷺ بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء، فقال النبي ﷺ: «ما هذه؟» فقال: هذه الجمعة؛ فضلت بها أنت وأمتك، والناس لكم تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل وما يوم المزيد؟ فقال: إن ربك اتخذ في الفردوس واديًا أفيح فيه كثب من مسك؛ فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصديقون؛ فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله تعالى: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي؛ فسلوني أعطكم فيقولون: ربنا نسألك رضوانك فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد؛ فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم من (الخير)[٢]، وهذا اليوم -يعني يوم الجمعة- هو الذي استوى فيه ربك تبارك وتعالى على العرش، وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة». انتهى.

---

(١) «مسند الشافعي» (٣٠٨) وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي؛ ضعيف.

(٢) في (ق): «الخيرة».

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «صفة الجنة»[١] حدثني أزهر بن صفوان الرقاشي أنبأنا عبد الله بن عداده الشيباني أنبأنا القاسم بن (الخطيب)[٢] عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريل وفي كفه مرآة كأحسن المرايا وأضوئها، وإذا في وسطها لمعة سوداء فقلت: ما هذه اللمعة التي أرى فيها؟ قال: هذه الجمعة، قلت: وما الجمعة؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم، وسأخبرك بشرفه وفضله في الدنيا، وما يرجى فيه لأهله، وأخبرك باسمه في الآخرة، وأما شرفه وفضله في الدنيا؛ فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق.**

«وأما ما يرجى فيه لأهله؛ فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسأل الله فيها خير إلا أعطاهما إياه، وأما شرفه وفضله في الآخرة واسمه؛ فإن الله تعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار؛ جرت عليهم هذه الأيام وهذه الليالي ليس فيها ليل ولا نهار؛ فاعلم الله تعالى مقدار ذلك وساعاته؛ فإذا كان يوم الجمعة حين يخرج أهل الجمعة إلى جمعتهم نادى منادٍ؛ يا أهل الجنة، اخرجوا إلى وادي المزيد؛ وادٍ لا يعلم سعة طوله وعرضه إلا الله فيه كثبان المسك رءوسها في السماء قال: فتخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت؛ فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم؛

---

(١) ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٢٣) والبزار كما في «كشف الأستار» (٣٥١٨) وفي سندهما القاسم بن المطيب. قال الهيثمي (١٨٧٧٢): القاسم بن مطيب؛ متروك. أ هـ وضعفه المنذري (٥٧٤٨).

(٢) كذا في النسختين ولعل الصواب المطيب كما في مصادر التخريج.

بعث الله عليهم ريحًا تدعى المثيرة تثير ذلك المسك، وتدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم؛ تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع لها كل طيب على وجه الأرض. قال: ثم يوحي الله تبارك وتعالى إلى حملة العرش ضعوه بين أظهرهم؛ فيكون أول ما يسمعون منه إليَّ يا عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، وصدقوا برسلي واتبعوا أمري؛ سلوا هذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة: رضينا ربنا عنك فارض عنا. فيرجع الله إليهم؛ أن يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم داري؛ فسلوني فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحد؛ ربنا أرنا وجهك فننظر إليه؛ فيكشف تلك الحجب؛ فيتجلى لهم ﷻ فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى أنهم لا يحرقون لاحترقوا لما يغشاهم من نوره، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم فيرجعون إلى منازلهم، وقد أعطى كل (واحد)[1] الضعف على ما كانوا فيه؛ فيرجعون إلى أزواجهم، وقد خفوا عليهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره، فإذا رجعوا (يزداد)[2] النور حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها فيقول لهم أزواجهم؛ لقد خرجتم من عندنا على صورة، ورجعتم على صورة (غيرها)[3] فيقولون عند ذلك: أن الله ﷻ تجلى لنا فنظرنا منه قال: إنه والله ما أحاط به خلق، ولكنه قد أراهم من عظمته وجلاله ما شاء أن يريهم، قال:

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ق): «يزاد».

(٣) مثبت من (ق).

فذلك قوله فنظرنا منه، قال: فهم يتقلبون في مسك الجنة ونعيمها في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه» قال رسول الله ﷺ: **«فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾»** [السجدة: ١٧].

ورواه أبو نعيم في «صفة الجنة»[١] من حديث عصمة بن محمد، أنبأنا موسى بن عقبة، عن أبي صالح عن أنس شبيهًا له.

وذكر أبو نعيم في «صفة الجنة» أيضًا من حديث المسعودي، عن المنهال، عن أبي عبيدة، عن عبد الله (كأنه ابن مسعود)[٢] قال: سارعوا إلى الجمعة في الدنيا؛ فإن الله تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة كل جمعة على كثيب من كافور أبيض؛ فيكونون منه في القُرب على قدر سرعتهم إلى الجمعة، ويحدث لهم من الكرامة شيئًا لم يكونوا رأوه قبل ذلك؛ فيرجعون إلى أهلهم وقد أحدث لهم.

وروى عن عبد الله بن مسعود أيضًا أنه قال: إن الناس يكونون في قربهم من الله يوم القيامة؛ على قدر بكورهم إلى يوم الجمعة[٣]. ورُوي أنه جاء يوم الجمعة إلى الجامع فوجد ثلاثة قد سبقوه، فجعل يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد قال: إن الناس يجلسون في قربهم إلى الله يوم القيامة؛ على قدر بكورهم إلى

---

(١) «صفة الجنة» لأبي نعيم (٣٩٥).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) يأتي تخريجه في الأثر بعده.

الجمعة. من «الترغيب والترهيب»[١] .

وكان من هدي النبي ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره، وقد تقدم في فضائل يوم عرفة أن الفقهاء اختلفوا هل يوم الجمعة أفضل أم يوم عرفة على قولين: وهما وجهان لأصحاب الشافعي -رحمه الله تعالى-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى المصرية»[٢]: من تعمد الصلاة في الدكاكين مع إمكانه الدخول إلى الجامع؛ فهؤلاء مخطئون مخالفون السنة. انتهى.

(وذكر)[٣] أن الله أمر بالسعي إليها، وأخبر رسول الله ﷺ أن الملائكة يقفون على أبواب المساجد يكتبون الأول فالأول، وهذا المتخلف لم يسمع ولم يحضر، ولا يسمع الخطبة، ولا أنصت إليها ولا كثّر سواد المسلمين؛ فإذا فعل ذلك عن قصد فقد ضيع حظه ونصيبه من أجر كثير.

---

(١) رواه ابن ماجة (١٠٩٤) قال البوصيري: في إسناده مقال؛ فيه عبد الحميد بن عبد العزيز، أخرج له مسلم في صحيحه مقرونا بغيره؛ وثقه الجمهور وأحمد وابن معين وداود والنسائي، ولينه أبو حاتم، وضعفه ابن أبي حاتم، وباقي رجال الإسناد ثقات؛ فالإسناد حسن .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٤١١).

(٣) في (ق): «قلت: وذلك».

فصل في خصائص يوم الجمعة

وهي اثنان وثلاثون خاصة(١)

الخاصية الأولى: أن النبي ﷺ كان يقرأ في فجره -يعني فجر يوم الجمعة- بسورتي ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾(٢) [الإنسان: ١]، وليس ذلك واجبًا ولو قرأ بغيره جاز، وكره بعض الأئمة المداومة على قرأتهما في فجر الجمعة؛ دفعًا لتوهم الجاهلين أن ذلك واجبًا ويسمونها سجدة الجمعة، وهذا قول منهم بغير علم. قال العلامة ابن القيم رحمه الله وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إنما كان النبي ﷺ يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة؛ لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومهما؛ فإنهما اشتملتا على خلق آدم، وعلى ذكر الميعاد وحشر الخليقة، وذلك يكون يوم الجمعة فكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون؛ فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة.

والخاصية الثانية: استحباب كثرة الصلاة فيه على النبي ﷺ وفي ليلته؛ لقوله ﷺ: **«أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة»**(٣) ورسول الله ﷺ سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام.

---

(١) خصائص يوم الجمعة المذكورة نقلها المصنف من «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٣٦٣-٤٠٧).

(٢) من حديث أبي هريرة البخاري (٨٥١)، ومسلم (٨٨٠).

(٣) من حديث أنس رواه البيهقي (٥٧٩٠).

الخاصة الثالثة: صلاة الجمعة التي هي من آكد فروض الإسلام، ومن تركها تهاونًا طبع الله على قلبه.

الخاصة الرابعة: الأمر بالاغتسال في يومها، وهو أمر مؤكد جدًا؛ لإزالة الرائحة الكريهة من العرق وغيره.

وفي «معجم الطبراني»[1] عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«من اغتسل يوم الجمعة غفرت ذنوبه وخطاياه؛ فإذا أخذ في المشي إلى الجمعة كان له بكل خطوة عمل عشرين سنة؛ فإذا فرغ من صلاة الجمعة أجيز بعمل مائتي سنة»** .

الخاصة الخامسة: التطيب فيه، وهو أفضل من التطيب في غيره من أيام الأسبوع، وقد كان النبي ﷺ يحب الطيب ويقول: **«حبب إليّ من دنياكم؛ النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[2] هكذا روي هذا الحديث من غير ذكر ثلاث.

الخاصة السادسة: السواك فيه، وله مزية على السواك في غيره من الأيام.

الخاصة السابعة: التبكير إلى الصلاة؛ لقوله ﷺ: **«من بكر وابتكر . . . »**

---

(١) من حديث أبي بكر الصديق رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٩٧). قال الهيثمي (٣٠٦٢): فيه عباد بن عبد الصمد؛ ضعفه البخاري وابن حبان.

(٢) من حديث أنس رواه أحمد (١٢٣١٥)، والنسائي (٣٩٣٩)، والحاكم (٢٦٧٦) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

الحديث[1] وطلبًا للقرب من الله تعالى يوم القيامة بذلك.

الخاصة الثامنة: أن يشتغل بالصلاة والذكر، والقراءة حتى يخرج الإمام.

الخاصة التاسعة: الإنصات للخطبة إذا سمعها وجوبًا في أصح القولين؛ فإن تركه كان لاغيًا، ومن لغا فلا جمعة له وفي المسند[2] مرفوعًا: «**والذي يقول لصاحبه: أنصت؛ فلا جمعة له**».

الخاصة العاشرة: قراءة سورة الكهف في يومها؛ لما رُوي عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة؛ سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء به يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين**»[3]، وذكره سعيد بن منصور من قول أبي سعيد الخدري، وهو أشبه، وفي «الترغيب والترهيب» عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛ أضاء له نور ما بينه وبين البيت العتيق**»[4].

---

(١) جزء من حديث أوس بن أوس رواه أبو داود (٣٤٥) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٣٣٣).

(٢) جزء من حديث علي رواه أحمد (٧١٩) وقال الهيثمي (٣٠٨١): فيه رجل لم يسم.

(٣) من حديث ابن عمر ذكره المنذري (١٠٩٨) وقال: رواه ابن مردويه بإسناد لا بأس به.

(٤) رواه البيهقي في «الكبرى» (٥٧٩٢)، وفي «فضائل الأوقات» (٢٧٩) مرفوعا، ورواه الدارمي (٣٤٠٧) موقوفا على أبي سعيد قال الذهبي في المهذب: ووقفه أصح. قال ابن حجر: رجال الموقوف في طرقه كلها أتقن من رجال المرفوع. انتهى وقد رويت أحاديث ضعيفة بقراءة سورة البقرة وآل عمران وهود يوم الجمعة. انظر «فيض القدير» (٨٩٣٢).

وأخرج الحافظ ضياء الدين المقدسي في «المختارة»[١] عن زيد بن خالد الجهني عن النبي ﷺ قال: **«من قرأ الكهف يوم الجمعة؛ فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون؛ فإن خرج الدجال عصم منه»** وفيه إرسال.

وذكر المعافى[٢] في «تفسيره» عن عبد الله بن أبي فروة أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت؟ ملأ عظمها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك»** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«سورة أصحاب الكهف، من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، وأعطي نورًا يبلغ السماء ويُوقى فتنة الدجال»**.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ الكهف يوم الجمعة؛ فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة، وإن خرج الدجال عصم منه»**[٣].

وذكر أبو حامد الغزالي رحمه الله في «الإحياء»[٤]: أنه يُستحب قراءة سورة

---

(١) «المختارة» للضياء (٤٣٠) وقال: فيه عبد الله بن مصعب بن منظور بن زيد بن خالد لم يذكره البخاري ولا ابن أبي حاتم في كتابيهما.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٣١٠) وقال: ذكره الثعلبي والمهدوي أيضًا بمعناه. أ هـ، وجزء الحديث الخاص بتشييع سبعين ألف ملك لها رواه الديلمي عن أنس كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٧).

(٣) «الضياء في المختارة» (٤٢٩) وقال: في إسناده من لم أقف له على ترجمة.

(٤) «الإحياء» (١/ ١٨٧).

الكهف ليلة الجمعة أيضًا، وذكره مرفوعًا إلى النبي ﷺ وهو مروي عن ابن عباس وأبي هريرة ﵄: «**من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة؛ أعطى نورًا من حيث يقرأها إلى مكة، وغفر الله له إلى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام، وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وعوفي من الداء والدبيلة[1] وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال**»[2].

الحادية عشر: أنه لا يكره فعل الصلاة فيه وقت الزوال عند الشافعي ومن وافقه، وهو اختيار ابن تيمية ﵀؛ لأن من جاء إلى الجمعة يستحب له أن يصلي حتى يخرج الإمام، وهذا قاله غير واحد من السلف وعمر بن الخطاب، وتبعه عليه الإمام أحمد بن حنبل أن خروجُ الإمام يمنع الصلاة، وخطبته تمنع الكلام؛ فإن جاء والإمام يخطب استحب له أن يصلي ركعتين لحديث سليك الغطفاني، وقد روي: أن (جهنم)[3] تسجر نصف النهار إلا يوم الجمعة[4] رواه ليث، عن مجاهد، عن أبي الخليل، عن أبي قتادة عن النبي ﷺ.

الخاصة الثانية عشر: قراءة سورة الجمعة والمنافقون أو سبح

---

(١) داء في الجوف. انظر «تاج العروس» (١/ ١٥٣١).

(٢) قال العراقي (١/ ١٤٣): لم أجده من حديثهما. أ هـ والحديث رواه الديلمي عن أبي هريرة كما في «فيض القدير» (٦/ ١٩٨) وقال: قال ابن حجر: فيه إسماعيل بن أبي زياد؛ متروك كذبه جمع منهم الدارقطني.

(٣) مثبت من (ق).

(٤) رواه أبو داود (١٠٨٣) وقال: وهو مرسل؛ مجاهد أكبر من أبي الخليل، وأبو الخليل لم يسمع من أبي قتادة.

والغاشية في صلاة الجمعة فقد كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن في يوم الجمعة. ذكره مسلم في «صحيحه»[١] .

الخاصة الثالثة عشر: أنه يوم عيد يتكرر في الأسبوع، وقد روى ابن ماجة في سننه[٢] عن أبي لبابة ابن عبد المنذر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمس (خصال)[٣] ؛ خلق الله تعالى فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيه العبد شيئًا إلا أعطاه ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقوم الساعة، وما من ملك مقرب، ولا سماء ولا أرض، ولا رياح ولا جبال، ولا شجر إلا وهم مشفقون من يوم الجمعة»** .

الخاصة الرابعة عشر: أنه يستحب للرجل أن يلبس فيه أحسن ثيابه التي يقدر عليها؛ لما روى الإمام أحمد في «مسنده»[٤] من حديث أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من اغتسل يوم الجمعة، ومس من طيب إن كان له، ولبس أحسن ثيابه، ثم خرج وعليه السكينة والوقار حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له، ولم يؤذ أحدًا ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي؛ كانت كفارة لما بينهما»**، وفي «سنن

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي رافع والنعمان بن بشير (٨٧٧، ٨٧٨).

(٢) ابن ماجة (١٠٨٤) قال البوصيري: إسناده حسن.

(٣) في (ق): «خلال».

(٤) أحمد (٢٣٦١٨). قال الهيثمي (٣٠٣٨): رجاله ثقات.

أبي داود»[١] عن عبد الله بن سلام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة «**ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته**» معناه؛ سوى ثوبي خدمته وصنعته.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت أصحاب محمد ﷺ، وكانوا إذا كان يوم الجمعة يلبسون أحسن ثيابهم، وإن كان عندهم طيب مسوا منه، ثم راحوا إلى الجمعة[٢]، وكان ابن عمر يجمر ثيابه أي ينجزها كل يوم جمعة.

وكثير من المتهاونين بهذا الحديث؛ يحضر الجمعة بثياب مهنته وخدمته وصنعته وعنده غيرها، وربما لبسها يوم السبت لفرحته ونزهته، ويكون هذا متهاونًا باتباع السنة منتهكًا لحرمة الدين بمشابهته لليهود يوم عيدهم، ولو كان متبعًا لكان الأولى به فعل ذلك يوم عيده وعيد المسلمين الذي اختاره الله تعالى لهذه الأمة، وهو يوم الجمعة، أما الفقير الذي لا يملك إلا ما عليه فلا حرج ولا إثم عليه.

وروى ابن ماجة في «سننه»[٣] عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خطب الناس

---

(١) أبو داود (١٠٧٨) من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام، وابن ماجة (١٠٩٥) عن عبد الله بن سلام. قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات. انتهى رواه ابن ماجة (١٠٩٦) من حديث عائشة. قال ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٣٧٤): في إسناده نظر. والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٥٥٥١).

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

يوم الجمعة، فرأى عليهم ثياب النمار (يعني الأكسية الملونة)[(١)]، فقال رسول الله ﷺ: «**ما على أحدكم -إن وجد سعة-؛ أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته**»، وانظر ما أحسن ما قال: إن وجد سعة -يعني إن كان قادرًا-؛ فإن الله جميل يحب الجمال، وقد تقدم القول فيمن كان يلبس أحسن ثيابه حين يرجوا ليلة القدر مثل تميم الداري وغيره.

وكان الإمام مالك يتجمل كذلك إذا حضر مجلس العلم؛ تعظيمًا لحديث النبي ﷺ فهكذا ينبغي للمسلم المتبع سنة رسول الله ﷺ أن يتجمل بأحسن ثيابه يوم الجمعة؛ ليصيب السنة، ويعظم حرمة هذا اليوم، ويكيد بذلك الكفار والمنافقين بإظهار شعار دينه، وقوة إيمانه ويقينه.

الخاصة الخامسة عشر: أنه يستحب فيه تجمير المسجد أي: تبخيره، وروى سعيد بن منصور عن نعيم بن عبد الله المجمر؛ بإسكان الجيم والتخفيف، ورُوي (المجمر)[(٢)] بتشديد الميم الثانية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن يجمر المسجد -مسجد المدينة- كل جمعة حين ينتصف النهار، ولذلك سمي نعيمًا المجمر أي المبخر.

الخاصة السادسة عشر: أنه لا يجوز السفر في يومها لمن تلزمه الجمعة قبل فعلها بعد دخول وقتها، وأما قبله ففيه ثلاثة أقوال للعلماء وهي روايات منصوصات عن أحمد: إحداها؛ لا يجوز أيضًا، الثانية؛

(١) مثبت من (ق).
(٢) مثبت من (ق).

يجوز، الثالثة؛ (يجوز)[١] للجهاد خاصة، وأما مذهب الشافعي فيحرم عنده إنشاء السفر يوم الجمعة بعد الزوال، ولهم في سفر الطاعة وجهان: أحدهما؛ تحريمه هو اختيار النووي وغيره، والثاني؛ جوازه وهو اختيار الرافعي، والاختيار أن لا يسافر إذا طلع الفجر وهو حاضر (حتى يصلي)[٢] الجمعة، وذهب أبو حنيفة إلى جواز السفر مطلقًا.

وروى الدارقطني في «أفراده»[٣] من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**من سافر مْن دار إقامةّ يوم الجمعة؛ دعت عليه الملائكة لا يصحب في سفره**» هذا إذا لم يخف المسافر فوت رفقته (فإن خاف فوت رفقته)[٤] وانقطاعه عنهم؛ جاز له السفر مطلقًا؛ لأن هذا عذر يسقط الجمعة والجماعة، ولعل ما روى عن الأوزاعي أنه سئل عن مسافر سمع أذان الجمعة وقد أسرج دابته فقال: ليمضي في سفره؛ محمول على هذا، وكذلك قول عمر الجمعة: لا تحبس عن سفر.

الخاصة السابعة عشر: أن للماشي إلى الجمعة بكل خطوة يخطوها أجر سنة؛ صيامها وقيامها، وروى عبد الرزاق[٥] عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من غسل واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر ودنا من الإمام فأنصت؛ كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة**

---

(١) في (ك): «لا يجوز» وهو خطأ.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) كما في أطراف الأفراد (٣٢٠١).

(٤) مثبت من (ق).

(٥) رواه عبد الرزاق (٥٥٧٠)، والترمذي (٤٩٦) وقال: حديث حسن.

(وقيامها)[١] وذلك على الله يسير».

الخاصة الثامنة عشر: أنه يوم تكفير السيئات، وروى الإمام أحمد في «مسنده»[٢] عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتدري ما يوم الجمعة؟»** قلت: هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم، قال: **«لكني أدري ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره، ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضي الإمام صلاته إلا كان كفارة لما بينه وبين الجمعة المقبلة؛ ما اجتنبت الكبائر»** .

وفي البخاري[٣] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»** .

الخاصة التاسعة عشر: أن جهنم تسجر كل يوم إلا يوم الجمعة، وقد تقدم حديث أبي قتادة، وسر ذلك والله أعلم؛ أنه أفضل الأيام عند الله، ويقع فيه من العبادات والطاعات، والابتهال إلى الله تعالى ما يمنع عن سجر جنهم فيه.

الخاصة العشرون: أن فيه ساعة (الإجابة، وهي الساعة)[٤] التي لا

---

(١) في (ك): «قيام ليلها».

(٢) أحمد (٢٣٧٦٩). قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير قرثع الضبي. والذي في المطبوع من المسند: ما اجتنبت المقتلة.

(٣) البخاري (٨٤٣).

(٤) مثبت من (ق).

يسأل الله فيها العبد شيئًا إلا أعطاه، وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله ﷻ شيئًا إلا أعطاه إياه»** وقال بيده: يقللها.

وقد اختلف الناس في هذه الساعة هل هي باقية أو قد رُفعت؟ على قولين حكاهما ابن عبد البر وغيره، والذين قالوا: هي باقية ولم ترفع اختلفوا على أقوال؛

الأول: قال ابن المنذر: روينا عن أبي هريرة أنه قال: هي بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس.

الثاني: أنها عند الزوال ذكره ابن المنذر عن الحسن البصري وأبي العالية.

الثالث: أنها إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة، قال ابن المنذر: روينا ذلك عن عائشة.

الرابع: أنها إذا جلس الإمام على المنبر حتى يفرغ قال ابن المنذر: روينا عن الحسن البصري.

الخامس: أنها الساعة التي اختارها الله للصلاة قاله أبو بردة.

السادس: قال أبو السوار العدوي: كانوا يرون أن الدعاء مستجاب ما بين زوال الشمس إلى أن تدخل الصلاة.

---

(١) البخاري (٤٩٨٨)، ومسلم (٨٥٢).

السابع: قاله أبو ذر؛ إنها ما بين أن ترتفع الشمس شبرًا إلى ذراع.

الثامن: إنها ما بين العصر إلى غروب الشمس، قاله أبو هريرة وعبد الله بن سلام وطاوس، حكي ذلك كله ابن المنذر.

التاسع: (أنها آخر ساعة بعد العصر، وهو قول الإمام أحمد وجمهور الصحابة والتابعين.

العاشر)[١] : أنها من حين خروج الإمام إلى فراغ الصلاة، حكاه النووي وغيره.

الحادي عشر: أنها الساعة الثالثة من النهار حكاه صاحب المغني فيه.

وأرجح هذه الأقوال قولان:

القول الأول: أنها ما بين جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة.

(والقول)[٢] الثاني: إنها بعد العصر، وهذا أرجح القولين وهو (قول)[٣] عبد بن سلام وأبي هريرة، والإمام أحمد وخلق، ولكل قول من هذه الأقوال حجة، ودليل يطول هذا المجلس به، ويكفي ذكر هذه الأقوال مختصرة هنا مشيرة إلى فوائدها، ومن طلب المزيد على ذلك تتبعه من أماكنه والله الموفق.

الخاصة الحادية والعشرون: أن فيه صلاة الجمعة التي خصت من بين

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ك): «مذهب».

سائر الصلوات المفروضات بخصائص لا توجد في غيرها؛ من الاجتماع والعدد المخصوص، واشتراط الإقامة والاستيطان والجهر فيها بالقراءة، وقد ورد من التشديد فيها ما لم يأت نظيره إلا في صلاة العصر.

وفي السنن الأربعة[١] من حديث أبي الجعد الضمري -وكانت له صحبة- أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك ثلاث جمع تهاونًا؛ طبع الله على قلبه**» قال الترمذي: حديث حسن.

الخاصة الثانية والعشرون: (أن فيه الخطبة التي مقصودها الثناء على الله تعالى وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية ولرسوله بالرسالة، وتذكير العباد بإيمانه وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جناته، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره؛ فهذا هو مقصود هذه الخطبة والاجتماع لها.

الخاصة الثالثة والعشرون)[٢]: أن فيها صلاة الجمعة، وإنه اليوم الذي يستحب التفرغ فيه للعبادة، وله على سائر الأيام مزية بأنواع من العبادات واجبة ومستحبة؛ فالله جعل لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه، ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا؛ فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان،

---

(١) رواه أبو داود (١٠٥٢)، والترمذي (٥٠٠)، والنسائي (١٣٦٩)، وابن ماجة (١١٢٥) وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) مثبت من (ق).

ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم؛ سلمت له سائر أيامه وجمعته، ومن صح له رمضان وسلم؛ صحت له سائر سنته؛ ومن صحت له حجته وسلمت؛ صح له سائر عمره؛ فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر، وبالله التوفيق.

الخاصة الرابعة والعشرون: إنه لما كان في الأسبوع كالعيد في العام، وكان العيد يشتمل على صلاة وقربان، وكان يوم الجمعة يوم صلاة؛ (جعل)[1] الله تعالى التعجل إلى المسجد بدلًا من القربان وقائمًا مقامه؛ فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد (الصلاة والقربان)[2] ؛ للأحاديث الواردة في فضل الإتيان إلى الصلاة فيه في الساعة الأولى وما بعدها.

الخاصة الخامسة والعشرون: أن للصدقة فيه مزية عليها في سائر الأيام، والصدقة فيه بالنسبة إلى سائر أيام الأسبوع كالصدقة في شهر رمضان بالنسبة إلى سائر الشهور. قال العلامة ابن القيم ﷺ وشاهدت شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ إذا خرج إلى الجمعة يأخذ من البيت ما وجد (من خبز وغيره فيتصدق به في طريقه سرًا)[3]، وسمعته يقول: إذا كان الله قد أمر بالصدقة بين يدي مناجاة رسوله؛ فالصدقة بين يدي مناجاته ﷻ أولى بالفضل.

الخاصة السادسة والعشرون: أنه يوم تجلي الله تبارك وتعالى لأوليائه

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك): «بدلًا من القربان».

(٣) في (ك): «ويتصدق سرًا».

المؤمنين في الجنة وزيارتهم له؛ فيكون أقربهم منه أقربهم من الإمام أسبقهم إلى الزيارة، وأسبقهم إلى الجمعة، روى يحيى بن يمان، عن ابن شهاب، عن أبي اليقظان عن أنس بن مالك في قوله ﷻ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قال: يتجلى لهم في كل جمعة[١]، وقد تقدم حديث زيارة المؤمنين في الجنة لرب العالمين يوم المزيد، وهو يوم الجمعة.

الخاصة السابعة والعشرون: إنه اليوم الذي تفزع فيه السموات والأرض والجبال، (والبحار)[٢] والخلائق كلها إلا شياطين الإنس والجن، وعن كعب الأحبار قال: ألا أحدثكم عن يوم الجمعة، إنه إذا كان يوم الجمعة؛ فزعت السموات والأرض، والجبال والبحار والخلائق كلها إلا ابن آدم والشياطين، وذلك أنه اليوم الذي تقوم فيه الساعة ويطوى العالم، وتخرب فيه الدنيا ويبعث فيه الناس إلى منازلهم من الجنة والنار.

الخاصة الثامنة والعشرون: إنه اليوم الذي ادخره الله لهذه الأمة، وأضل عنه أهل الكتاب قبلهم كما في «الصحيحين»[٣] عن النبي ﷺ من قوله: **«هدانا الله له، وضل الناس عنه؛ فالناس لنا (فيه)[٤] تبع لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد. . .»** الحديث.

---

(١) روي بنحوه مرفوعا من حديث أنس عند ابن أبي الصقر في «مشيخته» (١/ ٣٠٨) تخريج ابن مفلح اللخمي. قال الشريف العوني: إسناده ضعيف.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

(٤) مثبت من (ق).

الخاصة التاسعة والعشرون: إنه خيرة الله تعالى من أيام الأسبوع كما أن شهر رمضان خيرته من شهور العام، وليلة القدر خيرة الله من الليالي ومكة خيرته من الأرض، ومحمد ﷺ خيرته من خلقه.

الخاصة الثلاثون: أن الموتى تدنوا أرواحهم من قبورهم، وتوافيها في يوم الجمعة؛ فيعرفون زوارهم ومن يمر بهم، ويسلم عليهم ويلقاهم في ذلك اليوم أكثر من معرفتهم بهم في غيره من الأيام؛ فهو يوم يلتقي فيه الأحياء والأموات؛ فإذا قامت الساعة التقى فيه الأولون والآخرون، وأهل الأرض وأهل السماء، والرب والعبد، والعامل وعمله، والمظلوم وظالمه، والشمس والقمر، ولم يلتقيا قبل ذلك قط، وهو يوم الجمع واللقاء.

ولهذا يلتقي الناس فيه في الدنيا أكثر من التقائهم في غيره؛ فهو يوم التلاق، قال أبو التياح لاحق بن حميد: كان مطرف بن عبد الله يبكر فيدخل كل جمعة، فأدلج[1] حتى إذا كان عند المقابر يوم الجمعة قال: فرأيت كل صاحب قبر جالسًا على قبره فقالوا: هذا مطرف يأتي الجمعة، (قال)[2]: فقلت لهم (وتعرفون)[3] عندكم الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعلم ما يقول فيه الطير قلت: وما تقول فيه الطير؟ قال: تقول: رب سلم سلم يوم صالح.

---

(١) أدلج: سار من آخر الليل. «لسان العرب»، مادة دلج.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ق): «وتعلمون».

وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب «المنامات» وغيره عن بعض أهل عاصم الجحدري قال: رأيت عاصمًا الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت: أليس قد مِت؟ قال: بلى، قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي؛ نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم قال: قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجسام، وإنما تتلاقى الأرواح، قال: قلت: هل تعلمون بزيارتنا لكم؟ قالوا: نعم عشية الجمعة، ويوم الجمعة كله، ويوم السبت إلى طلوع الشمس، قال: وكيف ذاك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمته.

وذكر ابن أبي الدنيا أيضًا عن محمد بن واسع: إنه كان يذهب كل غداة سبت حتى يأتي الجبان؛ فيقف على القبور فيسلم عليهم، ويدعوا لهم ثم ينصرف فقيل له: لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين، فقال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويومًا قبلها ويومًا بعدها. وذكر عن سفيان الثوري أنه قال: بلغني عن الضحاك أنه قال: من زار قبرًا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فقيل له كيف ذاك قال: لمكان يوم الجمعة.

وتقدم في المجلس العشرون في الحج وفضله ما ذكره ابن عساكر في «تاريخه» عن يونس بن ميسرة؛ أنه رأى بعض الأموات قد رد الله عليه روحه فقال: طوبى لكم يا أهل الدنيا تحجون في شهر أربع مرات قال: وإلى أين يرحمك الله؟ قال: إلى الجمعة أما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة.

الخاصة الحادي والثلاثون: إنه يكره إفراد يوم الجمعة بالصوم، هذا منصوص أحمد رحمه الله إلا أن يوافق ذلك صومًا كان يصومه مثل أن يصوم يومًا، ويفطر يومًا؛ فيوافق صومه يوم الجمعة، ومَن عادته صوم أول يوم من شهر أو آخره أو يوم نصفه ونحو ذلك؛ نص عليه أحمد في رواية الأثرم قاله في «المغني»[(١)] وغيره، وإنما يكره أن يتعمد الجمعة. وقال أبو حنيفة ومالك: لا يكره إفراد الجمعة؛ لأنه يوم فأشبه سائر الأيام.

والدليل على (كراهة صومه)[(٢)] ما رواه البخاري، ومسلم[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يومًا قبلها وبعدها**». قال محمد بن عباد: سألت جابرًا أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم. متفق عليه[(٤)].

وفي «صحيح البخاري»[(٥)] عن جويرية بنت الحارث أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: «**أصمت أمس؟**» قالت: لا، قال: «**أتريدين أن تصومي غدًا؟**» قالت: لا قال: «**فأفطري**». وفيه أحاديث سوى هذه، وسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع، وهذا الحديث يدل على أن المكروه إفراده؛ لأن نهيه معلل بكونها لم تصم أمس (ولا غدًا)[(٦)]،

---

(١) «المغني» (٣/ ١٠٥).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (١٨٨٤)، ومسلم (١١٤٤).

(٤) البخاري (١٨٨٣)، ومسلم (١١٤٣).

(٥) البخاري (١٨٨٥).

(٦) مثبت من (ق).

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن محمد بن عباد قال: سألت جابر بن عبد الله وهو يطوف بالبيت أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة؟ قال: نعم، ورب هذا البيت، وفي «مسند الإمام أحمد»[(٢)] عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لا تصوموا يوم الجمعة وحده».

الخاصة الثانية والثلاثون: أنه يوم اجتماع الناس وتذكرهم بالمبدأ والميعاد، وقد شرع الله تعالى لكل أمة في الأسبوع يومًا يتفرغون فيه للعبادة ويجتمعون فيه؛ لتذكر المبدأ والميعاد، والثواب والعقاب، ويتذكرون فيه اجتماعهم يوم الجمع الأكبر قيامًا بين يدي رب العالمين، وكان أحق الأيام بهذا الفرض المطلوب اليوم الذي يجمع (الله)[(٣)] فيه الخلائق، وذلك يوم الجمعة؛ فادخره الله لهذه الأمة لفضلها وشرفها؛ فشرع اجتماعها في هذا اليوم لطاعته، وفي مقدار انتصافه وقت الخطبة والصلاة يكون أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم، كما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه من غير وجه أنه قال: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في منازلهم، ثم قرأ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾، وكذلك هي في قراءته، فهذه اثنان وثلاثون خاصة للجمعة.

وأما الكلام على سنة الجمعة قبلها أو بعدها؛ فقد اختلف العلماء

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أحمد (٢٦١٥)، قال الهيثمي (٥٢٠٨): فيه الحسين بن عبيد الله؛ وثقه ابن معين وضعفه الأئمة. اهـ، قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف حسين بن عبدالله.

(٣) مثبت من (ق).

فيه، وذكر ابن الزاغواني عن أحمد روايتين:

إحداهما: أن لها سنة وهو قول الأكثرين.

والثانية: لا سنة لها، وذكره الإمام أحمد عن علي وابن مسعود، وألّف الحافظ زين الدين ابن رجب رحمه الله في ذلك تأليف خاص سماه نفي البدعة عن الصلاة قبل الجمعة، وعارضه في ذلك شيخنا قاضي القضاة صدر الدين ابن العز الحنفي، وسماه أداء ما وجب، ثم أخبرني أن الشيخ زين الدين المذكور قال: أردت إيراد الأحاديث الواردة في ذلك للتطوع؛ لأنها سُنة مؤكدة، كذا أخبرني عنه شيخنا قاضي القاضي ابن العز الحنفي رحمه الله تعالى.

وأما الصلاة بعد الجمعة فقال الإمام أحمد رحمه الله: إن شاء صلى بعد الجمعة ركعتين، وإن شاء صلى أربعًا، وفي رواية: وإن شاء ستًّا، وكان ابن مسعود والنخعي وأصحاب الرأي يرون أن يصلي بعدها أربعًا لما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان منكم مصليًا؛ فليصل بعدها أربعًا**» رواه مسلم[1] وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين. متفق عليه[2].

ويُروى عن الإمام مالك رحمه الله: أن الجمعة ليس لها سنة قبلها ولا

---

(١) مسلم (٨٨١).

(٢) البخاري (٨٩٥)، ومسلم (٨٨٢).

بعدها، وأما (الخلاف)[١] في السنة قبلها ففيه نزاع طويل؛ ملخصه عند كثير من الأصحاب؛ أن المختار ليس لها سنة راتبة، وأما التطوع فبابه مفتوح فيتطوع ما بدا له (والله أعلم)[٢] .

وروى الشيخ عبد القادر رَحِمَهُ اللهُ ما تقدم من أن الله يعتق في كل ساعة من يوم الجمعة ستمائة ألف عتيق من النار[٣] .وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى يوم الجمعة في جماعة؛ كتبت له حجة متقبلة، ومن صلى العصر؛ كانت له عمرة، وإن يُمسي في مكانه لم يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه**»[٤] وعن الحسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة؛ اغتسل كل يوم جمعة، ولو صار أن تشتري الماء بقوت يومك**»[٥].

وفي «توثيق عرى الإيمان» عن خالد بن كثير بن مسلم أنه لما كان في النزع؛ وجد عند رأسه رقعة مكتوب فيها براءة من النار لخالد بن كثير؛

---

(١) في (ق): «كلام العلماء».

(٢) في (ق): «ويكفي هذا هنا».

(٣) في (ق) حاشية: «في «الغنية» قال: أخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن ثابت البُناني عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: إن لله تعالى ستمائة ألف عتيق من النار في كل يوم، ويوم الجمعة وليلة الجمعة أربعة وعشرون ساعة في كل ساعة . . .الحديث».أ هـ والحديث تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) الديلمي كما في «كنز العمال» (٢١٠٨٦).

(٥) قال الفتني في «تذكرة الموضوعات» (١/ ٢٢٠): فيه إبراهيم بن حيان البختري؛ أحاديثه موضوعة.

فلما مات سألوا عنه أهله ما كان عمله؟ قالوا: إنه كان يصلي على النبي ﷺ كل جمعة ألف مرة، ويقول: اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم. انتهى.

وأخرج البيهقي في كتاب «شعب الإيمان»[(١)] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من صلى على النبي ﷺ يوم الجمعة مائة مرة؛ جاء يوم القيامة وعلى وجهه النور يقول الناس: أي شيء كان يعمل هذا؟ وفيه[(٢)] أيضًا عنه ﷺ أنه قال: **«من صلى عليَّ في يوم الجمعة (وليلة الجمعة)[(٣)] مائة مرة؛ قضى الله له مائة حاجة: سبعين من حوائج الدنيا، وثلاثين من حوائج الآخرة، ثم يوكل الله تعالى بذلك ملكًا يدخله عليّ في قبري كما تدخل عليكم الهدايا؛ يخبرني بمن صلى عليّ باسمه ونسبه إلى عشيرته؛ فأثبته عندي في صحيفة بيضاء؛ لأن علمي بعد موتي كعلمي في حياتي»**، ذكره في «الترغيب والترهيب».

وروى ابن بشكوال في كتاب «القربة»[(٤)] عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: **«من صلى عليّ في يوم الجمعة ألف مرة؛ لم يمت حتى يري مقعده من الجنة»** (ذكره في «الترغيب والترهيب» الشيخ علي بن اللبودي الحنبلي رحمه الله

---

(١) البيهقي في «الشعب» (٣٠٣٦).

(٢) البيهقي في «الشعب» (٣٠٣٥) والديلمي كما في «كنز العمال» (٢٢٤٢).

(٣) مثبت من (ق).

(٤) رواه أبو الشيخ كما في «كنز العمال» (٢٢٣٣)، وضعفه المنذري (٢٥٧٩) بعد أن عزاه لابن شاهين.

من أصل تأليف الحافظ التيمي الأصفهاني رحمه الله)[١]، وعن سعيد بن أبي الحسن قال: رأيت في المنام كأني قد مِت؛ فلم أجد شيئًا أنفع لي من أن قيل: أنه كان يغدو إلى الجُمع فقلت: حجي وصلاتي قال: ما وجدت شيئًا أثقل في ميزاني من الجمع.

وفي «الترغيب والترهيب» لابن زنجويه[٢] بسنده عن عثمان بن أبي سودة في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠] قال: أولهم رواحًا إلى الجمعة، وآخرهم خروجًا في سبيل الله.

وحكي عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله قال: كنت أُبكِّر إلى الجامع فأسمع قد سبقت يا أبا القاسم؛ فأقدِّم الوقت في الجمعة الثانية فأسمع قد سبقت يا أبا القاسم؛ فلم أزل كذلك حتى أصلي الصبح في الجامع؛ فسمعت قد سبقت يا أبا القاسم؛ فسألت الله أن يعرفني من يسبقني مع بكوري؛ فهتف بي هاتف من زاوية المحراب الذي يسبقك هو الذي يخرج آخر الناس فصليت الجمعة (ثم جلست إلى العصر فصليت جماعة ثم جلست)[٣] إلى أن خرج الناس، وفي أواخرهم شيخ -أي كبير- فتعلقت به وقلت له يا شيخ متى تحضر الجامع؟ قال: وقت الزوال قلت: فبأي شيء تسبقني فقد دُللتُ عليك؟ فقال: يا أبا القاسم، أنا إذا خرجت الآن من الجامع؛ نويت أن عشت إلى يوم مثله حضرت الجامع قال: فعرفت

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) ابن المبارك في «الجهاد» (١٢٧)، وابن أبي شيبة (١٩٣٣٩).

(٣) مثبت من (ق).

أن السبق بالهمم لا بالقدم.

ويؤيد هذا حديث السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وفيه: «**ورجلٌ قلبه معلق بالمساجد**»؛ معناه: أن نيته العودة إليه إذا خرج من المسجد، فبهذه النية استوجب هذه العطية والمنح السنية، وبها سبق هذا الشيخ المذكور لأبي القاسم الجنيد ﷺ في الحضور. قال الحسن ﷺ يوم الجمعة يوم شريف تضاعف فيه الحسنات وتغفر السيئات، وترفع الدرجات وتجاب الدعوات.

وروى ابن الجوزي عن ثابت البناني ﷺ قال: رأي رجل في المنام كأن الناس قد عُرضوا على الله ﷻ؛ فجيء بامرأة عليها ثياب رقاق فاحتجب الله ﷻ عنها، وجيء برجل فقال: خلوا عنه؛ فإنه كان في الدنيا من المبكرين إلى الجماعات، وفي هذا (الأثر)[1] تخويف شديد لهؤلاء النسوة اللاتي يلبسن الثياب الرقاق، ويظهر منها محاسنهن أنه يخاف عليهن أن يحتجب الله عنهن؛ لما يبدين من زينتهن ويتبرجن للأجانب منهن، وهذه غفلة منهن وإعراض عن امتثال أمر الله تعالى، وفيه أيضًا بشارة بحصول السعادة بدار الجنان، والقرب من الرحمن لمن بَكَّر إلى الجمعات، وأعرض عن الشهوات؛ فهنيئًا له بأرفع الدرجات، للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

فائدة: روى ابن الجوزي في كتاب «النور»[2] في فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٧٧) وقال ابن حجر في «تخريج الأذكار»=

﴿أَحَدٌ﴾ والمعوذتين قال: أخبرنا (محمد بن أحمد)[١] الحافظ، قال: أخبرنا ناعم بن أحمد الواعظ، قال: حدثنا محمد بن هارون الحضري، قال: أخبرنا سليمان بن عمر بن خالد، قال: حدثنا أبي عن الخليل بن قرة، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ سبع مرات؛ أجاره الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى»** .

وروى أبو الشيخ الأصفهاني[٢] عن أسماء بنت أبي بكر قالت: من قرأ في مجلسه بعد الجمعة بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سبع مرات، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ سبع مرات، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ سبع مرات)[٣]؛ حفظ إلى الجمعة الأخرى.

وروي أيضًا عن عبد الكريم بن طارق عن الحسن يرفعه قال: **«من قرأ عند تسليم الإمام يوم الجمعة -وهو ثاني إحدى رجليه قبل أن يعطفها قبل أن يتكلم- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سبعًا، وقل ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ سبعًا، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ سبعًا؛ حفظ له دينه ودنياه وأهله**

= للنووي (٤/ ٢٣٢): سنده ضعيف، وينبغي أن يُقيد بما بعد الذكر المأثور في الصحيح، وله شاهد من مرسل مكحول، أخرجه سعيد بن منصور في السنن.

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه ابن أبي شيبة كما في «كنز العمال» (٢١٣٢٣).

(٣) في (ك): «والمعوذتين سبعًا».

وولده». وروى ابن السني[١] عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ سبع مرات؛ أعاذه الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى».

مسألة: تنعقد الجمعة بأربعين، وهو الشرط عند الإمام أحمد، ويُروى عن عمر بن عبد العزيز، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وهو مذهب مالك والشافعي، ورُوي عن أحمد أنها لا تنعقد إلا بخمسين، وعن أحمد أنها تنعقد بثلاثة، وهو قول الأوزاعي وأبي ثور؛ لأنه يتناوله اسم الجمع (المطلق أشبه الأربعين)[٢]. وقال أبو حنيفة: تنعقد بأربعة؛ لأنه عدد يزيد على أقل الجمع المطلق أشبه الأربعين، وقال ربيعة: تنعقد باثني عشر؛ لأنهم الذين بقوا مع النبي ﷺ لما قدمت العير، وأنزل الله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١] الآية، ومسائل الجمعة وأحكامها يطول شرحها وفي هذا تنبيه عليها.

(موعظة)[٣]: اعلموا أنه من سمت في الدنيا في طلب الأُخرى همته؛ علت في القيامة في درجات الجنات منزلته، وعلى قدر حراستك هذه الأيام بالتقى؛ يعظم ثوابك في دار الخلد والبقا، هل الأيام إلا أيام تُعد عليك فبادرها، والعمر يذهب في مراد النفس فصابرها؛ فلقد فاز الصابر

---

(١) تقدم تخريجه قريبا.

(٢) في (ق): «فانعقدت به الجمعة كالأربعين».

(٣) في (ق): «فصل».

عن شهوات الهوى والإضاعة كيف لا؟ وهل الشجاعة إلا صبر ساعة، يا من ذنوبه كثيرة ما تُعدُّ، ووجه مخالفته قد اسود، كم ندعوك إلى الوصال وتأبى إلا الصد؟ أما الموت قد سعى نحوك وجد؟ أما عزم أن يلحقك بالأب والجد؟ أما رأيت منهما إلا أترب منه الثري الخد؟ أما عاينت متجبرًا كفَّ الموت كفه الممتد؛ فاحذر أن يأتيك على معاصيك فإنه يأتي فلا يرد.

شعر:

بينما المرء غافلًا إذ أتاه
من يد الموت سالب لا يردُ

فتأهب لما له كل نفس
عرضة الأسر إنما الأمر جدُ

خاب من كان همه هذه الدنيا
(فأضحى)[1] من نيلها يستمدُ

فجناها أن أسعدتْ مستعار
ليس من رده لمن نال بدُ

كم أدالت من أهلها وأزالت
ذا جلالٍ من نعمةٍ لا تُحدُّ

بدَّلته من طيب مَغناه فقرا
عادمًا ما حوى ولم يغن جِدُّ

---

(١) في (ق): «فانحنى».

أين من كان ناعمِ الوجهِ أمسى
ما له في نهاية الحسن ضِدُّ
قد محاه ثراهُ حين حواه
ووهى معصمٌ وكفٌّ وزَنْدُ
وجفاه أُنسه أخ كان برًّا
وصديقًا (كان)[١] وصحبٌ وجندُ
واستوى في البِلى ويبس
وأعيا بالأسر حرٌّ وعبدُ

كأني بك وقد قصم الموت عُراك التي بها تمكنت، وأخرجك عن دارك التي جوَّدت عمارتها وسكنت، ونقلك إلى قبر تخلو فيه بما أساءت وأحسنت، إلى (أن)[٢] تقوم منه للحساب على ما أسررت وأعلنت؛ فتزين بالتقوى فطوبى لك إن تزينت، واعمل ما ينفعك غدًا فإن لم تعمل فمن أنت؟ ستندم على تقصيرك إذا رأيت ملك الموت، ونادى روحك اخرجي؛ فأزعجها الصوت، (فلا أم لك تقيك)[٣] ما يلاقيك، ولا ولدك يقدر أن يفديك.

ويودعك الأهل وداع من لا يلتقي؟ وتصعد الروح من أسفل الجسد وترتقي، ولا تجد دافعًا عنك (ولا ذا)[٤] يقي؛ فإن كنت طائعًا وإلا

(١) في (ق): «دان».
(٢) في (ق): «يوم».
(٣) في (ق): «فلا مالك يَقيك».
(٤) في (ق): «الأذى».

فأنت الشقي، فيا مضيعًا (ما مضى من)[1] عمره؛ تحفظ فيما بقي، إذا بلغت روحك التراقي؛ عرفت خبرك، وإذا جدَّت في سيرها ذممت سيرك، وكأني بك قد شاهدت ما أذهلك وحيَّرك، واطلع على بدنك من كان قبل ذلك لم يرك، وقالت الملائكة: ما الذي قدم؟ وقال الناس ماذا ترك؟ وحملت إلى لحد شان محاسنك وغيَّرك، وأحال صورتك وإلى البلى صيَّرك، ليت شعري إذا دنا انتقالك فماذا مقالك؟ وإذا أزف ارتحالك فكيف يكون حالك؟ وماذا ينفعك مالك؟ إذا أوبقتك أعمالك، ومن لك إذا انقطع وصالك؟ حين تنقطع أوصالك؛ فتأهب للرحيل فقد آن زوالك، وحاسب نفسك فقد قرب سؤالك.

عباد الله، اغتنموا أيام الجَمع والجُمع فإن الفرقة واقعة، وجدُّوا في الأعمال الصالحة التي تنفعكم؛ لعلها أن تكون راقعة لما قدمتم من الخلل؛ فتسده إذا وقعت الواقعة، فإلى كم هذه النفوس في الهوى (ممانعة)[2]، فذكروها (بالله)[3] لعلها أن ترجع فتصير غدًا في الجنة راتعة؛ فقد كثر عليها بالمخالفة الشهود؛ فالملائكة عليهم السلام عن اليمين والشمال قعود، ويوم القيامة تشهد عليها الجوارح وتنطق الجلود، والرب تبارك وتعالى حاضر وناظر فما هذه السِّنة والرقود؟ قم فقد آن لك القيام، وتزود للسفر لدار المقام، وامنع عينيك لذيذ المنام، فمتى يحصل لك

---

(١) في (ق): «ماضي».

(٢) في (ق): «راتعة».

(٣) مثبت من (ق).

مثل هذه الأيام (فاقبل قول الناصح)[١] والسلام.

حكاية عن بعض الصالحين: ذكرها ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «عيون الحكايات» عن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان في بني إسرائيل عابد فلبث سبعًا لم يطعم هو وعياله شيئًا، فقالت له امرأته: لو خرجت فطلبت لنا شيئًا فخرج فوقف مع العمال فاستؤجر العمال، وصرف الله عنه الرزق، فقال: والله لأعملن اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر؛ فاغتسل ولم يزل راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى فأتى أهله، فقالت له امرأته: ماذا صنعت؟ قال: قد عملت مع أستاذي، وقد وعدني ثم غدا إلى السوق؛ فوقف مع العمال فاستؤجر العمال، وصرف الله عنه الرزق (فلم يستأجره أحد، فقال: والله لأعملن مع ربي، فجاء إلى ساحل البحر؛ فاغتسل ولم يزل راكعًا ساجدًا حتى إذا أمسى أقبل إلى منزله فقالت له امرأته: ماذا صنعت؟ قال: إن أستاذي قد وعدني أن يجمع لي الأجر؛ فخاصمته امرأته وأكثرت عليه فلبث يتقلب ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر، وصبيانه يتضاغون جوعًا، ثم غدًا إلى السوق.

ويروى أن ذلك كان يوم الجمعة الذي يجمع فيه الأجر فاستؤجر العمال، وصرف الله عنه الرزق فلم يستأجره أحد فقال: والله لأعملن اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل ولم يزل راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى قال: إلى أين أمضي؟ تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا. ثم تحامل على جهد منه؛ فلما قرب من باب داره سمع ضحكًا وسرورًا،

---

(١) في (ق): «ها قد نصحتك فيما قلته».

وشم رائحة قديد ورائحة شواء فأخذ على بصره، فقال: أنائم أنا أم يقظان؟ تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا، وأشم رائحة قديد ورائحة شواء، وأسمع ضحكًا وسرورًا، ثم دنا من باب داره فطرق الباب فخرجت امرأته حاسرة عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه)[١]، ثم قالت: يا فلان قد جاءنا رسول أستاذك بدنانير ودراهم، وكسوة وودك[٢] ودقيق وقال: إذا جاء فلان فأقرءوه السلام، وقولوا له: إن أستاذك يقول لك قد رأيت عملك فرضيته؛ فإن أنت زدتني في العمل زدتك في الأجر.

كما حُكي أنه كان في زمان مالك بن دينار أخوين مجوسيين يعبدان النار دون الملك الجبار، فقال الأخ الصغير لأخيه الأكبر: تعالى حتى نختبر هذه النار التي نعبدها طول عمرنا؛ فإذا أحرقتنا فإنا لا نعبدها، ونعبد الذي من عبده أجاره من حرها؛ فأوقدوا نارًا عظيمة ثم وضع الأصغر يداه فأحرقته فنادى وقال: أعبدك خمسًا وثلاثين سنة وأنت لا تنفعي من يعبدك، والله لا أعبدك أبدًا، وقال: يا أخي تعالى حتى نعبد إلهًا واحدا أحد لا يعذب من عبده.

فذهب إلى مالك بن دينار إلى البصرة، وكان يجلس في الجامع، ويعظ الناس ويدعو إلى الله تعالى فلما وقع بصرهما عليه. قال الأخ الأكبر: قد بدا لي أن لا أرجع عن عبادة النار، فقال الأصغر: لا تفعل فلم يقبل، وأعرض عن أخيه وانصرف؛ فلما فرغ مالك بن دينار وجلس

---

(١) مثبت من (ق) والقصة مختصرة جدًا في (ك).

(٢) الودك هو الدهن الخارج من الشحم المذاب. «غريب الحديث» لابن الجوزي (٢/ ٤٥٩).

إليه الشاب، وقص عليه القصة فعرض عليه الإسلام فتشهد، وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وأسلم أولاده؛ فأراد مالك بن دينار أن يجمع له شيئًا من الدنيا فامتنع من ذلك.

وانطلق هو وزوجته وأولاده إلى منزله، وكانت زوجته حاملًا فوضعت وليس معه نفقة فدخل المدينة لعل أحدًا يستأجره، فقال: يا رب إني لا أعمل إلا في خدمتك؛ فأنت كنت ترزقنا ونحن نعبد لغيرك أفلا ترزقنا ونحن نعبدك، ثم دخل مسجدًا مهجورًا فصلى إلى المغرب، ثم رجع إلى زوجته وأولاده وليس معه شيء من القوت فقال: إني عملت اليوم مع الملك، وعسى أن يعطينا من الغد فقيل: إن الله تعالى صبَّرهم ثلاثة أيام لا يجدون جوعًا ولا عطشًا.

فلما كان في اليوم الثالث وهو يوم الجمعة، قال: يا رب أسألك بعزتك أن ترزقني؛ فإني استحي من زوجتي وأولادي أن أرجع إليهم بغير شيء، وأخاف عليهم تغير الحال، وقام يصلي بعد أن صلى الجمعة، فقيل: إن الله تعالى بعث إلى أهله ملكًا في صورة شاب حسن الهيئة بيده طبق من ذهب مجلل[1]، وفيه مال جزيل فدفعه إلى زوجته، وقال: قولي لزوجك خذ هذا من أجرتك فالملك الذي عملت له يقول لك: إن زدت من العمل زدناك في الأجرة. فأصلحت زوجته ما يحتاجون إليه من مأكل ومشرب وحلوى؛ فلما أقبل الليل بكى الشاب وقال: ليت شعري ما حال أهلي، ثم جاء فدخل عليهم فتلقوه بالترحيب والفرح الشديد،

---

(١) مثبت من (ق) والقصة مختصرة جدًا في (ك).

وقال: ما رأينا ولا سمعنا بأكرم من هذا الملك الذي عملت له، وأخبروه فعلم الرجل أن ذلك من الله ﷻ؛ فدخل الرجل متعبده وقال: وعزتك لا عملت ما عشت إلا لك، وأخذ في العبادة حتى ذاب جسمه وتغير رسمه، ولم يزل على ذلك حتى مات رحمه الله تعالى.

وتُروى هذه الحكاية من طريق آخر أن أخوين كانا مجوسيين ثم جاء ليسلما بدا لأحدهما الإقامة على دينه فرجع وأسلم الآخر وحسن إسلامه وخرج يطلب الرزق لعياله وصرف عنه أيامًا وهو يقول لزوجته إني عملت مع الملك فلما كان يوم الخميس وصرف عنه الرزق فيه قال لزوجته إن غدًا يوم عظيم عند الملك -يعني يوم الجمعة- فلعله أن يبعث إلينا فيه ثم انصرف إلى عبادته على عادته فلما رجع إلى أهله وجد عندهم شيئًا كثيرًا فسألهم عنه فقالوا له: إن رسول الملك جاءنا به من عند الملك وقال قولوا له يكثر العمل في هذا اليوم يعني يوم الجمعة فإنه عند الملك عظيم وينال فيه العامل الربح الوافر العميم.

فجِد أيها العبد في خدمة مولاك في هذا اليوم الصالح، واسمع ما يقول لك الناصح، وتزود فيه لآخرتك فالكريم مسامح، واعلم أن نور الهدى على أهله لائح، وظلمة الجهل تُبدي لأهلها الفضائح، والطائع لله ﷻ كادح، ليلقى عمله الصالح في الضرائح، ويفوز يوم حشره بالمتجر الرابح، ويجتني ثمرات قبول هذه النصائح، وهذا والله حق والأمر واضح، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وارزقنا في هذا اليوم الغفران، والفوز بالجنان، والنجاة من النيران، وخذ بنواصينا فيه إلى الخير والطاعة، وعرفنا بركة الإجابة، وحسن الضراعة،

وأجب دعاءنا في ساعة يومنا المعدة للإجابة فيا نعم الساعة، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

المجلس السابع والعشرون

في فضائل ليلة الجمعة وما فيها من الخيرات المجتمعة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وكتب في قلوبهم الإيمان نطقًا، وأوقد لهم مصباح العرفان فساروا في أنواره وما انطفى، سيق لهم المقدور وأخرجهم من الظلمات إلى النور وكانوا على شفا، فلما أَلِفوا مناجاته تفتت أكبادهم شوقًا إليه وشغفا، شغلهم به عمن سواه فلا يجدون عن بابه مصرفا؛ فلو رأيتهم في جادة السلوك تذل لهم الملوك وتوقرهم الخلفا، فلو أطلعت عليهم في خلوة الأسحار، وقد تجلى عليهم الجبار فتراهم قائمين لله حنفا، فإذا دعوه أجابهم يا معشر العاملين لا تخافوا من الهجر جنفا، فأنا (الله)[1] ربكم قد علمت ما ظهر وخفا.

أحمده أن (خصنا)[2] بليلة الجمعة ذات الوفا، ويومها المبارك المكمل قدرًا وشرفًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو حسبنا وكفى، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المجتبى، ونبيه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين استخرجوا جواهر معادن الإيمان، وتركوا ما كان صدفا، وسلم تسليمًا كثيرًا. اللهم اجعلنا في هذه الليلة الشريفة ممن قبلت عمله، وغفرت زلته، وبوأته من الجنة منزلة برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

فصل

عباد الله، اعلموا أن ليلة الجمعة هي الليلة الغراء التي أَعظم الله تعالى لها قدرًا، وحط عن التائبين فيها وزرًا، وجعلها لهم عنده ذخرًا، فيا سعادة من وفى فيها بما عليه من الحقوق، وتجنب فيها الإثم والعقوق، وحاد عن الرفث والفسوق، وخاف الخالق ولم (يحاب)[1] المخلوق.

وخرج الترمذي في «جامعه»[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه»**، وتقدم ما خرجه البيهقي في «شعب الإيمان»[3] عن النبي ﷺ أنه قال: **«من صلى عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة؛ قضى الله له مائة حاجة؛ سبعين من حوائج الدنيا، وثلاثين من حوائج الآخرة»**، وقد تقدم ما رواه ابن زنجويه في كتاب «الترغيب والترهيب»[4] بسنده، والشيخ عبد القادر

---

(١) في (ك): «يجافي».

(٢) الترمذي (٢٨٨٩) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهشام أبو المقدام يضعف، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة هكذا قال أيوب و يونس بن عبيد و علي بن زيد.أ هـ وضعفه المنذري (١٠٩٩).قال المناوي في «فيض القدير» (٨٩٣٩): هو ضعيف منقطع لكن له شواهد.قلت: من شواهده ما رواه الترمذي (٢٨٨٨) من حديث أبي هريرة مرفوعا «من قرأ حم الدخان في ليلة؛ أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، و عمر بن أبي خثعم يضعف.قال محمد: منكر الحديث.

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

(٤) تقدم تخريجه قريبا.

من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «**إن لله في كل ليلة جمعة أو قال يوم الجمعة ستمائة ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا النار**».

وذكر الشيخ علاء الدين ابن اللبودي الحنبلي في «الترغيب والترهيب» للحافظ التيمي فيما ذيَّل عليه عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما أنه قال: إذا كان يوم الخميس عند العصر؛ أهبط الله ملائكة من السماء إلى الأرض معهم صحائف من فضة بأيديهم أقلام من ذهب، تكتب الصلاة على رسول الله ﷺ من ذلك اليوم، وتلك الليلة إلى الغد إلى غروب الشمس.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ في ليلة الجمعة حم الدخان؛ بنى الله لم بيتًا في الجنة**»[1]، وجاء عنه ﷺ أنه قال)[2]: «**من قرأ سورة البقرة، وآل عمران في ليلة الجمعة؛ كان له من الأجر كما بين لبيد وعروبا» فلبيد الأرض السابعة السفلى، وعروبا السماء السابعة**»[3] وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**من قرأ يس ليلة الجمعة غفر له**»[4]، وروي عنه ﷺ أنه قال: «**من صلى بعد المغرب ركعتين في ليلة الجمعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١]**

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٦٤) من حديث أبي أمامة مرفوعا: «من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة؛ بنى الله له بيتا في الجنة» قال الهيثمي (٣٠١٧): فيه فضال بن جبير؛ ضعيف جدا.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) رواه أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (٩٤٧) عن عبد الواحد بن أيمن مرسلا.

(٤) رواه أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (٩٤٨) وضعفه المنذري (١١٠٠).

خمس عشرة مرة؛ هون الله عليه سكرات الموت، وأعاذه من عذاب القبر، ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة»[١].

وروى ابن بشكوال[٢] في كتاب «القربة إلى رب العالمين» بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم الخميس؛ بعث الله ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب؛ يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس صلاة على النبي ﷺ**».

وفيه[٣] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الزهراء واليوم الأغر؛ فإن صلاتكم تعرض عليّ فأدعوا لكم واستغفر، والليلة الزهراء ليلة الجمعة، واليوم الأغر يوم الجمعة**».

وفيه عن ابن وضاح قال: بلغني أنه من قال عشية خميس بعد العصر: اللهم رب الشهر الحرام والمشعر الحرام، والركن والمقام ورب الحل والحرام؛ أقرئ محمدًا مني السلام إلا بعث الله ملكًا؛ فبلغه عنه يقول:

---

(١) قال العراقي (١/ ١٦٠): رواه المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب «فضائل القرآن»، وإبراهيم بن المظفر في كتاب «وصول القرآن للميت» من حديث أنس، ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه، ومن حديث ابن عباس أيضا، وكلها ضعيفة منكرة، وليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء.أ هـ قال المناوي في «فيض القدير» (٨٨٠٦): قال ابن حجر في «أماليه»: سنده ضعيف.

(٢) رواه تمام (١٢٦٦)، وابن عساكر (٤٣/ ١٤٢). قال الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٥٨): موضوع.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٤١). قال الهيثمي (٣٠٢٥): فيه عبد المنعم بن بشير الأنصاري؛ ضعيف. أ هـ والحديث ضعفه السخاوي كما في «كشف الخفا» (٥٠١).

إن فلان بن فلان يبلغك السلام.

وفيه[1] عن أنس بن مالك خادم النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن أقربكم مني يوم القيامة مجلسًا؛ أكثركم عليّ صلاة في دار الدنيا**»، (وفيه قال)[2]: «**من صلى عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة؛ قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ويوكل بذلك ملكًا يدخله عليَّ في قبري كما تدخل عليكم الهدايا، ويخبرني بها بمن صلى عليّ باسمه ونسبه إلى عشيرته، فأُثبته عندي في صحيفة**» كذا رواه، وظاهره أن هذا الثواب يحصل بالصلاة عليه ﷺ مرة واحدة؛ فإنه لم يذكر فيه عددًا، وتقدم ما ذكره البيهقي من الصلاة عليه مائة مرة فإنه يحصل له ذلك والله يضاعف لمن يشاء.

وثبت في «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم وهو قائم يصلي؛ يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه**»[3] فإذا كان هذا في كل ليلة فكيف تكون ليلة الجمعة المباركة وما يرجى فيها من الكثير؟ كما سيأتي في هذا الحديث.

فصل

قال شيخنا الشيخ شمس الدين المنبجي الحنبلي نقل من خط القاضي

---

(١) من حديث أنس رواه البيهقي في «الشعب» (٣٠٣٥)، وفي «فضائل الأوقات» (٢٧٦) وتقدم تخريجه قريبا.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

السعيد أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي البغدادي تغمده الله برحمته، قال: مسألة: ذكر أصحابنا أن ليلة الجمعة أفضل من ليلة القدر وحكى القاضي أبو يعلى أن أبا الحسين التميمي كان يقول: الليلة التي أنزل فيها القرآن هي أفضل من ليلة الحمعة؛ فأما أمثال تلك الليلة من ليالي القدر؛ فليلة الجمعة أفضل منها.

وحكى لي أبو طاهر محمد بن العبادي أن أبا الحسن الجزري -وهو من مشايخ الحنابلة- كان يقول: ليلة الجمعة أفضل، وحكى لي أبو القاسم الموزني عن أبي عبد الله بن بطة أنه قال: ليلة الجمعة أفضل، وحكى لي أبو العباس البرمكي أنه وجد بخط (ابن)[1] أبي حفص الدلالة على أن ليلة الجمعة أفضل؛ لقول النبي ﷺ: «الليلة الغراء».

(قال)[2]: ورأيت أقوامًا من أهل العلم ينكرون ذلك ويفضلون ليلة القدر عليها، والوجه لما ذهب إليه أصحابنا ما (حدثنا به أبو محمد الحسن بن محمد قال)[3]: حدثنا أبو حاتم محمد بن عبد الواحد بن زكريا الرازي، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن الخليل قال: حدثنا محمد بن سيما الكاتب قال: حدثنا عتيق بن محمد قال: حدثنا إسحاق بن بشر قال: حدثنا مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال

---

(١) في (ك): «أبيه».

(٢) مثبت من (ق).

(٣) مثبت من (ق).

رسول الله ﷺ: «**يغفر الله ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين**»(١)، وهذه فضيلة لم تجيء لغيرها، وروي عنه ﷺ: «**أكثروا من الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر؛ ليلة الجمعة ويوم الجمعة**»(٢).

ومنه قول النبي ﷺ: «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء**»(٣) والغرة من الشيء خياره ومنه قوله في الجنين: «**غرة عبد أو أمة**»(٤)، (ولأن ليلة الجمعة معلومة بعينها وليلة القدر غير معلومة بعينها، ولأن ليلة الجمعة تابعة ليومها، وقد جاء في فضل يومها ما لم يجيء لليلة القدر)(٥)، (فروى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ)(٦): «**ما طلعت شمس على يوم أعظم عند الله من يوم الجمعة، ولا أحب إليه منه**»(٧) وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تفزع ليوم الجمعة إلا هذين الثقلين من الجن والإنس**»(٨).

---

(١) ذكره الآلوسي في «روح المعاني» (٣٠/ ١٩٣)، والضحاك هو ابن مزاحم لم يسمع من ابن عباس.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة (٢٤٦).

(٤) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٥٤٢٦).

(٥) مثبت من (ق).

(٦) في (ك): «ولأن رسول الله ﷺ قال».

(٧) من حديث أبي هريرة رواه الترمذي (٣٣٣٩) قال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، و موسى بن عبيدة يضعف في الحديث؛ ضعفه يحيى بن سعيد وغيره.

(٨) رواه أحمد (٧٦٧٣)، وابن حبان (٢٧٧٠). صححه المنذري (١٠٤١).

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «**سيد الأيام يوم الجمعة وهو شاهد، ومشهود له يوم عرفة**»[١] وروى أبو موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة، وهي زهراء منيرة؛ أهلها محفوفون بها كالعروس تُهدى إلى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها الواضح كالثلج، وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في حال[٢] الكافور ينظروا إليهم الثقلان ما يُطرفون تعجبًا حتى يدخلوا الجنة**»[٣].

روى أبو لبابة بن عبد المنذر أن رسول الله ﷺ قال: «**يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهي وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر والأضحى**»[٤]. وروى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أن أحدكم اكتسب الذنوب بعدد الشجر وأوراقها، ثم شهد الجمعة؛ لغلب حق الجمعة على ذنوبه**»[٥].

---

(١) هذا الحديث ملفق من حديثين الأول سيد الأيام يوم الجمعة، وتقدم تخريجه والثاني: وهو أن يوم الجمعة هو الشاهد رواه الترمذي من حديث أبي هريرة (٣٣٣٩). قال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث؛ ضعفه يحيى بن سعيد وغيره.

(٢) هو الطين.

(٣) رواه ابن خزيمة (١٧٣٠) وصححه الحاكم (١٠٢٧)، وأقره الذهبي. قال الهيثمي (٣٠٠٤): فيه الهيثم بن حميد عن حفص بن غيلان؛ وثقهما قوم وضعفهما آخرون، وهما محتج بهما. قال المنذري (١٠٤٢): إسناده حسن، وفي متنه غرابة.

(٤) تقدم تخريجه

(٥) لم أقف عليه بعد البحث.

وروى أبي داود في «سننه» بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعوا الله بشيء إلا أعطاه إياه**».

وذهب المخالف إلى أشياء: منها قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، والجواب أن هذه الآية وردت على سبب فأخبرنا أبو الحسين محمد بن علي بن مخلد قراءة عليه قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسعدة الفزاري قال: (حدثنا إبراهيم بن الحسين قال: حدثنا آدم قال)[1]: حدثنا (السريجي)[2] قال: حدثنا ابن أبي نجيح قال: بلغني أنه كان في بني إسرائيل رجل لبس السلاح ألف شهر في سبيل الله لم يضعه عنه؛ فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأصحابه فتعجبوا من قوله، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني؛ خيرًا لكم من تلك الألف شهر التي لبس فيها ذلك الرجل السلاح في سبيل الله فلم يضعه عنه.

قال: وإذا كان سبب نزولها هذا الوجه؛ امتنع أن يكون القصد بها فضلها على غيرها من ليلة الجمعة، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها جمعة، كما أن تقديرها عندهم هي خير من ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، (أنبأنا)[3] أبو الحسين قال أنا أبو عبد الله ابن جعفر بن حشيش قال: ثنا الحسين بن أبي الربيع قال: ثنا عبد الرزاق

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ك): «الشرايخي».

(٣) في (ق): «أخبرنا».

قال: ثنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال: ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

فإن قيل: لا يصح هذا التأويل؛ لأن الشهور لم تخل فيما مضى وفيما (بقي)[1] من ليلة الجمعة، وقد كانت خالية من ليلة القدر؛ لأنها حدثت بحدوث شهر رمضان، قيل: لا فرق بينهما، وذلك أن مثل الليلة التي أنزل فيها القرآن لم تخل فيما سلف، ولكن فضل هذه الليلة حدث بحدوث الإسلام، وكذلك فضل يوم الجمعة وليلته لم يزل فيما سلف، وفضيلتهما حدثت بحدوث الإسلام.

واحتج أيضًا بقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وإنه قيل: أنها ليلة القدر. والجواب: أنه قيل أنها ليلة النصف من شعبان على أن أكثر ما في هذا أن لها فضيلة في نفسها، ونحن لا ننكر ذلك وخلافنا في فضيلتها على غيرها، وليس في الآية (دلالة)[2] على ذلك، وهكذا الجواب عن جميع ما رُوي من الأخبار في فضلها أن ذلك يدل على فضلها في نفسها، وليس فيه دلالة على فضيلتها على غيرها، وقد روى في فضلها أخبار؛ فروى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا فكان إذا أراد الله ﷻ أن يحدث منه شيئًا أحدثه.

(وروى ابن الجوزي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ

(١) في (ق): «يأتي».
(٢) في (ك): «دليل».

ﭐللَّهُ لَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال: ليلة القدر)[١] . وروى الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة قال: ذقت ماء البحر ليلة سبع وعشرين؛ فإذا هو عذب. وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٢]، وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ يعني من عبادة ألف شهر؛ بصيام نهارها وقيام ليلها ليس في تلك الشهور مثلها»[٣]؛ فمن تعبد في تلك الليلة فقد فاز بعبادة ألف شهر.

وروى أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كان ليلة القدر؛ هبط جبريل في كبكبة من الملائكة له جناحان أخضران منظومان بالدر والجوهر والياقوت لا يلبسهما جبريل في كل سنة إلا ليلة واحدة، وذلك قوله** ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾»[٤]، وأما الملائكة فهم تحت سدرة المنتهى، وأما الروح فهو جبريل. وروى معمر عن قتادة في قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ * (سَلَٰمٌ)[٥]﴾ قال: بقضاء ما يكون في السنة إلى مثلها، وروى الأعمش عن مجاهد ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ قال: ليلة سالمة لا يحدث فيها حدث، ولا يرسل فيها شيطان.

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) البخاري (١٨٠٢) ومسلم (٧٦٠).

(٣) لم أقف عليه مرفوعا، وورد عن مجاهد موقوفا عند عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٣٨٦)

(٤) البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧١٧) وقال قال أحمد: تفرد به محمد بن عبد العزيز هذا عن أصرم بن حوشب الهمداني. أهـ وأصرم؛ متروك.

(٥) مثبت من (ق).

والجواب: أن هذه الأخبار تدل على فضلها في نفسها، فأما أن تدل على فضلها على غيرها فلا، وقد قابلها مثلها في الأخبار في فضل الجمعة، وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات يوم الجمعة؛ وقاه الله فتاني القبر**»[١]، وروى ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ليلة جمعة إلا وينظر الله تعالى إلى خلقه ثلاث مرات؛ فيغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا**»[٢]، وروى جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة؛ أجير من عذاب الله ﷻ، ويجيء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء**»[٣].

(وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم الجمعة ولا ليلة الجمعة إلا ويطَّلع الله تعالى إلى دار الدنيا؛ فيعتق مائتي ألف عتيق من الموحدين ممن قد استوجب ذلك**)[٤]»[٥] وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلة الجمعة ليلة غراء، ويومها يوم أزهر، وإن ملكين أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب؛ يناديان بعد عشاء الآخرة ليلة الجمعة ونصف الليل وبالأسحار هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مستجير فيجار؟ هل**

---

(١) تقدم تخريجه صـ ٧٥٨ .

(٢) رواه أبو حنيفة كما في شرحه للقاري (١/ ٥٨٧).

(٣) تقدم صـ ٧٥٨ .

(٤) مثبت من (ق).

(٥) تقدم تخريجه قريبا .

من مستغيث فيغاث؟»[١].

واحتج بأن النبي ﷺ نهى أن تخص ليلة الجمعة بقيام ويومها بصيام، وحث على العمل ليلة القدر فقال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» ؛ فدل على أن العمل فيها أفضل من العمل في ليلة الجمعة.

والجواب عنه: أن نهيه ﷺ عن إفرادها بالعمل لا يدل على نقصان فضلها، وفضيلة غيرها عليها ألا ترى أنه نهي عن الصلاة بعد صلاة العصر وبعد صلاة الفجر؟ وقول النبي ﷺ: «**صلاتان تشهدهما ملائكة الليل وملائكة النهار يصعد (هؤلاء)**[٢] **وينزل (هؤلاء)**[٣]»[٤]. وكذلك نهى عن صوم العيدين وأيام التشريق، وهي أفضل من غيرها من الأيام، وقد قيل: أنه أنه نهى عن إفرادها بالقيام تعظيمًا لها حتى (لا)[٥] يتقدمها قيام كما نهى أن يستقبل الشهر باليوم واليومين تعظيمًا له.

ويحتمل أن يكون نهى أن تخص ليلتها بقيام؛ لئلا يغلب عليه النوم في يومها؛ لأنه منتظر لصلاة الجمعة، ونهى عن صيام يومها لوجهين:

---

(١) من حديث أنس رواه البيهقي في «الشعب» (٣٨١٥) مختصرا، وقال: تفرد يه زياد النميري الراوي عن أنس، وعنه زائدة بن أبي الرقاد. قال البخاري زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري؛ منكر الحديث.

(٢) في (ك): «هذا».

(٣) في (ك): «هذا».

(٤) رواه أحمد (٨٥١٩) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) ليست في النسختين، والسياق يقتضيها.

أحدهما: أنه يسمى عيدًا، وقد نهى عن صيام يوم العيد.

الثاني: لئلا يضعف في مقامه في الجامع.

قال: ونظرت فيما ألفه أحمد بن الحسين بن يعقوب بن (قاسم)[١] المقرئ في هذه المسألة فقال: فأما السؤال الذي وقع الاختلاف فيه في ليلة الجمعة وليلة القدر أيهما أفضل؟ فذهب كل واحد من أصحابنا إلى تعظيم أحدهما؛ قولان شائعان بين الأصحاب، وكثير من دلائل العقول على صواب قول كل واحد منهما؛ فليس يجوز لأحد أن يطلق الخطأ لقائل منهما، واعتمد في تفضيلها عن شيئين:

أحدهما: أن ليلة الجمعة معينة بالأزمنة ومعقولة مشهودة، يشهد (بها)[٢] الخاص والعام من ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وبصير وضرير وتصل بركتها إلى الأحياء والأموات، وليلة القدر غير معينة فهو حد قد توجد وقد لا توجد.

والثاني: أن ليلة (الجمعة)[٣] تتكرر؛ فثوابها يزيد على ليلة واحدة ألا ترى أن النبي ﷺ لما حفظ عنه تفضيل رجل معين على رجل معين سماهما، وذكرهما بالفضل، ثم رجح أحدهما على الآخر فمات الفاضل منهما في حياته، وبقى المفضول ثم (مات)[٤] فذكر فضله

(١) في (ق): «مقسم».
(٢) مثبت من (ق).
(٣) مثبت من (ق).
(٤) مثبت من (ق).

ورجحه على صاحبه فقيل: يا رسول الله أليس قد كنت ذكرت أن ذلك أفضل؟ فقال النبي ﷺ «**فأين صلاته بعد صلاته، وأين صيامه بعد صيامه، وأين صدقته بعد صدقته**»(١) وجعل يعدد أعمال البر التي زادها ثوابه وتضاعف؛ فقد علم أن ذلك الفضل إنما كان أكثر وأزيد، وبيَّن أن ما ورد في (فضل)(٢) ليلة القدر يدل على فضلها في نفسها. آخر المسألة انتهى.

قال شيخنا شمس الدين المنبجي الحنبلي: ونظرت فيما خرجته عن أبي حفص ابن شاهين؛ فذكر أشياء تدل على فضل ليلة القدر على ليلة الجمعة، واختار ذلك:

منها: أن أول ما نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة. رواه ابن عباس قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا فكان الله تعالى إذا أراد أن يحدث منه شيئًا أحدثه، وهذه فضيلة لا يساويها غيرها.

ومنها: أنه فضَّلها وأمر الخلق بطلبها رواه ابن عباس في قوله ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: ليلة القدر.

ومنها: أن الله جعلها ليلة الحكم التي يقضي الله فيها قضاء السنة كلها من حياة وموت وحج، وروى ذلك عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ

---

(١) من حديث عبيد بن خالد رجل من بني سليم رواه أحمد (١٧٩٥٢)، وأبو داود (٢٥٢٤) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح

(٢) مثبت من (ق).

أَنزَلْنَهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ قال: ليلة الحكم.

ومنها: أن الله جعلها أفضل ليلة في أفضل شهر، واختار من الليالي كلها ليلة القدر، ورُوي ذلك عن كعب أنه قال: إن الله تعالى اختار الساعات؛ فاختار ساعات أوقات الصلوات، واختار الأيام؛ فاختار يوم الجمعة، واختار الشهور؛ فاختار رمضان، واختار الليالي؛ فاختار ليلة القدر.

ومنها: أن الله تعالى لم يكشفها لأحد من الأولين والآخرين، ولا النبيين والمرسلين في (نوم ولا يقظة)[1] إلا لنبينا محمد ﷺ؛ فإنه لما أنزلها عليه وعرفه قدرها أراه إياها في منامه، وعرفه في أي ليلة تكون؛ فأصبح بها عالمًا، وأراد أن يخبر الناس بها لسروره بها فتلاحى بين يديه رجلين فأُنسيها، وأمر بطلبها في ليالي العشر لأنهم (لا)[2] يرونها مكاشفة أبدًا، ولكن يلتمسوا فضلها في الليالي المسماة، وجعل فيها من الخير والبركة ما لا يجعل في ليلة الجمعة ولا غيرها، ولم يرها أحدًا بعده، (ومن ادَّعى رؤيتها بعد النبي ﷺ فقد أبطل، ويسأل أيش رأى حتى تتبين فضيحته)[3].

ومنها: ما روى أُبي بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين؛ أنها ليلة طلقة طيبة ليست بالباردة**

---

(١) في (ك): «يوم ولا ليلة».

(٢) ليست في النسختين، والسياق يقتضيها.

(٣) مثبت من (ق).

ولا الحارة، وإن الشمس تصبح في تلك الليلة ليس لها شعاع، ومن استطاع أن يغتسل (لها)[١]، ويؤخر فطرها إلى السحر، ثم ليكن أول مفطر عليه ضيح من لبن»[٢] والضيح؛ لبن ممزوج.

ومنها: ما رواه عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ليلة القدر كأن فيها قمرًا، ولا يحل لنجم أن يرمى به في تلك الليلة حتى الصباح، وإن من أمارتها أن الشمس تطلع لا شعاع كأنها القمر ليلة البدر، وحرم الله على الشياطين أن تخرج معها يومئذ**»[٣].

ومنها: ما روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الملائكة تلك الليلة -يعني ليلة القدر- أكثر من عدد الحصى**»[٤].

ومنها: ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٥].

---

(١) في (ق): «فيها».

(٢) أخرج جزئه الأخير ابن أبي شيبة (٨٦٧٧) من حديث زر بن حبيش موقوفا عليه. قال ابن رجب في «اللطائف» (١/ ٢٠٧): رواه بعضهم عن أبي بن كعب مرفوعا ولا يصح. أ هـ وبنحوه مرفوعا من حديث أبي بن كعب رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤٢٨٦).

(٣) رواه أحمد (٢٢٨١٧) قال الهيثمي (٥٠٤١): رجاله ثقات. أ هـ وقال شعيب الأرنؤوط: الشطر الأول من الحديث حسن، وأما الشطر الثاني فمحتمل للتحسين لشواهده، وإسناد هذا الحديث ضعيف.

(٤) أحمد (١٠٧٤٥)، والطيالسي (٢٥٤٥). قال الهيثمي (٥٠٤٢): رجاله ثقات. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين.

(٥) تقدم تخريجه.

ومنها: ما روى عبدة بن أبي لبابة قال: ذقت ماء البحر ليلة سبع وعشرين فإذا هو عذب.

والجواب: أن بعض هذه الأدلة قد تقدم ذكرها، وقد أجبنا عنه، وبعضها يفيد إثبات فضيلة لها في نفسها، ولسنا نمنع من ذلك، وإنما خلافنا في فضلها على غيرها، وليس فيها ما يدل على ذلك، والله أعلم. انتهى، وقال القاضي شمس الدين بن مفلح الحنبلي في كتاب الفروع له.

فصل

وليلة القدر؛ أفضل الليالي، وهي أفضل من ليلة الجمعة، وذكره الخطابي إجماعًا. وذكر ابن عقيل روايتين إحداهما هذا، والثانية ليلة الجمعة أفضل، وعلله بأنها تتكرر وبأنها تابعة لما هو أفضل الأيام، وهو يوم الجمعة.

قال صاحب المحرر: وهي اختيار ابن بطة وأبي الحسن الجزري وأبي حفص البرمكي، واحتجوا بأن الليلة تابعة ليومها، وفيه ما لم يذكر في فضل يوم ليلة القدر، ولبقاء فضلها في الجنة لأن في قدر يومها تقع الزيارة إلى الحق ﷻ كما رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة وإسناده حسن.

وقال أبو الحسن التميمي: ليلة القدر التي نزل فيها القرآن أفضل من ليلة الجمعة؛ فأما أمثالها من ليالي القدر فليلة الجمعة أفضل (وذكره أبو بكر ابن العربي المالكي في «العارضة»)[1]، وذكر غيره أن يوم الجمعة

---

(١) مثبت من (ق).

أفضل الأيام. وقال (شيخنا -يعني شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية-)[١]: هو أفضل أيام الأسبوع إجماعًا، ويوم النحر أفضل الأيام في العام، (وكذا ذكره جده صاحب المحرر في صلاة العيد من شرحه منتهى الغاية؛ أن يوم النحر أفضل)[٢].

وهل يوم عرفة أفضل أو يوم الجمعة؟ ذكر أبو حكيم أن يوم عرفة أفضل وهذا أظهر، وقاله أكثر الشافعية، وقال بعضهم: يوم الجمعة أفضل؛ فظهر مما سبق أن هذه الأيام أفضل من غيرها، (قال: ويتوجه على اختيار شيخنا يوم النحر يوم القر الذي يليه؛ لأنه احتج بقوله ﷺ: **«أعظم الأيام عند الله تعالى يوم النحر، ثم يوم القر»**[٣]. انتهى)[٤].

ثم قال: فليلة الجمعة هي الليلة المحترمة، وهي عند المسلمين معظمة، ولهذا يكف كثير من العصاة عن ارتكاب المعصية فيها؛ لما أوقع الله تعالى في قلوبهم من احترامها، ويرون أن من انتهك المعاصي والمحارم فيها عوجل بالعقوبة ولا يمهل؛ فنعوذ بالله من المخالفة والعصيان، ونسأله الرضا عنا والغفران، وأن يتوفانا على الإيمان ويسكننا عنده فسيح الجنان مع الذين أنعمت عليهم من النبيين،

---

(١) في (ك): «غيره».

(٢) مثبت من (ق).

(٣) من حديث عبد الله بن قرط رواه أحمد (١٩٠٩٨)، وأبو داود (١٧٦٥)، وصححه ابن خزيمة (٢٨٦٦)، والحاكم (٧٥٢٢) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات. قال الأعظمي: إسناده صحيح.

(٤) مثبت من (ق).

والصديقين، والشهداء، والصالحين، وجميع المسلمين.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، ووفقنا في هذه الليلة المباركة لصالح العمل، وجنبنا كل قبيح وزلل، وألهمنا السداد في الأفعال والأعمال إلى أن يحضر الأجل، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

المجلس الثامن والعشرون

في اليوم والليلة وقيام الليل والجد والاجتهاد في بقية العمر (وأخذ الزاد ليوم الميعاد وفضائح العباد)[(١)]

الحمد لله مسبب الأسباب، ومانح الثواب، وفاتح الأبواب، خلق خلقه بقدرته من تراب، وسترهم في ظلمات (الأحشاء بالحجاب)[(٢)]، ثم أخرجهم وأخرج لهم عذب الشراب، من بين فرث ودم يجري في ألطف السغاب، وصرفهم بتدبيره بين المشيب والشباب، وقارب بينهم بالتعريف والأنساب، وفارق بين أخلاقهم وبيَّن الآداب، وقسمهم بين (عي)[(٣)] وفصيح الخِطاب، وبيَّن لهم أسباب الخطأ وأسباب الصواب، وشرح لهم الجزاء من الثواب والعقاب، (وقدَّر أعمارهم بالأنفاس بين الإقبال والذهاب)[(٤)]، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١].

أحمده حمدًا كثيرًا مع الأنفاس، وأشكره شكرًا يملأ سائر الكتب (والأطراس)[(٥)]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في (إيجاد

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) في (ق): «الأرحام بكثيف الحجاب».

(٣) في (ق): حاشية: «المعنى خلاف البيان عني وعيايا» ويحرر.

(٤) مثبت من (ق).

(٥) في (ق): حاشية: «الطرس: الصحف».

الجنة والنار)[١]، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله بيقين ينسخ شكوك الألباس، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه سادات (الأكياس)[٢]، وعلى أزواجه الطاهرات من رذائل الأدناس، وعلى التابعين لهم بإحسان (صلاة دائمة بعدد الأنفاس)[٣]، وسلم تسليمًا كثيرًا.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وألهمنا مبادرة الأوقات واغتنام الساعات، وإخلاص الطاعات وأعمالًا تصلح للممات، وانفعني والحاضرين بلطفك، وعُدْ علينا بمنِّك وعطفك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل

عباد الله، اعلموا أن الأعمار مقدَّرة بالشهور والأعوام، والبقاء في الدنيا يفنيه مرور الليالي والأيام؛ فساعات العمر محصورة بالعد، وأوقات الحياة معلومة بالحد، فما ظنكم بعمر تفنيه الأنفاس بمرورها والأيام والليالي بكرورها؟ كيف يلهوا صاحبه بلذات نفسه، عن ذكر مماته وحلول رمسه[٤]؟.

---

(١) في (ك): «الإيجاد والناس».

(٢) في (ك): «الناس».

(٣) في (ق): «ما بقي جنس من الأجناس».

(٤) هو القبر. انظر النهاية في «غريب الحديث» (٢/ ٦٣٩).

وفي «صحيح البخاري»[١] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»** ومعناه؛ أن من أنعم الله عليه بهاتين النعمتين، وهما صحة الجسد بالعافية التي هي التاج على رءوس الأصحاء ولا يراها إلا أهل السقم، والفراغ من شواغل الدنيا وعلقها؛ فمن حصل له هاتان النعمتان، واشتغل عن القيام بواجب حق الله تعالى عليه فهذا هو الذي قد غُبن بضياع حظه ونصيبه من طاعة الله تعالى، وبذل النفس في الخدمة، وتحصيل ما ينفعه لآخرته من أنواع الطاعات والقربات وبالله التوفيق.

وفي الترمذي[٢] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال سبعا؛ هل تنظرون إلا فقرا منسيا؟ أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال؛ فشر غائب ينتظر أو الساعة؛ فالساعة أدهى وأَمَر»** قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

قال حجة الإسلام الغزالي في ربع المنجيات من «إحياء علوم الدين»: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**[٣].

---

(١) من حديث ابن عباس رواه البخاري (٦٠٤٩).

(٢) الترمذي (٢٣٠٦).

(٣) رواه الحاكم (٧٨٤٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي. وصححه المنذري (٥٠٨١).

وفي «المسند»[١] عن مالك بن الحويرث قال: قال عمر -يعني ابن الخطاب- رضي الله عنه: التؤدة في كل شيء خير إلا ما كان من أمر الآخرة.

وفيه أيضًا عن العلاء بن زياد رضي الله عنه قال: ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم يقول: يا أيها الناس إني يوم جديد، وأنا على ما يُعمل فيَّ شهيد، وإني لو (آبت)[٢] شمسي لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة.

وروى ابن الجوزي بسنده عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من يوم طلعت شمسه إلا يقول: من استطاع أن يعمل فيَّ خيرًا فليفعل؛ فإني غير مكرور عليكم أبدًا، (وما من ليلة طلعت نجومها إلا هي تقول: من استطاع أن يعمل في خير فليفعل؛ فإني غير مكرور[٣] عليكم أبدًا)[٤]، وما من يوم إلا ينادى مناديان في السماء (يقول أحدهما: يا طالب الخير أبشر، يقول أحدهما: يا طالب الشر أقصر وما من يوم إلا ينادي مناديان في السماء)[٥] يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسك مال تلفًا»[٦].**

---

(١) لم أجده في مسند أحمد وهو عند ابن أبي شيبة (٣٥٦١٩) والبيهقي في «الشعب» (١٠٦٠٤)، وورد مرفوعا من حديث سعد عند أبي يعلي (٧٩٢) قال حسين سليم أسد: رجاله ثقات. وصححه الحاكم (٢١٣) وأقره الذهبي.

(٢) في (ق): «قد غابت».

(٣) كذا في (ق):، ولعل الصواب «مكرورة».

(٤) مثبت من (ق).

(٥) مثبت من (ق).

(٦) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٤٠) وقال: هذا منقطع.

وذكر السري هناد بن السري التميمي والكوفي قال: حدثنا أبو الأحوص، عن منصور، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن عمرو قال: ما من صباح إلا وملكان يقولان: اللهمَّ أعط كل منفق خلفا، وأعط كل ممسك تلفا، وملكان يقولان: سبحان الملك القدوس، وملكان موكلان بالصور ينظران متى يؤمران فينفخان.

قال سبط بن الجوزي في «مرآة الزمان»: قال كعب الأحبار: وكَّل الله تعالى بصحن بيت المقدس ملكين يقول أحدهما: اللهمّ أعط منفق خلفًا ويقول الآخر: اللهمّ أعط كل ممسك تلفا. قال ابن عباس: يقول أحدهما: ليت الخلائق لم يُخلقوا، ويقول الآخر: وليتهم إذ خُلقوا لم يُبعثوا.

وفي «المسند» عن عبيد بن عمير ﵁ قال: ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن مضى[1]. وكان الحسن البصري يقول: عجبًا لأقوام أمروا بالزاد، ونُودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم وهم قعود يلعبون. وكان شميط بن عجلان يقول: يا ابن آدم إنما الدنيا غداء وعشاء؛ فإن أخرت غداءك إلى عشائك؛ أمسى ديوانك في ديوان (الصائمين)[2]. وكان عون بن عبد الله يقول: ما أنزل الموت كُنه منزلته من عدَّ غدًا من أجله كم من مستقبل يومًا لا يستكمله؟ وكم من مؤمل لغد لا يدركه؟ إنكم لو رأيتم الأجل وسيره؛ لأبغضتم الأمل وغروره.

---

(١) لم أقف عليه عند أحمد وهو في حلية الأولياء (٣/ ٢٦٩) من طريق أحمد.

(٢) في (ك): «الصالحين».

وفي أفراد مسلم[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير؛ احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

وروى عبد الله قال: ثنا أبي يعني الإمام أحمد عن ابن شوذب قال: سمعت فرقدًا يقول: أنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه؟ فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نقيين، وأنتم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل.

وعن وهب بن منبه قال: صامت امرأة من بني إسرائيل ستين سنة لم تفطر قلنا لوهب: وكيف كان أمرها؟ قال: صامت أول يوم فلما أرادت أن تفطر قالت: ما أدري لعل أجلي يكون في هذه الليلة فألقى الله تعالى صائمة فلم تفطر؛ فلما كانت الليلة الثانية حدثت نفسها بمثل ذلك فلم تزل على ذلك حتى تمت ستون سنة، ثم ماتت صائمة. وقالت داية داود الطائي: يا أبا سليمان أما تشتهي الخبز فقال: يا داية بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية. وكان بعض الحكماء يقول: أعز الأشياء شيئان؛ قلبك ووقتك؛ فإذا أهملت وقتك وضيعت قلبك؛ فقد ذهبت منك الفوائد.

---

(١) مسلم (٢٦٦٤).

وفي «المسند»[١] عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: زوجني أبي امرأة من قريش؛ فلما دخلت عليها جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة؛ فجاء عمرو بن العاص إلى كنّته حتى دخل عليها فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال أو كخير البعولة من رجل لم يفتش لنا كنفًا، ولم يعرف لنا فراشًا؛ فأقبل عليّ فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت قال: ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني فأرسل إليّ النبي ﷺ فقال لي: **«أتصوم النهار؟»** قلت: نعم، قال: **«وتقوم الليل؟»** قلت: نعم، قال: **«لكني أصوم وأفطر وأنام وأمسُّ النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني»**.

وفي «المسند»[٢] أيضًا عن يحيى بن يعمر، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت امرأة عثمان بن مظعون تختضب وتتطيب؛ فتركته فدخلت عليّ فقلت لها: (أشهد أم مغيب؟ فقالت: مشهد كمغيب. قلت لها)[٣]: ما لكِ؟ قالت: عثمان لا يريد الدنيا، ولا يريد النساء قالت عائشة: فدخل عليّ رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فلقي عثمان فقال يا عثمان: **«أتؤمن بما نؤمن**

---

(١) رواه أحمد (٦٤٧٧)، والنسائي مختصرًا (٢٣٨٩). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين

(٢) رواه أحمد (٢٤٧٩٧) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ. قال الهيثمي (٧٦١١): أسانيد أحمد رجالها ثقات إلا أن طريق «إني أخشاكم» أرسلها أحمد، ووصلها البزار برجال ثقات.

(٣) مثبت من (ق).

به؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «فأسوة مالك بنا».

وفيه[١] عن وهب بن منبه قال: في حكمة آل داود عليه السلام حق على العاقل أن لا يُشغل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة (يمضي) فيها إلى إخوانه الذي يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل؛ فإن في هذه الساعة (عونًا على هذه الساعات)[٢] (وإجمامًا)[٣] للقوة.

قال: وحق على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مقبلًا على شأنه، وحق على العاقل أن لا يظعن إلا في إحدى ثلاث؛ زادًا لمعاد، ومرمة لمعاش أو لذة في غير محرم. وفي أفراد مسلم و«مسند الإمام أحمد»[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

---

(١) لم أجده في مسند أحمد، ورواه عبد الرزاق (١٩٧٩٠). وبنحوه من حديث أبي ذر مرفوعا عند ابن حبان (٣٦١) ضمن حديث طويل. قال ابن كثير (١/ ٧٧٨): روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه «الأنواع والتقاسيم»، وقد وسمه بالصحة، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات، واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ك): «إجماعًا».

(٤) مسلم (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٨١٤).

وفي «المسند»[1] عن مالك بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يخطب خطبة إلا والله ﷻ سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها**»، قال جعفر: كان مالك إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع ثم يقول: تحسبون أن عيني تَقَرُّ بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن الله (سائل)[2] عنه يوم القيامة، وهذا فيه غاية المراقبة لله تعالى في الأقوال والأعمال؛ سيما لمن يعظ الناس فلا ينبغي أن يغفل عن موعظة نفسه، ومحاسبتها فهو أولى بها وأحق بذلك.

وقال أبو العالية: قال لي أصحاب محمد ﷺ: لا تعمل لغير الله فيكلك الله إلى من عملت له. وقال سفيان بن عيينة: من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غيره شانه الله. وقال (حجة الإسلام)[3] الغزالي في الإحياء: أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم؛ عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني. قال: وقد أعاب الله تعالى من يخالف قوله (فعله)[4] فقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] الآية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] الآية، وقال تعالى في قصة شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ

---

(١) رواه أحمد في الزهد (١/ ٣٢٣) والبيهقي في «الشعب» (١٧٨٧). قال المنذري (٣٥١١): رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلا بإسناد جيد.

(٢) في (ك): «سائله».

(٣) في (ق): «أبو حامد».

(٤) مثبت من (ق).

عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] الآية.

قال الحسن: يا عجبًا لألسن تصف، وقلوب تقترف، وأعمال تخالف. وقال حاتم الأصم: ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علَّم الناس علمًا فعملوا به، ولم يعمل هو؛ ففازوا بسببه وهلك هو. وقيل: مثل الذي يعلم الناس ولا يعمل؛ كمثل المصباح يحرق نفسه والضوء لغيره.

شعر:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا
إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها.
يا كاسي الناس أثوابًا وعورته
للناس بادية ما إن يواريها
فالقول منك (دواء)[1] لا يعادله
داء ونفسك تبغي من يداويها

قال مالك بن دينار: العالم إذا لم يعمل بعلمه؛ زلت موعظته عن القلوب كما تزل المطر عن الصفاء. وفي «صحيح البخاري»[2] عن إبراهيم التيمي أنه قال: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذِّبًا روي بفتح الذال اسم مفعول وبكسرها اسم فاعل، ومعناه؛ أن الناس يكذبوني أو أكذب أنا نفسي. وروى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له: أوصيني، قال: لا تطلب العلم لتحدث به، واطلبه لتعمل به.

---

(١) في (ك): «داء».

(٢) البخاري (١/ ٢٦).

ويروى عن الخليفة المأمون أنه قال: بينما أنا في بلاد الروم؛ إذ وقفت على قصر عالٍ مبني من رخام أبيض كأن أيدي المخلوقين رفعت عنه تلك الساعة، عليه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم ما اختلف الليل والنهار، ولا دارت نجوم السماء في الفلك إلا ينقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك، وملك ذو العرش دائم أبدًا ليس بفانٍ ولا بمشترك.

وقيل: إن رجلًا قال لأبي القاسم (الحكيم: يا أبا القاسم)[1]، ما بال علماء زماننا لا يتعظ الناس بموعظتهم كما كان السلف؟ فقال: إن علماء السلف كانوا أيقاظًا وكان الناس نيامًا (وكان اليقظان ينبِّه النائم؛ فيتنبه من غفلته، وعلماء زماننا نيام)[2] والناس موتى فكيف ينبه النائم الميت؟

وقال بعض البلغاء: يا مغرورًا أَمسك وقس يومك بأمسك، واتعظ بمن مضى من أبناء جنسك فكأنك بك قد حللت في رمسك؛ فاجعل مع الله غاية أُنسك، وروضتك اليانعة وأيام عُرسك.

وقال في المعنى شعر:

أمهد لنفسك حان السقم والتلفُ
ولا تضيعن نفسًا ما لها خلفُ
العمر ينفد والأيام دائبةٌ
والسبل شتى وفعل الناس مختلفُ

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) مثبت من (ق).

وكل يوم مضى أو ليلة سلفت
فيها النفوس إلى الآجال تزدلفُ
والمرء ضيف بدارٍ لا مقام بها
فيها الفجائع والرعوناتُ ترتدفُ
واذكر سبيلًا فظيعًا أنت سالكه
ما عن ورود حياض الموت منصرفُ
واذكر تجرع كأسٍ أنت شاربها
وأنت مجندل في غمرة دِنِفُ
والنفس في سكرات الموت دائبةٌ
والقلب في تعب والصدرُ يرتجفُ
واغمضوك حيارى بين مكتئبٍ
وناشج عينه بالدمعِ لا تكفُ
وغادروك بأطباق الثرى وغدوا
ما آنسوك ولا آسوا ولا صرفوا
عنك الشدائد بل خُلفت (منجدلًا)[1]
فردًا وحيدًا وولى القوم وانصرفوا
(بمسكن)[2] فيه أهل الملك قد خشعوا
أمسوا سواء فلا كبر ولا ترفُ
وكلهم في محل لا فناء له
ولم (يهيئ)[3] له باب ولا شُرفُ

---

(١) في (ق): حاشية: «جدلان جدل الحب في . . .».

(٢) في (ك): «بعسكر».

(٣) في (ك): «يهاب».

فـرد وحـيـد غـريـب لا وسـاد لـه
مـمـهـد من صعيد القبر ملتحفُ
واذكر مقامًا به الأصوات قد خشعت
في مجمع الخلق فيه الذلُّ والشرفُ
والخلق بين قرير العين مغتبط
وشاخص الطرف عانٍ قلبُه يَجفُ
وناضر الوجه مثل البدر مبتهج
(جدلان)[1] ما مسه سوء ولا (شظفُ)[2]
في زمرة لم يروا بؤسًا ولا غيرا
وأُسكنوا غرفًا من فوقها غرفُ
وقد جرت لهم الأنهار فاطردت
وما أضر بهم (سُكرٌ)[3] ولا نَزَفُ
فيا ابن آدم ما أعددتَ في مهلٍ
لله درُك ما تأتي وما تصفُ

وقد قيل: ابن آدم ابن يومه، وقيل: ابن ساعته؛ فينبغي أن يجتهد في يومه الذي هو فيه ولا يغتر بأمله فكم من مؤمل لقاء غدٍ ما لقيه؟

وقد قال رسول الله ﷺ: «ما رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض، يا بني آدم؛ إن كنتم تعقلون؛ فعدوا أنفسكم في الموتى، والذي

---

(١) في (ق): «خلف».
(٢) الشظف: هو شدة العيش.
(٣) في (ق): «السكران نزيف؛ إذا نزف عقله».

نفسي بيده؛ إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين»[١].

وقال بعض الحكماء: إن غاية تنقصها اللحظة، وتهدمها الساعة؛ لجديرة بقصر المدة، وأن غائبًا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة، وأن قادمًا يحدو بالفوز أو الشقوة لمستحق بأفضل العدة. وقال لقمان عليه السلام لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة؛ فإن الموت يأتي بغتة. وقال الحسن: يا ابن آدم؛ إنما أنت أيام إذا مضى يومك مضى بعضك.

فصل

قال: ولما تفكر الصالحون في قصر العمر وتحقيق الجزاء وسمعوا قوله تعالى: ﴿(مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا)[٢] فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ ولم يعلموا متى يأتي الموت بادروا أعمارهم بالاجتهاد؛ فمنهم من اشتهر بصوم النهار، ومنهم من اشتهر بكثرة تلاوة القرآن، ومنهم من اشتهر بكثرة الصلاة كما تقدم وصف ذلك من أنواع عباداتهم واشتغالهم بها طلبًا لرضا مولاهم تبارك وتعالى.

ثم قال: ومما ورد من أذكارهم في الصباح والمساء ما روي عن

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٩١) وقال: غريب من حديث عطاء وأبي بكر تفرد به محمد بن حمير. قال العراقي (٤/ ١٩٥): أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (٦) والطبراني في مسند الشاميين (١٥٠٥) وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٦٤) بسند ضعيف. أ هـ وضعفه المنذري (٥٠٦٣).

(٢) هكذا نص الآية، وفي النسخ الخطية «فمن أحسن».

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي؛ سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**» رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي واللفظ لمسلم والترمذي[(١)]، وعند أبي داود «**وسبحان الله العظيم وبحمده**» رواه الحاكم[(٢)] في «المستدرك» وقال: صحيح على شرط مسلم ولفظه: «**من قال إذا أصبح مائة مرة، وإذا أمسى مائة مرة؛ سبحان الله وبحمده؛ غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر**».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: «**أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له**» قال: أراه قال فيهن: «**له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وشر الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر**»[(٣)]، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا أصبحنا وأصبح الملك لله رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، وفي رواية لمسلم أيضًا: «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر، وفتنة الدنيا وعذاب القبر**»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٢)، وأبو داود (٥٠٩١)، والترمذي (٣٤٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٠٣) قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) الحاكم (١٩٠٦).

(٣) مسلم (٢٧٢٣)، وأبو داود(٥٠٧١)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٥١)، والترمذي(٣٣٩٠) وقال: هذا حديث صحيح.

(٤) مسلم (٢٧٢٣).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**كان إذا أصبح يقول: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا وبكل أصبحنا، وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا، وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير**» رواه الأربعة، وابن حبان في صحيحه، وأبو عوانة في «مسنده الصحيح»(١)، وهذا لفظه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سبح الله مائة بالغداة، ومائة بالعشي (كان كمن حج مائة حجة، ومن حمد الله مائة مرة بالغداة، ومائة مرة بالعشي)(٢) كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله أو قال: غزا مائة غزوة، ومن هلل الله مائة مرة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشي؛ لم يأت في ذلك اليوم أحد بأكثر مما (جاء)(٣) به إلا من قال مثلما قال أو زاد عليه**»(٤) رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

---

(١) أبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٣٩٩)، وابن ماجة (٣٨٦٨)، وابن حبان (٩٦٤). قال الترمذي: حديث حسن.

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ق): «أتى».

(٤) رواه الترمذي (٣٤٧١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٥٧) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في (يوم)[١] مائة مرة؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان في يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحد بأفضل ما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»** رواه الجماعة[٢] إلا أبا داود، واللفظ للبخاري، (ومسلم، والترمذي.

زاد مسلم)[٣] والترمذي والنسائي فيه: **«ومن قال: سبحان الله وبحمده في (يوم)[٤] مائة مرة؛ حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»** قال وقوله: عدل بفتح العين هو المِثل، وما عادل الشيء من غير جنسه، وبالكسر؛ ما عادله من جنسه وكان نظيره، وقال البصريون: العدل والعدل لغتان، وهما المثل.

وذكر جندب قال قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله تعالى؛ غفر له»** رواه ابن حبان في «صحيحه»[٥].

وروى ابن الجوزي في كتاب «النور» بسنده عن ابن عمر قال: لم يكن رسول الله يدع هؤلاء الكلمات إذا أصبح وإذا أمسى: **«اللهم إني أسألك**

---

(١) في (ق): «يومه».

(٢) رواه البخاري (٣١١٩و٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٩١)، والترمذي (٣٤٦٨) والنسائي في «الكبرى» (٩٨٥٣)، وابن ماجة (٣٧٩٨). وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) مثبت من (ق).

(٤) في (ق): «يومه».

(٥) رواه ابن حبان (٢٥٧٤). قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات لكن فيه عنعنة الحسن.

العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وأمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي -يعني الخسف-»[١].

وفيه أيضًا عن طلق قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء انتهت النار فلما انتهت إلى بيتك طفئت، قال: قد علمت أن الله ﷻ لم يكن ليفعل، قالوا: يا أبا الدرداء ما ندري أي كلامك أعجب قولك ما احترقت أو قولك قد علمت أن الله لم يكن ليفعل؟ قال: ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: **«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الكريم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل ذي شر، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم»**[٢].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجة (٣٨٧١) وصححه ابن حبان (٩٦١) والحاكم (١٩٠٢). وصححه المنذري (٩٧٦).

(٢) ابن السني (٥٧) الطبراني في «الدعاء» (٣٤٣) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٤٠٠) وفي سند الثلاثة أغلب بن تميم وقال ابن الجوزي: لا يثبت وآفته من أغلب. قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث. قال العراقي (٣١٦/١): أخرجه من حديث أبي الدرداء الطبراني في الدعاء، وهو ضعيف.

فصل في قيام الليل

قال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] أي: ينامون، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل[(١)] هكذا صح عن نبينا محمد ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل؛ قربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير السيئات ومطردة للداء عن الجسد»**[(٢)]، وقال ﷺ: **«ركعة بالليل خير من عشرين ركعة بالنهار»**[(٣)]، وقال ﷺ: **«صلوا من الليل، ولو قدر حلب شاة»**[(٤)]، وقال: **«صلاة بالليل سراج لأهلها في**

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه مسلم (١١٦٣).

(٢) ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم سلمان وأبي أمامة فحديث سلمان رواه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٥٨/ ٦١٥٤) وصححه المنذري (٩١٩) وقال الهيثمي (٣٥١٩): فيه عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون؛ وثقه دحيم وابن حبان وابن عدي، وضعفه أبو داود وأبو حاتم. وأما حديث أبي أمامة فرواه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٩٢/ ٧٤٦٦)، و«الأوسط» (٣٢٥٣). قال الهيثمي (٣٥١٩): فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث قال عبد الملك بن شعيب بن الليث: ثقة، وضعفه جماعة من الأئمة.

(٣) عن سلمى عمة عطاء رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد» و«قيام الليل» (١/ ١١٤) والذي في المطبوع من كتاب «التهجد عشر بالنهار» قال محققه مصلح بن جزاء الحارثي: في إسناده سلمى عمة عطاء ذكرها ابن حبان في الثقات، ولم أجد لغيره فيها جرحا أو تعديلا.

(٤) عن الحسن موقوفا عليه رواه ابن أبي شيبة (٦٦٠٨)، ومن حديث جابر مرفوعا بلفظ قريب رواه الطبراني في «الأوسط» (٤١١٤). قال الهيثمي (٣٥٢٣): فيه بقية بن الوليد؛ فيه كلام كثير.

ظلمة القبر»[1]، ورغب الله فيها ومدح أهلها وأثنى عليهم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

وفي «المسند»[2] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت؛ فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى؛ فإن أبى نضحت في وجهه الماء**».

وروى أبو داود في «سننه»[3] عن الأغر عن أبي سعيد وأبو هريرة ﵄ قالا: قال رسول الله ﷺ: «**من استيقظ من الليل، وأيقظ امرأته فصليا ركعتين؛ كتبا من الذاكرين الله تعالى كثيرًا والذاكرات**»، وصح عن النبي ﷺ من رواية عائشة قالت: قام رسول الله ﷺ في الصلاة -يعني صلاة الليل- حتى تفطرت قدماه -يعني تشققت من طول القيام- قالت: فقلت: يا رسول الله لم تصنع هذا بنفسك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

وفي «صحيح مسلم»[4] أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله خيرًا من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه**» وهذه ساعة الليل مُعدة للإجابة كما أن للجمعة

---

(١) لم أقف عليه بعد البحث.

(٢) رواه أحمد (٧٤٠٤)، وأبو داود (١٣٠٨)، والنسائي (١٦١٠)، والحاكم (١١٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٣) رواه أبو داود (١٤٥١)، وصححه ابن حبان (٢٥٦٨)، والحاكم (١١٨٩).

(٤) من حديث جابر رواه مسلم (٧٥٧).

ساعة الإجابة؛ فالطائع لله ﷻ يجِدُّ آناء الليل وأطراف النهار؛ لعله إن ينجوا من أخطار هذه الدار.

وفي البخاري وغيره[1] عن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربنا ﷻ كل ليلة في السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ مَنْ يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**». وروى ابن حبان في صحيحه[2] عن النبي ﷺ قال: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري**» ذكره الشيخ بدر الدين الزركشي في «التنقيح على الجامع الصحيح».

وفي «مسند أحمد»[3] عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان ثلث الليل الباقي؛ يهبط الله إلى السماء الدنيا، ثم يفتح أبواب السماء حتى يطلع**» . وعن أبي ذر قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر؛ لو أردت سفر لأعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة؟ ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم؟**» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**صم يومًا شديدًا حره ليوم النشور، وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور**»[4].

---

(١) من حديث أبي هريرة رواه البخاري (١٠٩٤).

(٢) من حديث رفاعة بن عرابة الجهني رواه الطيالسي (١٢٩٢)، وأحمد (١٦٢٦٠)، وابن حبان (٢١٢). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٣) رواه أحمد (٣٦٧٣)، وأبو يعلى (٥٣١٩) قال الهيثمي (١٧٢٤٣): رجالهما رجال الصحيح. قال شعيب الأرنؤوط: صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الأحوص فمن رجال مسلم.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد» (١/ ١١٥) قال العراقي (١/ ٣٢٧): أخرجه=

ورُوي أن رسول الله ﷺ قال لأبي هريرة: «**يا أبا هريرة؛ أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيًا وميتًا، ومقبورًا ومبعوثًا؛ فقم من الليل فصلي وأنت تريد بذلك رضا ربك، يا أبا هريرة؛ صلي في زوايا بيتك؛ يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الأرض**»[١]. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كثرت صلاته بالليل؛ حسن وجهه بالنهار**»[٢].

وقيل للحسن البصري: ما بال المجتهدين من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره. وعن ذي النون المصري قال: ثلاثة من أعلام العبادة: حب الليل؛ للسهر في الطاعة، والخلوة بالصلاة، وكراهة النهار للرؤية والغفلة عن الصلاة، والمبادرة بالأعمال مخافة الفتنة؛ فيُروى أنه كان شاب من المتقدمين له ورد بالليل ففتر عنه ليلة قال: فبينما أنا نائم وإذا بفتى وقف عليّ وقال بصوت محزون شعر:

= ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد» من رواية السري بن مخلد مرسلا، والسري ضعفه الأزدي.

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» (١/ ٣٥٣). قال العراقي(١/ ٣٢٧): باطل لا أصل له.

(٢) رواه ابن ماجة (١٣٣٣) قال السندي في تعليقه على ابن ماجة: معنى الحديث ثابت بموافقة القرآن وشهادة التجربة؛ لكن الحفاظ على أن الحديث بهذا اللفظ غير ثابت. قال العجلوني في كشف الخفا (٢٥٨٧): قال في المقاصد: لا أصل له، وإن روي من طرق عند ابن ماجه بعضها عن جابر، وأورد الكثير منها القضاعي وغيره قال: ولكن قرأت بخط شيخنا في بعض أجوبته أنه ضعيف بل قواه بعضهم والمعتمد الأول. وقال ابن حجر المكي في الفتاوى: أطبقوا على أنه موضوع مع أنه في سنن ابن ماجه. قال الشيخ الألباني في الضعيفة (٤٦٤٤): موضوع.

تيقظ بساعات من الليل يا فتى
لعلك تحظى في الجنان بحورها
فتنعم في دار يدوم نعيمها
محمد فيها والجليل يزورها

وقال كعب الأحبار: ما من عبد يقوم من الليل فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وقال: إن الملائكة ينظرون في السماء الدنيا إلى الذين يصلون بالليل في بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى النجوم في السماء، وكان زبيد اليامي قد قسم الليل ثلاثًا؛ ثلثًا عليه، وثلثا على ولده عبد الرحمن، وثلثًا على أخيه، قال عبد الرحمن ولد زبيد: فكان زبيد يقوم ثلثه، ثم يضربني برجله فإذا رأى مني كسلًا قال: نم يا بني أنا أقوم عنك، قال: فيقوم قال: فيجيء إلى أخي فيضربه برجله فإذا رأى منه كسلًا قال: نم يا بني أنا أقوم عنك فيقوم حتى يصبح. من الحدائق لابن الجوزي.

وقيل لامرأة كانت تخدم عامر بن عبد قيس: كيف كان عبادة عامر بن قيس؟ قالت: ما صنعت له طعامًا قط بالنهار فأكله إلا بالليل، ولا فرشت له فراشًا بالليل فاضطجع عليه إلا بالنهار.

ورُوري عن امرأة حسان بن أبي سنان أنها قالت: كان زوجي إذا أوى إلى فراشه يخادعني كما تخادع المرأة ولدها أي تقصد نومه وتحرك سريره حتى ينام فهكذا كان -والله أعلم- يريد أن تنام زوجته بأن يظهر لها أنه نائم حتى تنام؛ فإذا علم أني قد نمت سلّ نفسه، وقام إلى الصلاة إلى الصباح، قالت: فقلت له في بعض الليالي: كم تحرم نفسك النوم

ارفق بنفسك، فيقول: اسكتي، يوشك أن أرقد رقدة لا أستفيق منها إلى يوم القيامة، وكانت امرأة من المتعبدات تقول: عجبت لعين تنام وقد علمت الرقاد تحت أطباق الثرى.

وقال وهب ابن منبه: ما يبرح المتهجدون من عرصات القيامة حتى يؤتوا بنجائب من لؤلؤٍ قد نفخ فيها الروح؛ فيركبونها فتطير بهم متعالية والناس ينظرون إليهم فما يزالون كذلك حتى تنتهي بهم (إلى)[1] منازلهم من الجنة. وقال الأوزاعي: بلغني أنه من أطال قيامه في الليل؛ خفف الله عليه موقفه يوم القيامة، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن. ذكره ابن الجوزي في الحدائق. ونُقل عن ابن عمر بن عبد العزيز ورباح القيسي أنهما كانا يغلان أنفسهما بالغل ويتضرعان.

ورُوي أن الله تعالى أوحى لداود عليه السلام: يا داود كذابًا من ادعى محبتي وإذا جنَّه الليل نام عني، ليس كل محب يحب الخلوة مع محبوبه؛ فها أنا مطلع على أحبابي أرى تضرعهم وأسمع أنينهم وأنظر إليهم، يا داود؛ وعزتي وجلالي ما تقرب المتقربون إليّ بعد الفرائض بأحسن من صلاة الليل، يا داود صلاة الليل نور على وجه صاحبها يوم القيامة؛ إن الليل: لحاف الخائفين وفراش المتعبدين، ولذة الطائعين، يا داود؛ وعزتي ما من عبد هجر عرسه ولذة فراشه، وسارع إلى رضاي إلا عوّضته في الجنة ألذ من دنياه سبعين ضعف. شعر في المعنى:

---

(١) ليست في النسختين والسياق يقتضيها.

يأبى معشر تجافوا من الدنيا
وخلوا حرامها والحلالا
كلما أقبل الظلام عليهم
قابلوه بأوجه تتلالا
يشهد الليلُ أنهم حين يَغشى
لم يقوموا إلى الصلاة كسالى
هذه حال من يروم المعالي
هكذا هكذا وإلا فَلا لا

ورُوي عن يحيى بن زكريا عليه السلام أنه شبع ليلة من خبز الشعير؛ فنام عن ورده تلك الليلة فأوحى الله إليه يحيى هل وجدت دارًا خيرًا من داري وجوارًا خيرًا من جواري؟ وعزتي وجلالي؛ يا يحيى لو اطلعت على الفردوس إطلاعة؛ لذاب جسمك، وأزهقت نفسك، ولو اطلعت على جهنم اطلاعة؛ لبكيت الصديد بعد الدموع، وللبست الحديد بعد المنسوج.

وأنشدوا:

أحب الله قومًا فاستقاموا
على طرق الوِداد فلم يناموا
سقاهم من محبته شرابًا
فتاهوا في محبته وهاموا
فهم من خمر عشقهم سُكارى
لهم في حانة المولى مَقام

وروي أن سفيان الثوري؛ شبع ذات ليلة فقام يصلي إلى الصباح وقال: إن الحمار إذا زيد في عَليقه زيد في عمله. وكان طاوس اليماني يفرش فراشه فيتقلب عليه كما تتقلب الحية في المقلى ثم يقوم فيدرجه ويصلي إلى الصباح ويقول طيّر ذكر جهنم نوم العابدين. وكان عبد العزيز بن أبي رواد يأتي فراشه بالليل فيمر يده عليه ويقول: إنك والله للين، وفراش في الجنة ألين منك فيدرج فراشه، ويقوم يصلي الليل كله.

وممن اشتهر بقيام الليل كله، وصلاة الغداة بوضوء عشاء الآخرة: سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم، وابن خازم ومحمد بن المنكدر المدنيون، وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان، وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان، والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان، وأبو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان، وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العبادانيان، وحبيب أبو (عبد الله)[1] العجمي وأبو جابر السلماني الفارسيان، وسليمان التيمي ومالك بن دينار، ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت، ويحيى البكاء ورابعة العدوية البصريون رضي الله عنهم

وأنشدوا شعر:

إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيُسفر عنهم وهم ركوعُ
أطار الخوف نومهم فقاموا
وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ

---

(١) في (ق): «محمد».

لـهـم تـحـت الـظـلام وهـم سـجـودُ
أنـيـنٌ مـنـه تـنـفـرج الـضـلـوعُ

وكان الحسن بن صالح بن حي، وأمه، وأخوه -رحمة الله عليهم- يختمون القرآن كل ليلة في الصلاة؛ يقوم هو ثلثًا، وأمه ثلثًا، وأخوه ثلثًا، ثم ماتت أمه، فناب يختم هو وأخوه كل واحد نصفًا، ثم مات أخوه، فكان يختم هو كل ليلة ختمة.

وكان من عباد أهل الكوفة وأخوه عليّ وُلدا توأمين في بطن، ولما توفي علي قال لأخيه الحسن: اسقني فجاء بماء قال: سقاني جبريل، وقال لي: أنت وأبوك وأخوك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثم خرجت روحه. ذكره ابن الجوزي في الصفوة.

وقال صاحب كتاب «جامع الأصول»: حي ضد الميت، ويقال أنَّ حيًا لقب له، ويروى أن الحسن بن صالح هذا باع جارية من قوم؛ فلما كان عند السحر قامت الجارية فنادت بأعلى صوتها؛ الصلاة يا أهل الدار فقالوا: ما لكِ أطلع الفجر أصبحنا؟ فقالت: وأنتم ما تصلون غير الفريضة، ولا تصلون بالليل وقت السحر؟ قالوا: نعم، فلما أصبحت غدت إلى سيدها وقالت: يا سيدي بالله ردني إليك فقد بعتني من قوم لا يصلون لله بالليل؛ فلا حاجة لي فيهم فردها.

وكانت حفصة بنت سيرين -أخت محمد بن سيرين-، تقرأ كل ليلة نصف القرآن تقوم به في الصلاة، وختمت القرآن وهي بنت اثنتي عشرة

سنة، وبلغت من العمر تسعين سنة، وكانت تقوم في مصلاها بالليل فربما أطفئ المصباح فيضيء لها البيت حتى تصبح، وكانت من عابدات أهل البصرة ذكرها ابن الجوزي في الصفوة. وعن هشام أن ابن سيرين كان إذا أشكل على شيء من القرآن يقول: اذهبوا فاسألوا حفصة كيف تقرأ؟ يعني أخته، وكانت تقول: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب؛ فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

وروى الترمذي[١] في باب فضل عائشة أن النبي ﷺ قال لأم سلمة: **«يا أم سلمة لا تُؤذيني في عائشة؛ فإنه ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»** رواه البخاري في صحيحه وقال لأم سلمة: **«لا تؤذيني في عائشة؛ فإن الوحي لم يأتيني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة»**[٢] . . . الحديث والمراد بالثوب هنا الفراش والله أعلم. ذكره في باب من أهدى إلى صاحبه، وتحرى بعض نسائه دون بعض.

وكان رابعة العدوية تصلي الليل كله؛ فإذا قرب الفجر ضجعت ضجعة (خفيفة)[٣] حتى يطلع الفجر؛ فإذا طلع الفجر قامت وقالت: يا نفس كم تنامين وكم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلى صرخة يوم النشور؛ فكان هذا دأبها حتى ماتت فلما حضرها الموت دعت خادمتها عبدة وقالت لها: لا تؤذِني بي أحدًا، وكفنيني في جبتي هذه -جبة من

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٧٩)، وقال: حسن غريب.

(٢) رواه البخاري (٣٥٦٤).

(٣) مثبت من (ق).

شعر كانت تقوم بها في الليل- فلما ماتت كفّنّاها في تلك الجبة وخمار من صوف ودفناها؛ فرأيتها بعد مدة في المنام، وعليها حلة إستبرق وخضرًا وخمار سندس أخضر لم أر شيئًا أحسن منهما فقلت لها: يا رابعة ما فُعل بالجبة والخمار الصوف الذين كفناكِ بهما؟ قالت: نزعت عني وطويت وختم عليها ودفعت في عليين؛ ليكمل لي ثوابها يوم القيامة وأُبدلت بهما هذين، فقلت: لهذا كنت تعملين في الدنيا؟ قالت: وما هذا عند ما رأيت من كرامة الله تعالى لأوليائه، قلت: فمريني بأمر أتقرب به إلى الله ﷻ؟ فقالت لي: عليك بكثرة ذكر الله تعالى؛ يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك.

عباد الله، ألا طالب لفضل ربه، ألا راغب لوصله، ألا مجد لقصده؛ انتبه يا غافل من رقدتك، وأفق من سكرتك، وتيقظ من غفلتك، وتفكر في مصيرك في رمسك، وحصولك في حفرتك؛ فقد آن أوان نقلتك فيا خيبة من لم يفز منك يا رب بحبك.

فصل في ذم من نام الليل كله

ثبت في «صحيح البخاري» وغيره[1] أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام كل ليلة ثلاث عقد؛ يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد؛ فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة؛ فإن توضأ انحلت عقدة؛ فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح**

---

(١) رواه البخاري (١٠٩١، ٣٠٩٦)، مسلم (٧٧٦).

نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان». وذكر عند النبي ﷺ رجل نام حتى أصبح فقال: «**ذلك رجل بال الشيطان في أذنه**» أو قال: «**في أذنيه**»[1].

وكان الفضيل بن عياض يقول: إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل؛ فاعلم أنك محروم قد كثرت خطيئتك. وقال الحسن: إن الرجل ليحرم قيام الليل بالذنب يصيبه. ويُروى أن الله تعالى يقول لجبريل: أقم فلانًا فإني أحبه وأنم فلانًا فإني أبغضه، وقال بعض السلف: (بلغني)[2] أن الرجل إذا قام من الليل إلى الصلاة ضحك الله تعالى إليه وقال للملائكة: ما حمل عبدي على أن قام يصلي من بين أهل (داره)[3]؟ فيقولون: يا رب خوفته أمرًا فخافه (ورجيته)[4] أمرًا فرجاه، فيقول الله تعالى: أشهدكم أني قد أعطيته ما يرجوا وأمنته مما يخاف.

وعن مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان لي ورد أقرأه كل ليلة؛ فغفلت ذات ليلة عنه فلم أقرأه؛ فرأيت في منامي جارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إليّ رقعة فإذا فيها هذه الأبيات شعر:

أألـهـتـك الـلـذائـذُ والأمـانـي
عـن الـبـيـض الأوانـس فـي الـجـنـانِ

---

(١) رواه البخاري (١٠٩٣)، ومسلم (٧٧٤).

(٢) مثبت من (ق).

(٣) في (ك): «وده».

(٤) في (ق): «ووعدته».

تعيش منعمًا لا موت فيها
وتلهو في الجنان مع الحسانِ
تنبَّه من منامك إن خيرًا
من النوم التهجد بالقرآنِ

ويُروى أن العبد إذا قام إلى الصلاة -يعني صلاة الليل- تقول الملائكة: قد قام الخاطب إلى خطبته -يعني الحور العين-(١).

الخلق هجوع وهم بين يديه ركوع، الخلق نيام وهم بين يديه قيام، الخلق قعود وهم بين يديه سجود. وقال ذو النون المصري: خطبت من الله زوجة من الحور العين كما وصفهن الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾[الرحمن: ٧٢]، ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]؛ بثلاثين ختمة في ثلثين ليلة فأحييت تسعًا وعشرين ليلة بتسع وعشرين ختمة، وليلة الثلاثين أحييت بعض الليل، وغلبني النوم؛ فرأيت في المنام جارية قد دخلت علي فأشرق الموضع من نور وجهها فقلت لمن أنت؟ فقالت: لمن أوفى بما نذر ثم أنشأت تقول: شعر:

أتخطب مثلي وعني تنامُ
ونوم المحب عليه حرامُ
فقم في دُجى الليل وسط الظلام
بقلب حزين ودمع (سِجامِ)(٢)

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد» (٢٥٤) عن عون بن أبي شداد موقوفا من قوله، وفيه قصة.

(٢) في (ك): «جسام».

فـمـثـلـي يـزف إلـى عـابـدٍ
كـثـيـر الـصـيـام (طـويـل)[١] الـقـيـامِ

قال ذو النون: فانتبهت ونذرت أن لا أدع القيام حتى أراها في اليقظة كما رأيتها في المنام.

وقال القرطبي في «التذكرة»[٢] عن محمد بن ثابت أنه قال: كان أبي من القوامين لله في سواد الليل، قال: رأيت ذات ليلة حوراء لا تشبه النساء، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: حوراء أمة الله، فقلت لها: زوجيني نفسك؟ قالت: أخطبني من عند ربي وأمهرني فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد.

وعن محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت ألقن أبي وهو في الموت فقلت: يا أبه قل لا إله إلا الله، فقال: يا بني خلِّ عني؛ فإني في وردي السادس أو السابع، وثابت هذا هو البناني من عباد أهل البصرة.

قال الحافظ ابن بردس الحنبلي البعلي في ترجمته: كان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر، وبكى حتى كادت عينه تذهب؛ فكُلم في ذلك فقال: ما خيرهما إن لم تبكيا، وأبى أن يعالج، وهو ثابت بن أسلم. انتهى وأنشدوا في المعنى:

يـا خـاطـب الـحـوراء فـي خـدرهـا
وطـالـبًـا ذاك عـلـى قـدرهـا

---

(١) في (ك): «كثير».

(٢) التذكرة (١/ ٥٥٦) والذي في التذكرة عن ثابت وليس محمد بن ثابت.

انـهـض بـجِـدٍ لا تـكـن وانـيًـا
وجـاهـد الـنـفـس عـلـى صـبـرهـا
وجـانـب الـنـاس وارفـضـهـم
وحـالـف الـوِحـدةَ فـي ذكـرهـا
وقـم إذا الـلـيـل بـدا وجـهـه
وصـم نـهـارًا فـهـو مـن مـهـرهـا
فـلـو رأت عـيـنـاك إقـبـالَـهـا
وقـد بـدت رُمَّـانـتـا صـدرهـا
وهـي تـمـاشـي بـيـن أتـرابـهـا
وعـقـدهـا (يـشـرقُ)[1] فـي نـحـرهـا
لـهـان فـي نـفـسـك هـذا الـذي
تـراه فـي دنـيـاك مـن زَهـرهـا

فصل

ومن رحمة الله بعبده المؤمن الطائع له سبحانه؛ ما رُوي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد تكون له صلاة بالليل؛ فيغلبه نوم عليها إلا كتب الله له أجر صلاته، وجعل نومه عليه صدقة»**. وفي رواية: **«كان نومه عليه صدقة»** أخرجه أبو داود في «سننه» وأخرجه النسائي أيضًا[2].

---

(١) في (ق): «يشرف».

(٢) رواه أبو داود (١٣١٤) والنسائي (١٧٨٤). قال المنذري (٨٨١): رواه مالك (٢٥٥) وأبو داود والنسائي وفي إسناده رجل لم يسم، وسماه النسائي في رواية له الأسود بن يزيد، وهو ثقة ثبت، وبقية إسناده ثقات، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد بإسناد جيد؛ رواته محتج بهم في الصحيح

قال العلماء: وهذا إنما هو فيمن كان عزمه أن يقوم يصلي؛ لما روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ قال: «**من أتى فراشه، وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل؛ فغلبته عيناه حتى أصبح؛ كُتب له ما نوى وكان نومه عليه صدقة**» رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة[(١)].

وتحصل فضيلة قيام الليل، ولو بركعتين، وقراءة عشر آيات من القرآن؛ لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**صلوا لله بالليل ولو أربعًا ولو ركعتين**»[(٢)]، وعن ابن عباس قال: من صلى بالليل لله تعالى ركعتين؛ فقد بات لله تعالى ساجدًا أو قائمًا وقال ﷺ)[(٣)]: «**من قام بعشر آيات؛ لم يكتب من الغافلين**»[(٤)].

وكلما زاد من الصلاة والقراءة بالليل؛ فهو أفضل وارتفعت به درجاته

---

(١) رواه النسائي (١٧٨٧)، وابن ماجة (١٣٤٤) وابن خزيمة (١١٧٢) وقال: هذا خبر لا أعلم أحدا أسنده غير حسين بن علي عن زائدة وقد اختلف الرواة في إسناد هذا الخبر. وصححه الحاكم (١١٧٠) وسكت عليه الذهبي. قال العراقي (١/ ٣١٤): أخرجه النسائي وابن ماجة من حديث أبي الدرداء بسند صحيح. قال الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٤١): حسن.
تنبيه: لم أجد الحديث في سنني الترمذي وأبي داود ولم يعزه إليهما المزي في التحفة ولا ابن الأثير في جامع الأصول.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦٦٠٦) عن الحسن مرسلا.

(٣) السياق في (ك): مضطرب، والمثبت من (ق).

(٤) من حديث عبد الله بن عمر أخرجه أبو داود (١٣٩٨)، وصححه ابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢) والمنذري (٩٤٥)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٣٩).

في الآخرة، وهون الله عليه وقوفه يوم القيامة كما تقدم عن الإمام الأوزاعي أنه قال: بلغني أنه من أطال قيام الليل خفف الله عليه موقف يوم القيامة، وقد تقدم ذكر فضيلة صلاة عشاء الآخرة والصبح في جماعة، وأن ذلك يعدل قيام الليل؛ فنسأل الله المعونة على ذلك بمنِّه وكرمه، إنه أرحم الراحمين.

فصل

وفي الجملة ينبغي للعاقل أن يجتهد فيبادر عمره بالجد والاجتهاد (فعلى قدر اجتهاده)[1] يزيد جزاؤه، وعلى قدر تقصيره يقِل عطاؤه، قا[2] ل الله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾؛ فلا يطمعن البطال في ثواب العمال، ومقام الأبطال، ولا الجاهل في ثواب العالم وقد قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وفي «المسند» لأحمد[3] من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: **«لا تتمنوا الموت ؛ فإن هول المطلع شديد، وإن من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة»**.

وتمنِّي الموت يقع على وجوه:

---

(١) في (ك): «فبقدر عمله».

(٢) هكذا في الآية، وفي النسخ الخطية «فمن أحسن».

(٣) رواه أحمد (١٤٦٠٤). قال الهيثمي (١٧٥٤٣): إسناده حسن. قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد محتمل للتحسين.

فمنها: تمنِّيه لضر دنيوي ينزل بالعبد فينهى حينئذ عن تمني الموت، وفي «الصحيحين» عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به؛ فإن كان لا بد فاعلًا فليقل: اللهم أحيني (ما كانت)[1] الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»[2]، ووجه كراهته في هذا الحال؛ أن التمني للموت لضر نزل به إنما يتمناه تعجيلًا للاستراحة من ضره، وهو لا يدري إلى ماذا يصير بعد الموت؛ فلعله يصير إلى ضُر أعظم من ضره.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إنما يستريح من غفر له**»[3]؛ فلهذا لا ينبغي أن يدعو بالموت إلا أن يشترط أن يكون خيرًا له عند الله، وكذلك كل ما لا يعلم العبد فيه الخِيرة له كالغنى والفقر وغيرهما، كما يشرع له استخارة الله تعالى فيما يريد أن يعمله فيما لا يعلم وجه الخيرة فيه، وإنما يسأل الله على وجه الجزم والقطع مما يعلم أنه خير محض؛ كالمغفرة والرحمة، والعفو والعافية، والتقى والهدى، ونحو ذلك.

ومنها: تمنيه الموت خوف الفتنة في الدين فيجوز، وقد تمنّاه ودعا به خشية فتنة الدين خلق كثير من الصحابة، وأئمة الإسلام، وفي حديث

---

(١) في (ق): «إذا علمت».

(٢) البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم(٢٦٨٠).

(٣) من حديث عائشة رواه أحمد (٢٤٧٥٧) وذكره الهيثمي في موضعين الأول (٣٩٤١) وقال فيه ابن لهيعة؛ فيه كلام. والثاني (٣٩٤٢) وقال: رواه البزار -كما في «كشف الأستار» (٧٨٩)- ورجاله ثقات.

المنام «وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»[١].

ومنها: تمني الموت عند حضور أسباب الشهادة؛ اغتنامًا لحصولها فيجوز ذلك، (وكذلك)[٢] سؤال معاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لما وقع بالشام.

ومنها: تمني الموت لمن وثق بعمله شوقًا إلى الله؛ فهذا يجوز أيضًا، وقد فعله كثير من السلف. قال أبو الدرداء: أحب الموت اشتياقًا إلى ربي، وقال بعضهم: طال شوقي إليك؛ فعجل قدومي عليك، وقد دل على جواز ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦]؛ فدل ذلك على أن أولياء الله لا يكرهون الموت بل يتمنونه، ثم أخبر أنهم ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: ٧]؛ فدل على أنه إنما يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلا مريب.

وفي حديث (عمار)[٣] بن ياسر عن النبي ﷺ: «أسألك لذة النظر إلى وجهك، وشوقًا إلى لقائك؛ في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»[٤]

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٤) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) كذا في (ق، ك) ولعل الصواب «ومن ذلك».

(٣) في (ق، ك) (عامر) والمثبت هو الصواب الموافق لما في مصادر التخريج.

(٤) جزء من حديث طويل رواه أحمد (١٨٣٥١) من طريق أبي مجلز قال: صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ =

فالشوق إلى لقاء الله إنما يكون بمحبة الموت، وذلك لا يقع غالبًا إلا عند خوف ضراء مضرة في الدنيا أو فتنة مضلة في الدين؛ فأما إذا خلا عن ذلك فكان شوقًا إلى لقاء الله، وهو المسئول في هذا الحديث.

وفي «المسند»[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«لا يتمنى الموت إلا من وثق بعمله»**؛ فالمطيع لله تعالى مستأنس وكل عاص مستوحش. قال أبو بكر الصديق لعمر في وصيته له عند موته: إن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه، وإن ضيعتها لم يكن غائب أكره لك منه، ولن تعجزه.

وسئل أبو حازم كيف القدوم على الله؟ فقال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما العاصي فكقدوم الآبق على سيده الغضبان.

= قالوا: بلى. قال: أما إني قد دعوت فيهما بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق؛ أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الإخلاص في الرضا والغضب، وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بالقضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة ومن فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين». قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(١) رواه أحمد (٨٥٩٢) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح دون قوله «إلا أن يكون قد وثق بعمله» فإنها زيادة منكرة. والحديث بدون هذه الزيادة عند مسلم (٢٦٨٢) وقال الهيثمي (١٧٥٧٠): فيه ابن لهيعة وهو مدلس وفيه ضعف وقد وُثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

ومنها: تمني الموت على غير الوجوه المذكورة، وقد اختلف العلماء في كراهته واستحبابه؛ فرخص فيه جماعة من السلف وكرهه آخرون، وحكي عن أحمد روايتان، واستدل من كره الموت بعموم النهي كما في حديث جابر، وقد علل النهي عن تمني الموت في حديث جابر بعلتين: إحداهما: أن هول المطلع شديد، وهول المطلع؛ هو ما يكشف للميت عند حضور الموت من الأهوال التي لا عهد له بها، ولا بشيء منها في الدنيا من رؤية الملائكة، ورؤية أعماله من خير وشر، وما يبشر به عند ذلك من الجنة والنار، هذا مع يلقاه من شدة الموت وغُصصه.

وفي الحديث الصحيح: **«إذا حملت الجنازة وكانت صالحة قالت: قدموني، قدموني، وإن كانت غير ذلك قالت: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه لصعق»**(١).

ويُروى أن النخعي بكى عند موته وقال: انتظر ملك الموت لا أدري يبشرني بالجنة أو النار؛ فالمتمني للموت كأنه يستعجل حلول البلاء وإنما أمرنا بسؤال العافية. ورأى ابن عمر رجلًا يتمنى الموت فقال له: لا تتمنى الموت فإنك ميت، ولكن سل الله العافية. وقال منصور الفقيه المصري شعر:

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة وأسرفوا
في الموت ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ
منها أمان لقائه بلقائه
وفراقُ كل معاشرٍ لا يُنصفُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٥١) عن أبي سعيد الخدري.

وكان حبيب العجمي عند موته يبكي، ويقول: إني أريد أن أسافر سفرًا ما سافرته قط، وأسلك طريقًا ما سلكته قط، وأزور سيدي ومولاي وما رأيته قط، وأُشرف على أهوال ما شاهدتها قط، وهذا كله من هول المطلع الذي قطَّع قلوب الخائفين حتى قال عمر: لو أن لي ما في الأرض؛ لافتديت به من هول المطلع.

وقال أبو العتاهية في ذلك شعرًا:

ألا للموت كأسٌ أي كأس
وأنت لكأسه لا بد حاسي
إلى كم والممات إلي قريبٍ
تُذَكَّرُ بالمماتِ وأنت ناسي

ورؤي بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حاله فأنشد

وليس يعلم ما في القبر داخلُه
إلا الإلهُ وساكنُ الأجداث

والعلة الثانية: أن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرًا، ومن سعادته أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة إليه، والتوبة من ذنوبه السالفة، والاجتهاد في العمل الصالح، ومَن تمنى الموت فقد تمنى انقطاع عمله الصالح؛ فلا ينبغي له ذلك، ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال: **«السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله تعالى»**[1] وفي هذا المعنى أحاديث

(١) أخرجه الخطيب (٦/ ١٦) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣١٢) وفي سنده ابن لهيعة. قال العجلوني في «كشف الخفا» (١٤٧٣): حسن لغيره.

كثيرة كلها تدل على النهي عن تمني الموت بكل حال، وأن طول عمر المؤمن خير له؛ فإنه يزداد فيه خيرًا.

وقد اختلف السالكون أيما أفضل؛ تمني الموت شوقًا إلى الله أو تمني الحياة رغبة في (طاعة)[1] الله أومن فوَّض الأمر إلى الله ورضي باختياره له ولم يختر لنفسه شيئًا، واستدل طائفة من الصحابة على تفضيل الموت على الحياة بقول الله ﷻ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ولكن الأحاديث الصحيحة؛ تدل على أن عمر المؤمن كلما طال ازداد بذلك ما له عند الله من الخير؛ فلا ينبغي له أن يتمنى انقطاع ذلك اللهم إلا أن يخشى الفتنة على دينه؛ فقد خشي أن يفوته ما عند الله من الخير، ويتبدل ذلك بالشر عياذًا بالله من ذلك الشر، والموت خير من هذه الحياة على هذا الحال.

وقد ورد أن في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣] أقسم الله في هذه السورة أن كل إنسان خاسر إلا من اتصف بهذه الأوصاف الأربعة؛ الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر على الحق[2]. ورأى بعض المتقدمين النبي ﷺ في

---

(١) في النسختين (ما عند) والتصحيح من «لطائف المعارف» الذي نقل منه المصنف وانظر تفصيل هذه المسألة في مدارج السالكين (٢/ ٢٢٩).

(٢) قال ابن القيم وهو يعلق على هذه السورة في أكثر كتاب من كتبه: أقسم سبحانه وتعالى بالدهر الذي هو زمن الأعمال الرابحة والخاسرة؛ على أن كل واحد =

منامه فقال له: أوصني، فقال له: من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًا من أمسه فهو ملعون، ومن لم يتفقد الزيادة من عمره فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خيرًا له. شعر بيت مفرد:

أليس من الخسران أن لياليًا
تمر بلا نفعٍ وتُحسب من عمري

فالمؤمن القائم بشروط الإيمان لا يزداد بطول عمره إلا خيرًا، ومن كان كذلك فالحياة خير له من الموت، وفي دعاء النبي ﷺ: **«اللهم اجعل الحياة زيادة لي في كل خير والموت راحة لي من كل شر»** خرَّجه مسلم[١].

وقيل لبعض السلف: طاب الموت قال: لا تفعل لساعة تعيش فيها تستغفر فيها خير لك من موت الدهر. وقيل لشيخ كبير: تحب الموت؟ قال: لا، قيل ولم؟ قال: ذهب الشباب وشره، وجاء الكبر وخيره فإذا قمت قلت: بسم الله، وإذا قعدت قلت: الحمد لله؛ فأنا أحب أن يبقى لي هذا، وخرج الترمذي[٢] عن أبي هريرة مرفوعًا: **«ما من ميت مات**

= في خسر إلا من كمّل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالعمل بطاعته؛ فهذا كماله في نفسه، ثم كمل غيره بوصيته له بذلك، وأمره إياه به، وبملاك ذلك وهو الصبر؛ فكمل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وكمل غيره بتعليمه إياه ذلك ووصيته له بالصبر عليه، ولهذا قال الشافعي رحمه الله لو فكر الناس في سورة: والعصر لكفتهم. انظر «مدارج السالكين» (١/ ٦) وإغاثة اللهفان (١/ ٢٥).

(١) من حديث أبي هريرة رواه مسلم (٢٧٢٠).

(٢) الترمذي (٢٤٠٣) وقال: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، ويحيى بن =

وإلا ندم [قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال][1]: إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد إحسانًا، وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون استعتب».

إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة فكيف يكون حال المسيء؟

فقد ورد أن الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادة أعمالهم بتسبيحة أو ركعة، كما رُوي عن أبي عثمان الهروي أن ابن ميناء خرج في جنازة فانتهى إلى قبر قال: فصليت ركعتين، (ثم اتكأت على القبر فسمعت قائلًا يقول -وإن قلبي ليقظان-: لأن تكون ركعتيك)[2] في صحيفتي أحب إلي من الدنيا وما فيها أو كما قال.

وقال بعضهم: بقية عمر المؤمن لا قيمة له. يعني: أنه يمكنه أن يمحو ما سلف فيه من الذنوب بالتوبة، وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح؛ فأما من فرط في بقية عمره فإنه خاسر؛ فإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين.

الأعمال بالخواتيم؛ من أصلح فيما بقي غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخذ بما بقي وما مضى.

= عبيد الله قد تكلم فيه شعبة، وهو يحيى بن عبيد الله بن موهب مدني. وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٠٣) في ترجمة يحيى بن عبيد الله بن موهب وذكر له هذا الحديث. قال المناوي في «فيض القدير» (٧٩٨٧): ضعفه المنذري (٥٠٨٥). قال الشيخ الألباني: ضعيف جدا.

(١) سقط من النسختين والمثبت من سنن الترمذي.

(٢) مثبت من (ق).

وفي بعض الكتب السالفة: إن لله مناديًا ينادي كل يوم؛ أبناء الخمسين زرع دنا حصاده، أبناء الستين؛ هلموا إلى الحساب، أبناء السبعين ماذا قدمتم وماذا أخرتم؟ أبناء الثمانين لا عذر لكم، ليت الخلق لم يُخلقوا، وليتهم إذ خُلقوا علموا لماذا خلقوا فجدُّوا وتجالسوا بينهم فتذاكروا ما عملوا ألا أتتكم الساعة (فاحذروا)[1] حذركم[2].

يا من كلما طال عمره زاد ذنبه يا من كلما ابيض شعره بمرور الأيام اسود بالآثام قلبه، اللهم سلِّم قلوبنا وجوارحنا من المخالفات برحمة منك يا أرحم الراحمين.

شعر:

شيخٌ كبيرٌ له ذنوب
تعجز عن حملها المطايا
قد بيضت شعره الليالي
وسودت قلبه الخطايا

يا من يأتي عليه عام بعد عام، وقد غرق في بحر الخطأ والآثام وعام، يا من يشاهد الآيات والعبر كلما توالت عليه الأعوام والشهور، ويسمع الآيات والسور ولا ينتفع بما يسمع، ولا بما يرى من عظائم الأمور

ما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء في الكتاب المسطور، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ

---

(١) في (ق): «تحذَّروا».

(٢) ورد مرفوعا من حديث أنس بنحوه عند الديلمي في مسند الفردوس (٦١٦٤).

﴿نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] . شعر:

خليلي كم من ميت قد حضرتُه
ولكنني لم أنتفع بحضوري
وكم من ليال قد أرتني عجائبا
لهنَّ وأيامٍ خلت وشهوري
وكم من سنينٍ قد طوتني كثيرةٍ
وكم من أمور قد جرت وأموري
ومن لم يزده السن ما عاش عبرةً
فذاك الذي لا يستنير بنوري

فكن أيها العبد في الدنيا آخذًا لحذرك، وأصغ بسمع القبول إلى هواتف نُذرك، واحذر طوارق وهنِك وحدوث غِيرك، وحاسب نفسك قبل محاسبتك على سَيرِك، وتزود لرحيلك وتأهب لمنتظرِك، وبادر بقية شبابك فربما لم تصل إلى كِبرك، واحذر غرور أملك، واجتهد في عملك قبل انقضاء عمرك.

شعر:

قل للمؤمل أن الموت في أثرك
وليس يخفى عليك الأمر في نظرك
فيمن مضى لك إن فكرت (معتبرًا)[1]
ومن يمت كل يوم فهو من نُذرك

(١) في (ق): «معتبر».

دار تسافر عنها من غدٍ سفرًا
فلا تَؤب إذا سافرت من سفرك
تضحي غدًا سمرًا للذاكرين كما
صار الذين مضوا بالأمس من سمرك

يا عجبًا للاهٍ عن ذكر دواه؛ يفعل فعل ساهٍ عادمِ الانتباه، تغره أيامه وهي تهدم عمره، ويُضيع أوقاته، ولا يتدبر أمره.

أما زيادات الأيام تنقص الأجل؟ أما كمال الأمر قرينِ الوجل؟ آه للذات تفنى وتمر أما الشهوات تَسر وتَضر؟ أما الدنيا تخدع مريدها؟ أما العبر تحادث مستفيدها؟ أين لذة شهوة نلتها وانقضت؟ أما مضت لذتها حين مضت؟ أين تعب طاعة نالك ووصل؟ أما ذهب النصب والأجر حصل. أين أمسِك يا من أمسكَ عُرى أمله. أما ذهب عن كل عبد ببعض أجله؟ أين لذات شهواتك طول عمرك؟ تصرّمت والوزر على ظهرك.

تيقظ لنفسك يا مؤثر العاجل، قبل أن يبغتك المُبيدُ المُعاجل، وتفكر في مُنَازِلك يخلي منك المنازل، وتحفظ في هذه الأيام القلائل؛ فالمسرور مغرور والمقيم راحل، والموت في طلب الخلق بعث الرواحل.

شعر:

نسير إلى الآجال في كل لحظةٍ
وأيامنا تُطوي (وهن مراحلُ)[1]

---

(١) في (ك): «رواحل».

ولـم أر مـثـل الـمـوت حـقًّـا كـأنـه
إذا مـا تـخـطّـتـه الأمـانـي بـاطـلُ
ومـا أقـبـح الـتـفـريـطَ فـي زمـن الـصِّـبـا
فـكـيـف إذًا والـشـيـب بـالـرأس شـامـلُ

أما تعتبر بالذين ركنوا إلى الدنيا وعليها اعتمدوا، وأمّلوا البقاء فيها فما بَقوا ولا خلدوا، أما افترقوا بعد اجتماعهم وانفردوا؟ أما رأوا أعمالهم في قبورهم ووجدوا؟ ذهبوا والله عنا فَبَعُدوا إذ بُعِدُوا؛ فمنهم أقوام شَقوا ومنهم أقوام سَعِدوا.

شعر:

لا شـيء مـمـا تـرى تـبـقـى بـشـاشـتُـهُ
يـبـقـى الإلـهُ ويُـودي الـمـال والـولـدُ
لـم تـغـن عـن هُـرمُـزٍ يـومًـا خـزائـنـه
والخُلد قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا
ولا سـلـيـمـانَ إذ تـجـري الـريـاحُ لـه
والإنـسُ والـجـن فـيـمـا بـيـنـهـا تَـرِدُ
أيـن الـمـلـوكُ الـتـي كـانـت نـوافـلـهـا
مـن كـل أوبٍ إلـيـهـا راكـبٌ يَـفـدُ
حـوضٌ هـنـالـك مـورودٌ بـلا كـذبٍ
لا بـد مـنِ وِرده يـومًـا كـمـا وردوا

فصل

أيها النائي عن خلاصه البعيد، أين خوفك من المبدئ المعيد؟ متى تبدوا عليك آثار السعيد؟ إلى كم تغفل؟ وقد جاءك من الوعيد ما يزعج الجبال الصُم.

يا دائمًا على ارتكاب المعاصي القباح، يا مستبدلًا ذل الحرام بعز المباح، يا من عمره ينقضي بين المساء والصباح، يا وافر الإفلاس مع جزيل الإرباح، إبك على نفسك فحالك مما يَغم، يا من ذل التفريط يعلوه، وما يستحي ولا يأنف، يا من يدعى إلى نفعه فيعرض ويتجانف، يا من يتمنى الهدى، ولأربابه قد خالف، أما سمعت بمن عصى مولاك وطغى وخالف، كيف طرد وأبعد وذم؟

يا من الموت يسعى مجدًا في طلبه، يا غافلًا قد رأى فعل الردى بصاحبه، يا مشغولًا بلهوه مفتونًا بلَعبه، يا راقدًا عن طلب خلاصه متى تنتبه، وهيهات لا يسمع الصُم.

يا من فرط في عمره ومال للّهو واعتدى يا هدف البلايا وطوارق الردى أتحسب أنك تترك مع الهوى سدًى؟ افتح بصرك فهلال الهدى قد بدا ما خَفِيَ ولا غُم، يا من قد لاح نور شيبه بنُذره، وأشرق وأرعد له القلف في سحاب الضعف وأبرق، وامتد كف الآفات إلى ثوب أمانيه فتمزق، وتشتت همه في طلب الدنيا وتفرق، وهو للخطايا إلى التقصير يَضم.

يا من يبالغ في الإسراف والتبذير ويستقصى. يا من أفعاله تبعده عنا وتُقصي، يا كثير الذنوب والملائكة تستظهرها وتُحصي، هيهات لا يجد حلاوة الطاعة من يعصي ولا يجدها إلا من يَهِمّ.

يا مصرًّا على ارتكاب الذنب، يا قليل اليقظة غافل القلب يا مبارز بالمعاصي الملك الرب؛ احذر يوم الحشر فإنه يوم صعب، همه يذهل، وحزنه يَغُم إلى مَ تغفل عن ذكر المصير؟ حتى مَ تبادر بالقبيح السميع البصير؟ وعلى مَ تعول إذا فني العمر القصير، ولو سكن قلبك الحزن على التقصير لقد كان الدمع مما يتم فطهر سرك بالتوبة من كل كدر فيه، وخف ممن يعلم ما تُسره وتُخفيه، وعامله فما زال مربحًا معامليه وأطرقْ بابه فالكريم لا يرد آمليه، ينعم إذا رجى ويُفْضل إذا أُمّ فقد حذرتك يا هذا فاحذر وخف، وقد أريتك سبيل الهدى فاقبل ممن عرف، وقد حرصت لك أكثر من حرصك على تحصيل الشرف وقد قيل فيما مضى من أقوال من سلف لحى الله ظئرًا أشفق من الأم.

فصل في ختام العمر بالتوبة والعمل الصالح

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إذا أراد الله بعبد خيرًا؛ قيض له ملكًا قبل موته يسدده حتى يموت وهو خير ما كان؛ فيقول الناس مات فلان خير ما كان»[١]، وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد الله تعالى بعبد خيرًا استعمله» قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح (قبل الموت)»، رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرطهما)[٢].

وعن عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله عبدًا عسله» قالوا: وما عسله يا رسول الله؟ قال: «يوفق له عملًا صالحًا حتى يرضى عنه جيرانه أو قال: من حوله» رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي من طريقه وغيره[٣].

وخرجه البزار[٤] مرفوعًا ولفظه: «إذا أراد الله بعبد خيرًا؛ بعث إليه ملكًا من عامه الذي يموت فيه؛ فيسدده ويبشره؛ فإذا كان عند موته أتاه ملك الموت فقعد عند رأسه فقال: أيتها النفس (المطمئنة)[٥] اخرجي

---

(١) رواه ابن راهوية (١٥٩١).

(٢) مثبت من (ق) والحديث رواه أحمد (١٢٠٥٥)، والترمذي (٢١٤٢)، والحاكم (١٢٥٧). قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) أحمد (٢١٩٩٩)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٩٨)، والبزار (٢٣١٠) والحاكم (١٢٥٨)، وابن حبان (٣٤٢، ٣٤٣) قال الهيثمي (١١٩٢٩): رجال أحمد والبزار رجال الصحيح. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) رواه البزار (٢٣٠٩) مختصرا.

(٥) في (ق): «المسلمة».

إلى ربك إلى مغفرة من الله ورضوان؛ فذلك حين يحب لقاء الله (ويحب الله لقاءه)[١]، وإذا أراد بعبد سوء؛ بعث إليه شيطانًا من عامه الذي يموت فيه فأغواه؛ فإذا كان عند موته أتاه ملك الموت فقعد عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب؛ فتتفرق في جسده؛ فذلك حين يبغض لقاء الله، ويبغض الله لقاءه»[٢].

وفي الدعاء المأثور: «**اللهم اجعل خير عملي خاتمته، وخير عمري آخره**»[٣]، وفي «المسند»[٤] عن عبد الرحمن بن البيلماني قال: اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يقبل توبة العبد قبل الموت بيوم**» وقال الآخر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم**» فقال الثالث: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: وأنا سمعت

---

(١) مثبت من (ق).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت كما في «كنز العمال» (٤٢٧٨٧)، وعبد الرزاق موقوفًا (٦٧٤٩).

(٣) من حديث أنس رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٤٤٨). قال الهيثمي الزوائد (١٧٢٦٧): رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبي عبد الرحمن الأذرمي؛ ثقة.

(٤) أخرجه أحمد (١٥٥٣٨) قال الهيثمي (١٧٥٠٥): رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن، وهو ثقة. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن ابن البيلماني، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة**»، فقال الرابع: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم تغرغر نفسه**».

وفي «المسند»(١) أيضًا عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان قال: وعزتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم؛ فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**».

وأكمل الدرجات وأرفعها من يفني عمره في الطاعة، ثم ينبه على قرب الأجل؛ ليجِدَّ في التزود، ويتهيأ للرحيل بعمل يصلح للقاء، ويكون خاتمة للعمل كما قال ابن عباس لما نزل على النبي ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ نعيت لرسول الله ﷺ نفسه؛ فأخذ في أشد ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة. وقال بعض السلف: أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.

شعر:

أسأتُ ولم أحسنْ وجئتُك تائبًا
وأني لعبدٍ من مواليه مهربُ
يؤمِّل غفرانًا فإن خاب ظنه
فما أحدٌ منه على الأرض أخيبُ

---

(١) أخرجه أحمد (١١٢٥٥). قال الهيثمى (١٠/ ٣٤٥): رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، والطبرانى فى «الأوسط»، وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادى أبى يعلى. أ هـ وصححه المنذري (٢٥٠٠)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٥٠).

وفي حديث خرجه ابن أبي الدنيا: «**إن الله يحب الشاب التائب**»[١] وتوبة الشاب أحسن من توبة الشيخ. وقال بعضهم: تقول التوبة للشاب: أهلًا ومرحبًا، وتقول للشيخ: نقبلك على ما كان منك؛ الشاب ترك الشهوة مع قوة الداعي إليها، والشيخ قد ضعفت شهوته، وقل داعيه فلا يستويان.

أما تستحي أيها الشيخ لما أعرَضت عنك لذات اللذات والشهوات؛ فلم يبق لها فيك رغبة، وصرت من سقط المتاع لا حاجة لأحد فيك؛ جئت إليّ تائبًا فقلت: أنا تائب، ومع هذا؛ فكل من أوى إلينا أويناه، وكل من استجار بنا أجرناه، ومن تاب إلينا أجبناه؛ أبشر فربما يكون الشيب شافعًا لصاحبه في العفو. كما روى عن يحيى بن أكثم القاضي أنه رؤي في المنام بعد موته وقال: إن الله تعالى قال: إني أستحي أن أُعذب ذا شيبة شابت في الإسلام.

وعن بعضهم أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل: ما فعل بك ربك؟ قال: لولا أني استحي من شيبتك لعذبتك. وروى الحافظ البيهقي في «الزهد»[٢] له عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله**:

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٨٤) قال العراقي (٤/ ٢): رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف. أ هـ وآفته غسان بن عبيد قال ابن عدي (٦/ ٨): الضعف على حديثه بين وذكر له هذا الحديث وقال: غير محفوظ. وهذا الحديث عدَّه ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٤١٨) من مناكيره.

(٢) من حديث أنس رواه البيهقي في «الزهد» (٦٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٨٦) وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٦٦) وفي «الضعفاء»: (٢/ ٢٦٧) في ترجمة محمد ابن عبد الله بن زياد وقال: منكر الحديث جدا؛ يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يجوز الاحتجاج به بحال.

وعزتي وجلالي، وجُودي وفاقة خلقي إليّ وارتفاعي في مكاني؛ إني لأستحي من عبدي وأمتي أن يشيبا في الإسلام ثم أعذبهما». قال أنس رضي الله عنه: فرأيت رسول الله ﷺ يبكي عند ذلك فقيل: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: «أبكي ممن يستحي الله منه، ولا يستحي من الله عز وجل»، وفي رواية: «إني أستحي من عبدي وأمتي؛ يشيبان في الإسلام تشيب لحية عبدي، ورأس أمتي في الإسلام، ثم أعذبهما في النار بعد ذلك».

وعن عمر بن علي المقرئ قال: رأيت هارون بن رئاب في المنام بعد موته فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي ورحمني، وقربني وطيبني بيده وقال: هكذا نفعل بأبناء ثلاث وثلاثين سنة.

وذكر ابن الجوزي في «الصفوة» هارون بن دياب هذا، وأنه من أهل البصرة؛ روى عنه الأوزاعي إمام أهل الشام. ذكره في مختصر تهذيب الكمال للعماد رحمه الله. شعر:

يا نداماي قد صحا القلبُ صحا
فاطردوا عنا (الصِّبا)[1] والمرحا
زجر الوعظ فؤادي فارعوي
وأفاق القلبُ مني وصحا
هزم العزم جنودًا للهوى
فاسدي لا تعجبوا إن صلحا
بادروا التوبة من قبل الردى
فمناديه ينادينا الوحا

---

(١) في (ك): «المرا».

وأنشدوا شعرا:

بادر إلى التوبةِ الخلصاء مجتهدًا

والموتُ ويحك لم يمدد إليك يدا

فإنما المرء في الدنيا على خطرٍ

إن لم يكن ميتًا في اليوم مات غدا

ويُروى أنه كان في بني إسرائيل شاب قد عَبَدَ الله عشرين سنة، ثم عصاه عشرين سنة، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة، وعصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك تقبلني؟ فسمع هاتفًا يقول من وراء البيت ولم ير شخصًا: أحببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك؛ فإن رجعت إلينا قبِلناك.

اللهم اجعلنا من الراجعين إليك، المعتمدين في جميع الأحوال عليك، فلا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم تقبل توباتنا، واغسل حوباتنا، وأجب دعواتنا، واجعلنا من الراغبين في طلب الخيرات، (الراهبين من)[1] المخالفات، ونعوذ بك من سوء الحالات، ونسألك حسن الخاتمة بتلقين الشهادة، والنطق بها بالقلب واللسان عند الممات، وألهمنا رد الجواب في القبر على أحسن الحالات، واجعلها زادنا إلى الآخرة، يا من يحيينا بعد البلى ويطوي السموات، وأسكنا فسيح الجنات، وافعل ذلك بذرياتنا والآباء والأمهات، والإخوان والأصحاب والأخوات وجميع المسلمين يا أرحم الراحمين، اللهم اجعل هذا

---

(١) في (ك): «الراغبين عن».

الكتاب المبارك نافعًا لي ولعبادك المسلمين، مقبولًا عندك يا رب العالمين، واغفر لقارئه وناسخه وسامعيه، ومصلحه ومقابليه ومن أخذه بالقبول برحمتك يا أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.

تم الكتاب بحمد لله وعونه وحسن توفيقه[1] في ليلة يسفر صباحها عن نهار الأحد الثاني من شهر رمضان المعظم قدره من شهور سنة خمس وثمانين وثمانمائة، على يد فقير عفو الله وأحوجهم إليه المعول في كل

---

(١) تاريخ النسخ لنسخة (ك) كما يلي: «تم هذا الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يوم الأحد المبارك، ثالث يوم من شهر جمادى الثاني من شهور سنة أربع وأربعين ومائة وألف من الهجرة المباركة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، على يد الفقير إلى الله تعالى الشيخ علي بن الشيخ منصور المصري غفر الله له ولوالديه، ولمن دعا له بالمغفرة، وللقارئ فيه، ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم آمين».

وكتب على حاشية هذه الصفحة ما يلي:

أبيات لبعضهم:

قل لمن كان ربه مشروبه ... قبيح على الإنسان ينسى عيوبه

ويذكر عيبًا في أخيه قد اختفى ... قف على الشرع واتبعن أمره

جانب الشيطان واحذر مكره ... اترك العائب واهجر فشره

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره ... وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى.

قيل ثمانية ألف عيب قد حصرت ... في ابن آدم بلا ريب بالصمت أزْلَنها

يا حبيب من أزال عنه كل عيب ... لرتبة الأولياء والشهداء قد اقتفى.

وقال آخر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك مضمونه عن النسب

حال على فضل ربه الغني؛ إبراهيم بن علي الحسيني الحنفي غفر الله له ولهم ولسائر المسلمين بمنّه وكرمه الوفي، والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، سرًا وعلانية، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله أصحابه وأزواجه وذرياته، صلاة أنت لها أهل، وهو لها أهل ترضيك وترضيه وترضى بها عنا، وسلم تسليمًا كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون، ورضي الله عن السادة الصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ غفر الله لمن قرأه ودعا له وللمسلمين بالمغفرة.

وإن تـجـد عـيـبًـا فـسـد الـخـلـلا
فـجـل مـن لا عـيـب فـيـه وعـلا
فـكـل شـيء إذا فـكـرت فـيـه تـرى
لـوائح الـنـقـص فيه جل من كـمـلا

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونستغفر الله تعالى من كل تقصير، ونصلي على البشير النذير؛ محمد وعلى آله وصحبه، ونسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين ورضي الله عن الصحابة أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس الموضوعات